

## المجلد الرابع

صفحة 56 - 267

أقسم على الرحيل فلما وصلوا إليه نكث وقتلهم خامس المحرم سنة خمس وثلاثين، فهزمهم. ثم عبى المنصور عساكره منتصف المحرم، وجعل البرابر في الميمنة وكتامة في الميسرة، وهو وأصحابه في القلب. وحمل أبو يزيد على الميمنة فهزمها، ثم على القلب فلقية المنصور واشتد القتال. ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم وأسلم أثقاله وعسكره، وقتل خلق من أصحابه وبلغت رؤوس القتلى الذي في أيدي صبيان القيروان عشرة آلاف، ومضى أبو يزيد لوجهه، ومّر بباغية فمنعه أهلها من الدخول فأقام يحاصرها، ورحل المنصور في ربيع الأول لاتباعه، واستخلف على المهديّة مراما الصقليّ وأدركه على باغية فأجفل المنصور في إتباعه. وكلّما قصد حصناً سبقه المنصور إليه إلى أن نزل المنصور طبنة فجاءته رسل محمد بن خزر أمير مغراوة، من أصحاب أبي يزيد، ومواطنه بالغرب الأوسط فاستأمن للمنصور فأمنه، وأمره بطلب أبي يزيد. ووصل أبو يزيد إلى بني بئزال وكانوا نكارية، وبلغه خبر المنصور في اتباعه فسلك الرملة. ثم عاد نواحي غمرت فصادف المنصور وقاتله فانهزم أبو زيد إلى جبل سالات، والمنصور في أثره في جبال وأوعار ومضايق تفضي إلى القفر، وأصابهم الجهد وعلم أنه ليس أمامه إلا المفازة إلى بلاد السودان فرجع إلى غمرت من بلاد صنهاجة. ووفد عليه هنالك زيري بن مناد أمير صنهاجة فأكرمه ووصله كما يجب له. وجاء كتاب محمد بن خزر بالمكان الذي فيه أبو يزيد من المفازة، وأقام المنصور هنالك لمرض أصابه فرجع أبو يزيد إلى المسيلة وحاصرها. فلما عوفي المنصور رحل أوّل رجب سنة خمس وثلاثين وقصده فأفرج عن المسيلة، وقصد المفازة يريد بلاد السودان فأبى عليه بنو كملان أصحابه فرجعوا إلى جبال كتامة وعجيسة فتحصنوا بها. وجاء المنصور ننزل بساحتهم عاشر شعبان، ونزل أبو يزيد فقاتلهم فانهزم وأسلم عسكره وأولاده، وطعنه بعض الفرسان فأكبه وحامى عنه أصحابه فقتل في الحومة ما يزيد على عشرة آلاف، وتخلص. ثم سار المنصور في آثره أوّل رمضان،

ولم يقدر أحد من الفريقين على الهزيمة لضيق المكان وصعوبته. ثم انهزم أبو يزيد لما ضرسه الحرب، وترك أثقاله وساروا إلى رؤوس الجبال يرمون بالصخر، وتزاحفوا حتى تعانقوا بالأيدي، وكثر القتل. ثم تجاوزوا وتحصن أبو يزيد بقلعة كتامة، واستأمن الذين معه من هواره فأمنهم المنصور، وحصر أبا يزيد في القلعة وقاتلها غير مرة حتى افتتحها عنوة وأضرمتها ناراً، وقتل أصحاب أبي يزيد في كل ناحية، وجمع أهله وأولاده في

القصر، وأظلم الليل فأمر المنصور بإشعال النيران في الشعراء المحيطة بالقصر، حتى أضاء الليل لتكون أحواله بمرأى منهم حذراً من فراره، حتى خرج الليل وحمل في أصحاب المنصور حملة منكراً فأفرجوا له، وأمر المنصور بطلبه فألفوه، وقد حملة ثلاثة من أصحابه لأنه كان جريحاً فسقط من الوعر وارتث فحملوه إلى المنصور فسجد سجدة الشكر، وأقام عنده إلى سلخ المحرم من سنة ست وثلاثين. ثم هلك من الجراحة التي به فأمر بسلخ جلده، وحشوه تبناً، واتخذ له قفصاً فأدخل فيه مع قردين يلاعبانه بعثاله. ورحل إلى القيروان والمهدية، ولحق ابنه فضل بمعبد بن خزر، وزحف به إلى طبنة وبسكرة. وقصد المنصور فانهزم معبد، وصعد إلى كتامة فبعث إليه العساكر مع موليه شفيق وقيصر، ومعهما زيري بن مناد في صنهاجة، فانهزم فضل ومعبد، وافترق جمعهم، ورجع المنصور إلى القيروان فدخلها.

بقية أخبار المنصور:

ثم انتقض حميد بن يضلبن عامل المغرب وانحرف عن طاعة الشيعة، ودعا للأموية من وراء البحر، وزحف إلى تاهرت فحاصرها فنهض إليه المنصور في صفر سنة ست وثلاثين، وجاء إلى سوق حمزة فأقام به. وحشد زيري بن مناد جموع صنهاجة من كل ناحية، ورحل مع المنصور فأخرج حميد عن تاهرت، وعقد عليها ليعلى بن محمد اليفرني، وعقد لزيري بن مناد على قومه وعلى سائر بلادهم. ثم رحل لقتال لواتة فهربوا إلى الرمال، وأقام هو على واد میناس، وكان هنالك ثلاثة جبال، كل منهم عليه قصر مبني بالحجر المنحوت، فوجد في وجه أحد هذه القصور كتابة على حجر فسيح فأمر المنصور التراجمة بقراءته، وإذا فيه أنا سليمان السردغوس، خالف أهل هذا البلد على الملك، فبعثني إليهم ففتح الله عليهم وبنيت هذا البناء لأذكر به. ذكر هذه الغربية ابن الرقيق في تاريخه. ثم رحل المنصور إلى القيروان بعد أن خلع

على زيري بن مناد وحمله، ودخل المنصورية في جمادى سنة ست وثلاثين فبلغه أن فضل بن أبي يزيد جاء إلى جبل أوراس، وداخل البربر في الثورة فخرج إليه المنصور فدخل الرمل، ورجع المنصور إلى القيروان ثم إلى المهديّة، ورجع فضل بن أبي يزيد إلى باغاية. وأقام يحاصرها فغدر به باطيط، وبعث برأسه إلى المنصور. ثم عقد سنة تسع وثلاثين للحسين بن عليّ بن أبي الحسين الكلبيّ على صقلية وأعمالها، وكانت لخليل بن إسحق فرصه الحسين واستقلّ بولايتها، فكان له فيها ولنيه ملك سنذكره. وبلغ المنصور أنّ ملك إفرنجة يريد غزو المسلمين فأخرج أسطوله، وشحنه بالعساكر لنظر مولاة فرج الصقليّ، وأمر الحسين بن عليّ عامل صقلية بالخروج معه فأجازوا البحر إلى عُدوة الإفرنجة، ونزلوا قلورية ولقيهم رجاء ملك الفرنجة فهزموه. وكان فتحا لا كفاء له، وذلك سنة أربعين وثلاثمائة، ورجع فرج بالغنائم إلى المهديّة سنة إثنين وأربعين، وكان معبد بن خزر بعد مظاهرتة لفضل بن أبي يزيد لم يزل منتقضاً وأولياء المنصور في طلبه حتى أخذ في بعض الوقائع، وسبق مع ابنه إلى المنصور فطيف بهما في أسواق المنصورية، ثم قتل سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

وفاة المنصور وولاية ابنه المعز:

ثم توفى المنصور إسماعيل بن القاسم سلخ رمضان سنة إحدى وأربعين لسبع سنين من خلافته، أصابه الجهد من مطر وثلج تجلّد على ملاقاته، ودخل على أثره الحمّام فعيث حرارته، ولازمه السهر فمات. وكان طبيبه إسحق بن سليمان الإسرائيلي قد نهاه عن الحمّام فلم يقبل. وولى الأمر بعده ابنه معدّ، ولقب المعز لدين الله فاستقام أمره، وخرج لجبل أوراس سنة إثنين وأربعين، وجالت فيه عساكره واستأمن إليه بنو كملان ومليّة من هواره، ودخلوا في طاعته فأمنهم وأحسن إليهم. واستأمن إليه محمد بن خزر بعد مقتل أخيه معبد فأمنه، ورجع إلى القيروان وترك مولاة قيصر في العساكر، وعقد له على باغاية فدوّخ البلاد وأحسن إلى الناس، وألف من كان شارداً من البربر، ورجع بهم إلى القيروان فأكرمهم المعز ووصلهم. ثم وفد بعدهم محمد

بن خزر أمير مغراوة فلّقاه مبرّة وتكرّماً. وأقام عنده بالقيروان إلى أن هلك سنة ثمان وأربعين. واستقدم المعزّ زيري بن مناد سنة ثلاث وأربعين أمير صنهاجة، فقدم من أشير فأجزل صلته، وردّه إلى عمله. وبعث إلى الحسين بن علي عامل صقلية سنة أربع وأربعين أن يخرج بأسطوله إلى ساحل المرية من بلاد الأندلس، فعاث فيه، وغنم وسبى، ورجع فأخرج الناصر صاحب الأندلس أسطوله إلى سواحل إفريقية، مع غالب مولاه فمنعتهم العساكر، وأقلعوا. ثم عاودوا سنة خمس وأربعين في سبعين مركباً فأحرقوا مرسى الخزر، وعاثوا في جهات سوسة، ثم في نواحي طبرنة ورجعوا. واستقام أمر المعز في بلاد أفريقية والمغرب، واتسعت إيالته وكانت أعماله من ايفكان خلف تاهرت بثلاثة مراحل، إلى زناتة التي دون مصر، وعلى تاهرت وإيفكان يعلى بن محمد اليفرني، وعلى أشير وأعمالها زيري بن مناد الصنهاجي، وعلى المسيلة وأعمالها جعفر بن علي الأندلسي، وعلى باغية وأعمالها قيصر الصقلي. وكان على فاس أحمد بن بكر بن أبي سهل الجذامي، وعلى سجلماسة محمد بن واسول المكناسي. ثم بلغه سنة سبع وأربعين أن يعلى بن محمد اليفرني داخل الأموية من وراء البحر، وأنّ أهل المغرب الأقصى نقضوا طاعة الشيعة فأغزى جوهر الصقلّي الكاتب إلى المغرب بالعساكر، وكان على وزارته، وخرج معه جعفر بن عليّ صاحب المسيلة، وزيري بن مناد صاحب أشير، وتلقّاهم يعلى بن محمد صاحب المغرب الأوسط. ولما ارتحل عن ايفكان وقعت هبة في أصحاب صيلة، وقيل له إن بني يعرب أوقعوها فتقبض على يعلى، وناشته سيوف كتامة لحينه، وخرّب ايفكان وأسر ابنه يدو بن يعلى، وتمادوا إلى فاس، ثم تجاوزوها إلى سجلماسة فأخذها، وتقبّض على الشاكر لله محمد بن الفتح الذي تلقّب بأمر المؤمنين من بني واسول، وولّى ابن المعتز من بني عمه مكانه ودوّخ المغرب إلى البحر. ثم رجع إلى فاس وحاصرها ووالها يومئذ أحمد بن بكر بن أبي سهل الجذامي، وقاتلها مدّة فامتنعت عليه، وجاءته هدايا الأمراء الأذكرنية من السوس. ثم رحل إلى سجلماسة، وبها محمد بن واسول من مكناسة، وقد تلقّب بأمر المؤمنين الشاكر لله، وضرب السكة

بإسمه، تقدّست عزة الله، فلما سمع بجوهر هرب، ثم أخذ أسيراً وجيء به إلى جوهر، وسار عن سجلماسة، وافتتح البلاد في طريقه. ثم عاد إلى فاس، وأقام في حصارها إلى أن افتتحها عنوة على يد زيري بن مناد تسنّم أسوارها ليلاً، ودخلها وتقبّض على أحمد بن بكر، وذلك سنة ثمان وأربعين، وولّى عليها من

قبله وطرده عمّال بني أمية من سائر المغرب. وانقلب إلى القيروان ظافراً عزيزاً، وضم تاهرت إلى زيري بن مناد. وقدم بالفاطميين، وبأحمد بن بكر وبمحمد بن واسال أسيرين في قفصين، ودخل بهما إلى المنصورية في يوم مشهود. وكانت ولاية المغرب والمشرق منقسمة بين موليه قيصر ومُظفّر، وكانا متغلبين على دولته فقبض عليهما سنة تسع وأربعين وقتلها. وفي سنة خمسين كان تغلب النصارى على جزيرة إقريطش، وكان بها أهل الأندلس من جالية الحكم بن هشام بسبب ثورة الرفض، ففر بهم إلى الاسكندرية فثاروا بها، وعبد الله بن طاهر يومئذ عامل مصر فحاصروهم بالأسكندرية، حتى نزلوا على الأمان، وأن يجيزوا البحر إلى جزيرة إقريطش فعمروها ونزلوها منذ تلك الأيام، وأميرها أبو حفص البلّوطي منهم، واستبدّ بها وورث بنوه رياسة فيها إلى أن نزلهم النصارى في هذه السنة في سبعمئة مركب، واقتحموها عليهم عنوة، وقتلوا منهم وأسروا، وبقيت في أيدي النصارى لهذا العهد، والله غالب على أمره. وافتتح صاحب صقلية سنة إحدى وخمسين قلعة طرمين، من حصون صقلية، بعد حصار طويل أجهدهم فنزلوا على حكم صاحب صقلية بعد تسعة أشهر ونصف للحصار، وأسكن المسلمين بالقلعة وسماها المعزّية نسبة إلى المعزّ صاحب إفريقية. ثم سار صاحب صقلية بعدها، وهو أحمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسن إلى حصار رمطة من قلاع صقلية فاستمدوا ملكهم صاحب القسطنطينية فجهز لهم العساكر برا وبحرا، واستمد صاحب صقلية المعزّ فأمدّه بالعساكر مع ابنه الحسن ووصل مدده إلى مدينة ميسنى، وساروا بجموعهم إلى رمطة، وكان على حصارها الحسن بن عمار فحمل عسكرياً على رمطة وزحف إلى عسكر الروم مستميتاً فقاتلهم فقتل أمير الروم وجماعة من البطارقة، وهزموا أقيح هزيمة، واعترضهم خندق فسقطوا فيه، وأثنى المسلمون فيهم وغنموا عساكرهم. واشتدّ الحصار على أهل رمطة، وعدموا الأقوات فاقتحمها المسلمون عنوة، وركب فلّ الروم البحر يطلبون النجاة فأتبعهم الأمير أحمد بن الحسن في أسطوله فأدركهم، وسبح بعض المسلمين في الماء فخرّق مراكبهم وانهزموا، وبث أحمد سرايا المسلمين

في مدائن الروم فغنموا منها وعاثوا فيها حتى صالحوهم على الجزية،  
وكانت هذه الواقعة سنة أربع وخمسين وتسمّى وقعة المجاز.



## فتح مصر

ثم إنَّ المعز لدين الله بلغه اضطراب أحوال مصر بعد موت كافور الأخشيدي، وعظم فيها الغلاء، وكثرت الفتن وشغل بغداد عنهم بما كان من الفتن بين بختيار بن مُعزِّ الدولة، وعُضدُ الدولة ابن عمه، فاعتزم المُعزُّ على المسير إلى مصر، وأخرج جوهرًا الكاتب إلى المغرب لحشد كتامة، وأوعز إلى عمّال برقة لحفر الآبار في طريقها، وذلك سنة خمس وخمسين فسبَّره إلى مصر، وخرج لتوديعه وأقام أياماً في معسكره، وسار جوهر وبلغ خبره إلى عساكر الأخشيدية بمصر فافترقوا، وكان ما يذكر في أخبارهم، وقدم جوهر منتصف شعبان من سنة ثمان وخمسين فدخلها، وخطب في الجامع العتيق منه باسم المُعزِّ، وأقيمت الدعوة العلويّة. وفي جمادى من سنة تسع وخمسين دخل جوهر جامع ابن طولون فصلّى فيه، وأمر بزيادة حيّ على خير العمل في الآذان، فكان أوّل أذان أُذُن به في مصر. ثم بعث إلى المُعزِّ بالهدايا وبأعيان دولة الأخشيدية فحبسهم المعز بالمهدية، وأحسن إلى القضاة والعلماء من وفدهم، وردّهم إلى مصر، وشرع جوهر في بناء القاهرة واستحث المُعزُّ للقدوم على مصر.

## فتح دمشق

ولما فتحت مِصْرَ، وأخَذَ بنو طفح، هرب منهم الحسن بن عبد الله بن طفح إلى مكّة، ومعه جماعة من قوّادهم، فلما استشعر جوهر به بعث جعفر بن فلاح الكتامي في العساكر إليه فقاتله مراراً، ثم أسره ومن كان معه من القوّاد، وبعث بهم إلى جوهر فبعث بهم جوهر إلى المُعزِّ بأفريقية. ودخل جعفر الرملة عنوة فاستباحها، ثم أمّن من بقي وجبى الخراج وسار إلى طبرية، وبها ابن مُلهم وقد أقام الدعوة للمعز فتجافى عنه، وسار إلى دمشق فافتتحها عنوة وأقام بها الخطبة للمعز لأيام من المحرم سنة تسع وخمسين، وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن يعلى الهاشمي، وكان مطاعاً فيهم فجمع الأوباش والذعّار وثار بهم في الجمعة الثانية، ولبس السواد، وأعاد الخطبة

للمطيع فقاتلهم جعفر بن فلاح أياماً وأولى عليهم الهزائم. وعاشت جيوش المغاربة في أهل دمشق فهرب ابن أبي يعلى ليلاً من البلد، وأصبحوا حيارى، وكانوا قد بعثوا الشريف الجعفري إلى جعفر في الصلح فأعاده إليهم بتسكين الناس والوعد الجميل، وأن يدخل البلد، فيطوف فيه، ويرجع إلى معسكره فدخل، وعاث المغاربة في البلد بالنهب فثار الناس بهم وحملوا عليهم، وقتلوا منهم، وشرعوا في حفر الخنادق وتحصين البلد. ومشى الشريف أبو القاسم في الصلح بينهم وبين جعفر بن فلاح، فتم ذلك منتصف ذي الحجة من سنة تسع وخمسين، ودخل صاحب شرطة جعفر فسكّن الناس وقبض علي جماعة من الأحداث، وقتل منهم وحبس. ثم قبض على الشريف أبي القاسم بن أبي يعلى في المحرم من سنة ستين، وبعث به إلى مصر، واستقام ملك دمشق لجعفر بن فلاح، وكان خرج بأفريقية في سنة ثمان وخمسين أبوجعفر الزناتي واجتمعت إليه جموع من البربر والنكاريّة، وخرج إليه المعزّ بنفسه، وانتهى إلى باغاية، وافترقت جموع أبي خزر، وسلك الأوعار فعاد المعزّ وأمر بلكين بن زيري بالمسير في طلبه فسار لذلك حتى انقطع عنه خبره، ثم جاء أبو جعفر مستأمناً سنة تسع وخمسين فقبله، وأجرى عليه الرزق، وعلى أثر ذلك وصلت كتب جوهر بإقامة دعوته بمصر والشام، وباستدعائه إليها فاشتدّ سرور المعزّ بذلك، وأظهره في الناس، ونطق الشعراء بامتداحه. ثم زحف القرامطة إلى دمشق وعليهم ملكهم الأعصم. ولقيهم جعفر بن فلاح فظفر بهم وقتلهم. ثم رجعوا إليه سنة إحدى وستين وبرز إليهم جعفر فهزموه وقتلوه، وملك الأعصم دمشق، وسار إلى مصر، وكاتب جوهر بذلك للمعزّ فاعتزم على الرحلة إليها.

مسير المعزّ إلى مصر ونزوله بالقاهرة:

ولما انتهت هذه الأخبار إلى المعزّ اعتزم على المسير إلى مصر، وبدأ بالنظر في تمهيد المغرب وقطع شواغله، وكان محمد بن الحسن بن خزر المغراوي مخالفاً عليه بالمغرب الأوسط، وقد كثرت جموعه من زناتة والبربر، وكان جباراً طاغياً فأهّم المعزّ أمره، وخشي على أفريقية عائلته، فأمر بلكين بن زيري بن مناد بغزوه، فغزاه في بلاده،

وكانت بينهما حروب عظيمة. ثم انهزم محمد بن خزر وجموعه، ولما أحسَّ بالهزيمة تحامل على سيفه فقتل نفسه، وقتل في المعركة سبعة عشر من أمراء زناته، وأُسِرَ منهم كثيرٌ وذلك سنة ستين. وسَرَّ المعز ذلك، وقعد للهناء به. واستقدم بلكين بن زيري فاستخلفه على أفريقية والمغرب، وأنزله القيروان وسماه يوسف، وكناه أبا الفتوح، وولّى على طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامي، ولم يجعل لبلكين ولاية عليه، ولا على صاحب صقليّة. وجعل على جباية الأموال زيادة الله بن الغريم، وعلى الخراج عبد الجبار الخراسانيّ، وحسين بن خلف المرصدي بنظر بلكين، وعسكر ظاهر المنصوريّة آخر شوّال من سنة إحدى وستين، وأقام على سردانية قريباً من القيروان حتى فرغ من أعماله، ولحقته عسكره، وأهل بيته وعمّاله وحمل له ما كان في قصره من الأموال والأمتعة. وارتحل بعد أربعة أشهر من مقامه، وسار معه بلكين قليلاً، ثم ودّعه وردّه إلى عمله، وسار هو إلى طرابلس في عساكره، وهرب بعضهم إلى جبل تَفُوسَة فامتنعوا به، وسار إلى بَرْقَة فقتل بها شاعره محمد بن هانيء الأندلسي، وجد قتيلًا بجانب البحر في آخر رجب من سنة اثنتين وستين. ثم سار إلى الإسكندريّة وبلغها في شعبان من هذه السنة، ولقيه بها أعيان مصر فأكرمهم ووصلهم، وسار فدخل القاهرة لخمس من رمضان من هذه السنة فكانت منزله ومنزل الخلفاء بعده إلى آخر دولتهم.

حروب المعز مع القرامطة واستيلاؤه علي دمشق:

كان لِلْقَرَامِطَةِ علي بني طفج بدمشق ضريبة يؤدونها إليهم، فلما ملك ابن فلاح بدعوة الْمُعِزِّ قطع تلك الضريبة، وآسفهم بذلك فرجعوا إلى دمشق، وعليهم الأعصم ملكهم، فبرز إليهم جعفر بن فلاح فهزموه وقتلوه، وملكوا دمشق وما بعدها، إلى الرَّمْلَة، وهرب من كان بالرَّمْلَة وتحصنوا بيافا. وملك القرامطة الرَّمْلَة، وجّهزوا العساكر على يافا، وساروا إلى مِصْرَ، ونزلوا عَيْنَ شمس وهي المعروفة لهذا العهد بالمطرية. واجتمع إليهم خلق كثير من العرب، وأولياء بني طفج، وحاصروا المغاربة بالقاهرة، وقتلوهم أياماً فكان الظفر بهم. ثم خرج المغاربة واستماتوا، وهزمهم فرحلوا

إلى الرَّمْلَة، وضيّقوا حصار يافا، وبعث إليهم جعفر بالمدد في البحر فأخذه القرامطة وانتهى الخبر إلى المعزّ بالقيروان. وجاء إلى مصر ودخلها كما ذكرناه. وسمع أنهم يريدون المسير إلى مصر فكتب إلى الأعصم يذكره فضل بنيه، وأنهم إنما دعوا له ولآبائه وبالغ في وعظه وتهدّده فأساء في جوابه، وكتب إليه: وصل كتابك الذي قلّ تحصيله، وكثّر تفصيله، ونحن سائرون إليك والسلام. وسار من الأحساء إلى مصر، ونزل عين شمس في عساكره، واجتمع إليه الناس من العرب وغيرهم. وجاء حسّان بن الجراح في جموع عظيمة من طيء، وبتّ سراياه في البلاد فعاثوا فيها وأهّمّ المعزّ شأنه فراسل ابن الجراح، واستماله بمائة ألف دينار على أن ينهزم على القرامطة واستحلفوه على ذلك. وخرج المعزّ ليوم عيّنوه لذلك فانهزم ابن الجراح بالعرب، وثبت القرامطة قليلا، ثم إنهمزوا وأخذ منهم نحو ألف وخمسمائة أسير. وساروا في أتباعهم ولحق القرامطة باذرعات، وساروا منها إلى الأحساء، وقتلوا صبياً ونهب معسكرهم. وجرد المعزّ القائد أبا محمود في عشرة آلاف فارس، وبعث المعزّ القائد ظالم ابن موهوب العُقيليّ والياً على دمشق فدخلها، وكان العامل بها من قبل القرامطة أبو اللجاء وابنه. في جماعة منهم فحبسهم ظالم، وأخذ أموالهم، ورجع القائد أبو محمود من اتباع القرامطة إلى دمشق فتلّقاه ظالم وسرّ بقدومه، وسأله المقام بظاهر دمشق حذراً من القرامطة ففعل ودفع أبا اللجاء وابنه فبعث بهم إلى مصر فحبسوا بها، وعاث أصحاب أبي محمود في دمشق، فاضطرب الناس، وقتل صاحب الشرطة بعضهم فثاروا به وقتلوا أصحابه. وركب ظالم بذراريهم وأجفل أهل الضواحي إلى البلد من عيث المغاربة، ثم وقعت في منتصف شوال من سنة ثلاث وستين فتنة بين العامّة وبين عسكر أبي محمود وقاتلوه أياماً، ثم هزمهم وتبعهم إلى البلد. وكان ظالم بن موهوب يداري العامّة فأشفق في هذا اليوم على نفسه، وخرج من دار الإمارة وأحرق المغاربة ناحية باب الفراديس، ومات فيها خلق، واتصلت الفتنة إلى ربيع الآخر من سنة أربع وستين. ثم وقع الصلح بينهم على إخراج ظالم من البلد، وولاية جيش بن الصمصامة ابن أخت محمود فسكن الناس إليه. ثم رجع المغاربة إلى العيث، وعاد العامّة إلى الثورة، وقصدوا القصر

الذي فيه جيش فهرب ولحق بالعسكر، وزحف إلى البلد فقاتلهم وأحرق ما كان بقي، وقطع الماء عن البلد فضاقت الأحوال، وبطلت

الأسواق، وبلغ الخبر إلى المعزّ فنكر ذلك على أبي محمود واستعظمه، وبعث إلى زياد الخادم في طرابلس يأمره بالمسير إلى دمشق لاستكشاف حالها، وأن يصرف القائد أبا محمود عنها، فصرفه إلى الرملة، وبعث إلى المعز بالخبر، وأقام بدمشق إلى أن وصل أفتكين والياً على دمشق. وكان أفتكين هذا من موالي عزّ الدولة بن بويه، ولما ثار الأتراك على ابنه بختيار مع سبكتكين، ومات سبكتكين، قدّمه الأتراك عليهم، وحاصروا بختيار بواسط، وجاء عضد الدولة لإنجاده فاجفلوا عن واسط فتركوه ببغداد. وسار أفتكين في طائفة من الجند إلى حمص فنزل قريباً منها، وقصده ظالم بن موهوب العُقيليّ ليقبضه فعجز عنه، وسار أفتكين فنزل بظاهر دمشق وبها زياد خادم المعز، وقد غلب عليه، وعلى أعيان البلد الأحداث والدّعار، فلم يملكوا معهم أمر أنفسهم فخرج الأعيان إلى أفتكين، وسألوا منه الدخول إليهم ليؤلّوه، وشكوا إليه حال المغاربة، وما يحملونهم عليه من عقائد بعض الرفض، وما أنزل بهم عمّالهم من الظلم والعسف فأجابهم واستحلفهم، وحلف لهم، وملك البلد، وخرج منها زياد الخادم، وقطع خطبة المُعزّ العلوي، وخطب للطائع العبّاسيّ، وقمع أهل الفساد، ودفع العرب عمّا كانوا استولوا عليه من الضواحي. واستقل ملك دمشق، وكاتب المعزّ بطلب طاعته وولايتها من قبله فلم يثق إليه، وردّه وتجهز لقصده، وجّه العساكر فتوفي بعسكره ببلييس كما يذكر.

وفاة المعز وولاية ابنه العزيز:

ثم توفي المعزّ بمصر في منتصف ربيع الآخر سنة خمس وستين لثلاث وعشرين سنة من خلافته، ووليّ ابنه نزار بعهدة إليه، ووصّيته، ولقب العزيز بالله، وكرم موت أبيه إلى عيد النحر من السنة فصلّى بالناس وخطبهم، ودعا لنفسه وعزّى بأبيه، وأقرّ يعقوب بن كلس على الوزارة كما كان أيام أبيه، وأقرّ بلكين بن زيري على ولاية أفريقية، وأضاف إليه ولاية عبد الله بن يخلف الكتامي، وهي طرابلس، وسرت وجرايبه. وكان أهل مكة والمدينة قد خطبوا للمعزّ أبيه في الموسم، فتركوا الخطبة للعزيز فبعث جيوشه إلى الحجاز فحاصروا مكة والمدينة، وضيّقوا عليهم حتى رجعوا إلى دعوتهم،

وخطب للعزیز بمكة، وكان أمير مكة عيسى بن جعفر، والمدينة طاهر بن مسلم، ومات في هذه السنة فولی ابنه الحسن وابن أخيه مكانه.  
بقية أخبار أفتكين:

ولما توفي المعز وولي العزیز قام أفتكين، وقصد البلاد التي لهم بساحل الشام فبدأ بصيدا فحاصرها، وبها ابن الشيخ في رؤوس المغاربة، وظالم بن موهوب العُقيليّ فبرزوا إليه، وقتلوه فاستنجد لهم، ثم كَرَّ عليهم وأوقع بهم، وقتل منهم أربعة آلاف، وسار إلى عكة فحاصرها، وقصد طبرية وفعل فيها مثل صيدا. ورجع واستشار العزیز وزيره يعقوب بن كلس فأشار بإرسال جوهر الكاتب إليه، فجَهَّزَه العزیز وبعثه، وأقبل أفتكين على أهل دمشق يريدهم التحوُّل عنهم، ويذكرهم بذلك ليختبرهم فتطارحوا إليه، واستماتوا واستحلفهم على ذلك، ووصل جوهر في ذي القعدة سنة خمس وستين فحاصر دمشق شهرين، وضيَّق حصارها وكتب أفتكين إلى الأعصم مَلِك القرامطة يستنجده، فسار إليه من الإحساء، واجتمع إليهم من رجال الشام والعرب نحو من خمسين ألفاً وأدركوا جوهرًا بالرملة، وقطعوا عنه الماء فارتحل إلى عسقلان فحاصروه بها حتى بلغ الجهد، وأرسل جوهر إلى أفتكين بالمغاربة والوعد. والقرمطيّ يمنعه، ثم سأله في الاجتماع فجاءه أفتكين، ولم يزل جوهر يعتل له في الدروة والغارب، وأفتكين يعتذر بالقرمطيّ ويقول: أنت حملتني على مداراته. فلما أيس منه، كشف له عمّا هم فيه من الضيق، وسأله الصنعة وأنها يتخذها عند العزیز فحلف له على ذلك، وعزله القرمطيّ. وأراه جوهر أن يحمل العزیز على المسير بنفسه فصمَّ من عزله وأبى إلاّ الوفاء، وانطلق جوهر إلى مصر وأغرى العزیز بالمسير إليهم، فتجهَّز في العساكر، وسار وجوهر في مقدّمته، ورجع أفتكين والقرمطيّ إلى الرملة، واحتشدوا ووصل العزیز فاصطفوا للحرب بظاهر الرملة في محرّم سنة سبع وستين. وبعث العزیز إلى أفتكين يدعوه إلى الطاعة، ويرعِّبه وبعده بالتقدّم في دولته، ويدعوه إلى الحضور عنده فتقدم بين الصقيين، وترجّل وقبّل الأرض وقال: قل لأمير المؤمنين لو كان قبل هذه لسارعت، وأما الآن فلا يمكنني. وحمل على المسيرة فهزمهم وقتل الكثير

منهم فامتعض العزيز وحمل هو والميمنة جميعاً فهزمهم، ووضع المغاربة  
السيف فقتلوا نحواً من



عشرين ألفاً. ثم نزل في خيامه، وجيء بالأسرى فخلع على من جاء بهم، وبذل لمن جاء بأفتكين مائة ألف دينار، فلقبه المفرج بن دغفل الطائي، وقد جهده العطش فاستسقاها، وتركه بعرضه مُكْرَمًا. وجاء إلى العزيز فأخبره بمكانه، وأخذ المائة ألف التي بذلها فيه، وأمكنه من قياده. ولما حضر عند العزيز وهو لا يشك أنه مقتول أكرمه العزيز ووصله، ونصب له الخيام، وأعاد إليه ما نهب له، ورجع به إلى مصر فجعله أخص خدمه وحجابه، وبعث إلى الأعصم القرمطيّ من يرده إليه ليصله، كما فعل بأفتكين فأدرك بطبرية، وامتنع من الرجوع فبعث إليه بعشرين ألف دينار، وفرضها له ضريبة. وسار القرمطيّ إلى الأحساء، وعاد العزيز إلى مصر، ورقى رتبة أفتكين وخصّ به الوزير يعقوب بن كلس فسّمه، وسمع العزيز بأنه سمّه فحبسه أربعين يوماً وصادره على خمسمائة ألف دينار، ثم خلع عليه، وأعادته إلى وزارته. وتوفي جوه الكاتب في ذي القعدة من سنة إحدى وثمانين، وقام ابنه الحسن مقامه، ولقب قائد القوّاد. وكان أفتكين قد استخلص أيام وزارته بدمشق رجلاً اسمه قسّام، فعلا صيته وكثُر تابعه، واستولى على البلد. ولما انهزم أفتكين والقرامطة، بعث العزيز القائد أبا محمود بن إبراهيم والياً على دمشق كما كان لأبيه المعزّ فوجد فيها قسّاماً قد ضبط البلد، وهو يدعو للعزيز فلم يتم له معه ولاية. وبقي قسّام مستبداً عليه إلى أن مات أبو محمود سنة سبعين. ثم جاء أبو ثعلب بن حمدان صاحب الموصل إلى دمشق، عند انهزامه أمام عضد الدولة فمنعه قسّام من الدخول، وخاف أن يغلبه على البلد بنفسه أو بأمر العزيز، واستوحش أبو ثعلب لذلك فقاتله قليلاً، ثم رحل إلى طبرية. وجاءت عساكر العزيز مع قائده الفضل فحاصروا قسّاماً بدمشق، ولم يظفروا به ورجعوا. ثم بعث العزيز سنة تسع وستين سليمان بن جعفر بن فلاح فنزل بظاهرها، ولم يمكنه قسّام من دخولها، ودسّ إلى الناس فقاتلوه، وأزعجوه عن مكانه. وكان مفرج بن الجراح أمير بني طيء، وسائر العرب بأرض فلسطين قد كثرت جموعه، وقويت شوكته، وعاث في البلاد، وخرّبها فجّهز العزيز العساكر لحربه مع قائده بلتكين التركيّ، فسار إلى الرملة، واجتمع إليه

العرب من قيس وغيرهم، ولقي ابن الجراح وقد أكن لهم بلكين من  
ورائهم، فانهزم ومضى إلى أنطاكية، فأجاره

صاحبها. وصادف خروج ملك الروم من القسطنطينية إلى بلاد الشام فخاف ابن الجراح، وكاتب بكجور مولى سيف الدولة وعامله على حمص، ولجأ إليه فأجاره. ثم زحف بلتكين إلى دمشق وأظهر لقسّام أنه جاء لإصلاح البلد. وكمان مع قسّام جيش بن الصمصامة ابن أخت أبي محمود قد قام بعده في ولايته، فخرج إلى بلتكين فأمره بالنزول معه بظاهر البلد هو وأصحابه. واستوحش قسّام وتجهّز للحرب. ثم قاتل وانهزم أصحابه، ودخل بلتكين أطراف البلد فنهبوا وأحرقوا. واعتزم أهل البلد على الإستئمان إلى بلتكين، وشافهوه بذلك فأذن لهم وسمع قسّام فاضطرب وألقى ما بيده، واستأمن الناس إلى بلتكين لأنفسهم ولقسّام فأمن الجميع. وولّى على البلد أميراً إسمه خطلج، فدخل البلد، وذلك في المحرم سنة إثنيتين وسبعين. ثم اختفى قسّام بعد يومين فنهبت دوره ودور أصحابه، وجاء ملقياً بنفسه على بلتكين فقبله، وحمله إلى مصر فأمنه العزيز. وكان بكجور في غويّة من غلمان سيف الدولة وعامله على حمص. وكان يمدّ دمشق أيام هذه الفتنة والغلاء، ويحمل الأقوات من حمص إليها، ويكتب العزيز بهذه الخدم. ثم استوحش سنة ثلاث وسبعين من موله أبي المعالي فاستنجز من العزيز وعده إياه بولاية دمشق، وصادف ذلك أنّ المغاربة بمصر أجمعوا على التوتّب بالوزير ابن كلس، ودعت الضرورة إلى استقدام بلتكين من دمشق فأمره العزيز بالقدوم، وولاية بكجور على دمشق ففعل، ودخلها بكجور في رجب من سنة ثلاث وسبعين، وعاث في أصحاب ابن كلس وحاشيته بدمشق، لما كان يبلغه عنه من صدّ العزيز عن ولايته. ثم أساء السيرة في أهل دمشق فسعى ابن كلس في عزله عند العزيز، وجّهز العساكر سنة ثمان وسبعين مع منير الخادم، وكتب إلى نزال عامل طرابلس بمظاهرتة، وجمع بكجور العرب وخرج للقاءه فانهزم. ثم خاف من وصول نزال فاستأمن لهم وتوجّه إلى الرقّة فاستولى عليها، ودخل منير دمشق واستقرّ في ولايتها، وارتفعت منزلته عند العزيز وجهزه لحصار سعد الدولة بحلب. وكان بكجور بعد انصرافه من دمشق إلى الرقّة سأل من سعد الدولة العوّد إلى ولاية حمص فممنعه فأجلب عليه، واستنجد العزيز لحربه، وبعث إلى نزال عامل طرابلس بمظاهرتة فسار إليه بالعساكر، وخرج سعد الدولة من حلب

للقائهم. وقد أضمّر نزال الغدر ببكجور، وتقدّم إليه بذلك عيسى بن  
نسطورس وزير العزيز بعد ابن كلس. وجاء سعد الدولة للقائهم، وقد استمدّ  
عامل أنطاكية للروم فامدّه بجيش

كثير وداخل العرب الذين مع بكجور في الإنهزام عنه، ووعدوه ذلك من أنفسهم، فلما تراءى الجمعان، وشعر بكجور بخديعة العرب فاستمات، وحمل على الصفّ بقصد سعد الدولة فقتل لؤلؤ الكبير مولاه بطعنه إياه، ثم حمل عليه سعد الدولة فهزّمه، فسار إلى بعض العرب، وحمل إلى سعد الدولة فقتله، وسار إلى الرقّة فملكها وقبض جميع أمواله وكانت شيئاً لا يعبر عنه. وكتب أولاده إلى العزيز يستشفعون به فشفع إلى سعد الدولة فيهم أن يبعثهم إلى مصر، ويتهدّده على ذلك فأساء سعد الدولة الرّدّ، وجّهز لحصار حلب الجيوش مع منجوتكين، فنزل عليها وحاصرها، وبها أبو الفضائل بن سعد الدولة، ومولاه لؤلؤ الصغير. وأرسل إلى بسيل ملك الروم يستجدّاه، وهو في قتال بلغار فبعث إلى عامل أنطاكية أن يمدهما، فسار في خمسين ألفاً حتى نزل حبس العاصي، وبلغ خبره إلى منجوتكين فارتحل عن حلب، ولقي الروم فهزّمهم وأثخن فيهم قتلاً وأسرا. وسار إلى أنطاكية وعاث في نواحيها، وخرج أبو الفضائل في مغيب منجوتكين إلى ضواحي حلب، فنقل ما فيها من الغلال وأحرق بقيتها لتفقد عساكر منجوتكين الأوقات. فلما عاد منجوتكين إلى الحصار، جهّز عسكره، وأرسل لؤلؤ إلى أبي الحسن المغربيّ في الصلح، فعقد له ذلك، ورحل منجوتكين إلى دمشق، وبلغ الخبر إلى العزيز فغضب، وكتب إلى منجوتكين بالعود إلى حصار حلب وإبعاد الوزير المغربيّ، وأنفذ الأوقات للعسكر في البحر إلى طرابلس. وأقام منجوتكين في حصار حلب. وأعادوا مراسلة ملك الروم فاستتجدوه وأغروه، وكان قد توسط بلاد البلغار فعاد مجدّاً في السير. وبعث لؤلؤ إلى منجوتكين بالخبر حذراً على ال مسلمين، وجاءته جواسيسه بذلك فأجفل بعد أن خرّب ما كان اتخذ في الحصار من الأسواق والقصور والحمامات. ووصل ملك الروم إلى حلب ولقي أبا الفضائل ولؤلؤاً، ثم سار في الشام وافتتح حمص وشيزر، ونهبهما، وحاصر طرابلس أربعين يوماً، فامتنعت عليه، وعاد إلى بلاده، وبلغ الخبر إلى العزيز فعظم عليه، واستنفر الناس للجهاد، وبرز من القاهرة، وذلك سنة إحدى وثمانين. ثم انتقض منير في دمشق، فزحف إليه منجوتكين إلى دمشق.

### أخبار الوزراء

كان وزير المعز لدين الله، يعقوب بن يوسف بن كلثوم بن كلس أصله من اليهود وأسلم، وكان يدبّر الأحوال الأخشيدية بمصر، وعزله أبو الفضائل بن الفرات سنة سبع وخمسين، وصادره فاستتر بمصر، ثم قر إلى المغرب ولقي المعز لدين الله، وجاء في ركابه إلى مصر فاستوزره وعظم مقامه عنده، واستوزره بعده ابنه العزيز إلى أن توفي سنة ثمانين، وصلى عليه العزيز وحضر دفنه، وقضى عنه دينه، وقسم عمله فرّد النظر في الظلمات إلى الحسن بن عمّار كبير كتامة، وردّ النظر في الأموال إلى عيسى بن نسطورس، ولم تزل الوزارة سائر دولتهم في أرباب الأقلام، وكانوا بمكان، وكان منهم البارزي. وكان مع الوزارة قاضي القضاة وداعي الدعاة. وسأل أن يرسم إسمه على السكة فغرب ومنع، ومات قتيلًا بتنيس. وأبو سعيد النسري، وكان يهودياً وأسلم قبل وزارته، والجرجاني وقطع الجرجاني في أمر منع من الكتب فيه فكتب وحلف الحاكم بيمين لا تكفر ليُقطعته. ثم ردّه بعد ثلاث وخلع عليه وابن أبي كدينة ثلاثة عشر شهراً. ثم صرف وقتل وأبو الطاهر بن ياشاد، وكان من أهل الدين واستعفى فأعفي، وأقام معتكفاً في جامع مصر، وسقط ليلة من السطح فمات. وكان آخرهم الوزير أبو القاسم بن المغربي، وكان بعده بدر الجيالي أيام المستنصر وزير سيف الدولة، واستبدّ له على الدولة، ومن بعده منهم كما يأتي في أخبارهم.

### أخبار القضاة

كان الثّعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون في خطة القضاء للمعزّ بالقيروان. ولما جاء إلى مصر أقام بها في خطة القضاء إلى أن توفي، وولي ابنه عليّ، ثم توفي سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، فولّى العزيز أخاه أبا عبد الله محمداً، خلع عليه وقُدّده سيفاً. وكان المعز قد وعد أباه بقضاء ابنه محمد هذا بمصر، وتمّ في سنة تسع وثمانين أيام الحاكم. وكان كبير الصيت، كثير الإحسان، شديد الاحتياط في العدالة فكانت أيامه شريفة. ووليّ بعده ابن عمه أبو عبد الله الحسين علي بن الثّعمان أيام الحاكم،

ثم عزل سنة أربع وتسعين، وقتل وأحرق بالنار، وولِيَ مكانه ملكة بن سعيد الفارقيّ إلى أن قتله الحاكم سنة خمس وأربعمئة بنواحي القصور، وكان عالم المنزلة عند الحاكم ومداخلاً له في أمور الدولة، وخالصة له في خلواته. وولّى بعده أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي العوّام. واتصل في آخرين إلى آخر دولتهم، كان كثيراً ما يجمعون للقاضي المظالم والدعوة، فيكون داعي الدعاة، وربما يفردون كلاً منهما. وكان القاضي عندهم يصعد مع الخليفة المنبر مع من يصعده من أهل دولته عندما يخطب الخلفاء في الجمع والأعياد.

وفاة المعز وولاية ابنه الحاكم:

قد تقدم لنا أنّ العزيز استنفر الناس للجهاد سنة إحدى وثمانين، وبرز في العساكر لغزو الروم، ونزل بلبيس فاعتورته الامراض، واتصلت به إلى أن هلك آخر رمضان سنة ست وثمانين لإحدى عشرة سنة ونصف من خلافته، ولقّب الحاكم بأمر الله، واستولى برجوان الخادم على دولته كما كان لأبيه العزيز بوصيته بذلك، وكان مدبّر دولته، وكان رديفه في ذلك أبو محمد الحسن بن عمّار ويلقّب بأمين الدولة، وتغلّب على ابن عمّار، وانبسطت أيدي كتامة في أموال الناس وحرّمهم، ونكر منجوتكين تقديم ابن عمّار في الدولة، وكاتب برجوان بالموافقة على ذلك فأظهر الانتقاض، وجّهز العساكر لقتاله مع سليمان بن جعفر بن فلاح فلقيهم بعسقلان، وانهزم منجوتكين وأصحابه، وقتل منهم ألفين، وسيق أسيراً إلى مصر فأبقى عليه ابن عمّار، واستماله للمشاركة، وعقد على الشام لسليمان بن فلاح، ويكنى أبا تميم، فبعث من طبرية أخاه علياً إلى دمشق، فامتنع أهلها، فكاتبهم أبو تميم، وتهدّدهم وأذعنوا، ودخل على البلد ففتك فيهم. ثم قدّم أبو تميم فأمن وأحسن، وبعث أخاه علياً إلى طرابلس، وعزل عنها جيش ابن الصمصامة فسار إلى مصر، وداخل برجوان في الفتك بالحسن بن عمّار وأعيان كتامة، وكان معهما في ذلك شكر خادم عضد الدولة، نزع إلى مصر بعد مهلك عضد الدولة، ونكبة أخيه شرف الدولة إياه، فخلص إلى العزيز فقربّه، وحظي عنده، فكان مع برجوان وجيش بن الصمصامة. وثارت الفتنة، واقتتل

المشاركة والمغاربة فانهزمت المغاربة، واختفى ابن عمّار وأظهر برجوان  
الحاكم وجدّد



له البيعة، وكتب إلى دمشق بالقبض على أبي تميم بن فلاح فنهب، ونهبت خزائنه، واستمرّ القتل في كتامة واضطربت الفتنة بدمشق، واستولي الأحداث. ثم أذن برجوان لابن عمّار شي الخروج من أستاره، وأجرى له أرزاقه على أن يقيم بداره. واضطرب الشام فانتقض أهل صور، وقام بها رجلٌ ملاحٌ اسمه العلاءة، وانتقض مُقَرِّج بن دغفل بن الجراح، ونزل على الرملة، وعات في البلاد، وزحف الدوقش ملك الروم إلى حصن أفامية محاصراً لها. وجّهز برجوان العساكر مع جيش ابن الصمصامة فسار إلى عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدون، وأسطولاً في البحر، واستنجد العلاءة ملك الروم فأنجده بالمقاتلة في المراكب، فظفر بهم أسطول المسلمين. واضطرب أهل صور، وملكها ابن حمدان، وأسر العلاءة، وُبعث به إلى مصر فسلب ووصل إلى دمشق وتلقاه أهلها مذعنين، وأحسن إليهم وسكّنهم، ورفع أيدي العدوان عنهم. ثم سار إلى أفامية وصاف الروم عندها فانهزم أولاً هو وأصحابه، وثبت بشارة أخشيدي بن قرارة في خمسمائة فارس، ووقف الدوقش ملك الروم على رابية في ولده، وعدة من غلمانه ينظر فعل الروم في المسلمين، فقصد كردي من مصاف الأخشيدي، وبيده عصا من حديد يسمّى الخشت، وظنّه الملك مستأمناً، فلما دنا منه ضربه بالخشت فقتله، وانهزم الروم وأتبعهم جيش بن الصمصامة إلى أنطاكية يغتم ويسبى ويحرق. ثم عاد مظفراً إلى دمشق فنزل بظاهرها ولم يدخل. واستخلص رؤساء الأحداث واستحجبتهم وأقيم له الطعام في كل يوم، وأقام على ذلك برهة. ثم أمر أصحابه إذا دخلوا للطعام أن يغلق باب الحجره عليهم، ويوضع السيف في سائرهم، فقتل منهم ثلاثة آلاف، ودخل دمشق، وطاف بها، وأحضر الأشرف فقتل رؤساء الأحداث بين أيديهم، وبعث بهم إلى مصر، وأمّن الناس. ثم إنه توفي وولّى محمود بن جيش، وبعث برجوان إلى بسيل ملك الروم فصالحه لعشر سنين، وبعث جيشاً إلى برقة وطرابلس المغرب ففتحها، وولّى عليها يانساً الصقليّ. ثم ثقل مكان برجوان على الحاكم فقتله سنة تسع وثمانين، وكان خصيّاً أبيض، وكان له

وزير نصراني استوزره الحاكم من بعده. ثم قتل الحسين بن عمّار، ثم الحسين بن جوهر القائد. ثم جهّز العساكر مع يارختكين إلى حلب،

وقصد حسّان بن فرج الطائي، لما بلغ من عيئه وفساده. فلما رحل من غزوه إلى عسقلان لقيه حسّان وأبوه مفرج فانهزم وقتل، ونهبت النواحي، وكثرت جموع بني الجرّاح، وملكوا الرملة، واستقدموا الشريف أبا الفتوح الحسن بن جعفر أمير مكة فبايعوه بالخلافة. ثم استمالهما الحاكم ورغبهما فردّاه إلى مكة، وراجعا طاعة الحاكم، وراجع هو كذلك، وخطب له بمكة. ثم جهّز الحاكم العساكر إلى الشام مع عليّ ابن جعفر بن فلاح، وقصد الرملة، فانهزم حسّان بن مفرج وقومه، وغلبهم على تلك البلاد واستولى على أموالهم وذخائرهم، وأخذ ما كان لهم من الحصون بجبل السراة، ووصل إلى دمشق في شوّال سنة تسعين، فملكها واستولى عليها، وأقام مفرج وابنه حسّان شريدين بالقفز نحواً من سنتين. ثم هلك مفرج، وبعث حسّان ابنه إلى الحاكم فأمنه وأقطعه، ثم وفد عليه بمصر فأكرمه ووصله.

خروج أبي ركوّة ببرقة والظفر به:

كان أبو ركوّة هذا يزعم أنه الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الداخل، وأنه هرب من المنصور بن أبي عامر حين تتبّعهم بالقتل وهو ابن عشرين سنة، وقصد القيروان فأقام بها يعلم الصبيان. ثم قصد مصر وكتب الحديث، ثم سار إلى مكة واليمن والشام، وكان يدعو للقائم من ولد أبيه هشام، وإسمه الوليد، وإنما لقبه أبا ركوّة لأنه كان يحملها لوضوئه على عادة الصوفيّة. ثم عاد إلى نواحي مصر ونزل على بني قُرّة من بادية هلال بن عامر، وأقام يعلم الصبيان ويؤمهم في صلاتهم. ثم أظهر ما في نفسه، ودعا للقائم. وكان الحاكم قد اسرف في القتل في أصناف الناس وطبقاتهم، والناس معه على خطر، وكان قتل جماعة من بني قُرّة، وأحرقهم بالنار لفسادهم، فبادر بنو قُرّة، وكانوا في أعمال برقة فأجابوه وانقادوا له وبايعوا. وكان بينهم وبين لواتة ومزاتة وزناتة جيرانهم في الاصل حروب ودماء فوضعوها، واتفقوا على بيعته. وكتب عامل برقة أنيال الطويل بخبرهم إلى الحاكم فأمره بالكف عنهم. ثم اجتمعوا وساروا إلى برقة فهزموا العامل برمادة، وملكوا برقة، وغنموا الأموال والسلاح وقتلوه. وأظهر أبو ركوّة العدل، وبلغ الخبر إلى الحاكم فاطمأنت نفسه، وكف عن

الأذى والقتل، وجَهَّز خمسة آلاف فارس مع القائد أبي الفتوح الفضل بن صالح فبلغ ذات الحَمَّام، وبينها وبين برقة مفازة صعبة معطشة، وأمر أبو ركوته من غور المياه التي فيها. على قلبها. ثم سار للقائهم بعد خروجهم من المفازة على جهد العطش فقاتلهم، ونال منهم وثبت أبو ركوته، واستأمن إليه جماعة من كتامة لما نالهم من أذى الحاكم وقتله فأمنهم، ولحقوا به، وانهمت عساكر الحاكم، وقتل خلق كثير منهم. ورجع أبو ركوته إلى برقة ظافراً، وردد البعوث والسرايا إلى الصعيد وأرض مصر. وأهم الحاكم أمره، وندم على ما قرط. وجَهَّز عليّ بن فلاح العساكر لحربهم. وكاتب الناس أبا ركوته يستدعونه، وممن كتب إليه الحسن بن جوهر قائد القوَّاد، وبعثهم في ستة عشر ألف مقاتل سوى العرب، وبعث أخاه في سرية فواقع بني قُرَّة وهزمهم، وقتل من شيوخهم عبد العزيز بن مَّصعب، ورافع بن طراد ومحمد بن أبي بكر، واستمال الفضل بني قُرَّة فأجابه ماضي بن مقرب من أمرائهم، وكان يطالعه بأخبارهم. وبعث عليّ بن فلاح عسكرياً إلى الفيوم فكبسه بنو قُرَّة وهزموه، ونزل أبو ركوته بالهرمين، ورجع من يومه. ثم رحل الفضل إلى الفيوم لقاتلهم فواقعهم برأس البركة وهزمهم، واستأمن بنو كلاب وغيرهم، ورجع عليّ بن فلاح، وتقدّم الفضل لطلب أبي ركوته، وخذل ماضي بن مقرب بني قُرَّة عن أبي ركوته فقالوا له أنج بنفسك إلى بلد النوبة، ووصل إلى تخومهم وقال: أنا رسول الحاكم، فقالوا: لا بدّ من استئذان الملك، فوكلوا به، وطالعوا الملك بحقيقة الحال. وكان صغيراً قد ولي بعد سرقة أبيه، وبعث إليه الفضل بشأنه، وطلبه فكتب إلى شجرة بن مينا قائد الخيل بالثغر بأن يسلمه إلى نائب الحاكم، فجاء به رسول الفضل، وأنزله الفضل في خيمة، وحمله إلى مصر فطيف به على جمل لابسا طرطوراً وخلفه قرد يصفعه. ثم حمل إلى ظاهر القاهرة ليقتل، فمات قبل وصوله، وقُطع رأسه ووضِلب. وبالغ الحاكم في إكرام الفضل، ورفع مرتبته، ثم قتله بعد ذلك، وكان ظفر الحاكم بأبي ركوته سنة سبع وتسعين.

### بقية أخبار الحاكم:

كان الحسن بن عمّار زعيم كتامة مدبر دولته كما ذكرناه، وكان برجوان خادمه وكافله، وكان بين الموالي والكتاميين في الدولة منافسة. وكان كثيراً ما يفضي إلى القتال. واقتتلوا سنة سبع وثمانين. وأركب المغاربة ابن عمّار، والموالي برجوان، وكانت بينهم حروب شديدة. ثم تجاوزوا واعتزل ابن عمّار الأمور، وتخلّى بداره عن رسومه وجراياته، وتقدّم برجوان بتدبير الدولة. وكان كاتب بن فهر بن إبراهيم يربع، وينظر في الظلمات، ويطالعه. وولّى على برقة يانس صاحب الشرطة مكان صندل. ثم قتل برجوان سنة تسع وثمانين، ورجع التدبير إلى القائد أبي عبد الله الحسين بن جوهر، وبقي ابن فهر على حاله. وفي سنة تسعين انقطعت طرابلس عن منصور بن بلكين بن زيري صاحب أفريقية، وولّى عليها يانس العزيزي، من موالي العزيز، فوصل إليها، وأمكته عامل المنصور منها، وهو عصولة بن بكّار. وجاء إلى الحاكم بأهله وولده وماله وأطلق يد يانس على مخلفه بطرابلس، يقال كان له من الولد نيف وستون بين ذكر وأنثى، ومن السراري خمس وثلاثون فتلقّى بالمبرة وهبيء له القصور، ورُتّب له الجراية وقلده دمشق وأعمالها، فهلك بها لسنة من ولايته. وفي سنة إثنين وتسعين وصل الصريح من جهة فلفول بن خزرون المَغراوي في ارتجاع طرابلس إلى منصور بن بلكين، فجهّزَت العساكر مع يحيى بن علي الأندلسي الذي كان جعفر أخوه عامل الزاب للعبديين، ونزع إلى بني أمية وراء البحر. ولم يزل هو وأخوه في تصريفهم إلى أن قتل المنصور بن أبي عامر جعفرًا منهما، ونزع أخوه يحيى إلى العزيز بمصر فنزل عليه، وتصرّف في خدمته وبعثه الآن الحاكم في العساكر لما قدّمناه، فاعترضه بنو قُرّة ببرقة ففصّوا جموعه. ورجع إلى مصر وسار يانس من برقة إلى طرابلس، فكان من شأنه مع عصولة ما ذكرناه. وبعد وفاة عصولة وليّ على دمشق مفلح الخادم، وبعده عليّ بن فلاح سنة ثمان وتسعين. وبعد مسير يانس وليّ على برقة صندل الأسود. وفي سنة ثمان وتسعين عزل الحسين بن جوهر القائد، وقام

بتدبير الدولة صالح بن علي بن صالح الروباضي. ثم نكب حسين القائد بعد ذلك وقتل، ثم قتل صالح بعد ذلك، وقام بتدبير الدولة الكافي بن نصر بن عبدون، وبعده زُرعة بن عيسى بن نسطورس، ثم أبو عبد الله الحسن بن طاهر الوّزان. وكثر عيث الحاكم في أهل دولته، وقتلهم مثل الجرجري وقطعه أيديهم، حتى أنّ كثيراً منهم كانوا يهربون من سطوته، وآخرون يطلبون الأمان فيكتب لهم به السجّلات. وكان حاله مضطرباً في الجور والعدل، والإخافة والأمن، والنسك والبدعة. وأمّا ما يرمى به من الكفر، وصدور السجّلات بإسقاط الصلوات فغير صحيح، ولا يقوله ذو عقل، ولو صدر من الحاكم بعض ذلك لقتل لوقته. وأمّا مذهبه في الرفض فمعروف. ولقد كان مضطرباً فيه مع ذلك، فكان يأذن في صلاة التراويح ثم ينهي عنها. وكان يرى بعلم النجوم ويؤثره، وينقل عنه أنه منع النساء من التصرف في الأسواق، ومنع من أكل الملوخيا. ورفع إليه أنّ جماعة من الروافض تعرضوا لأهل السنّة في التراويح بالرجم، وفي الجنائز فكتب في ذلك سجلاً قرىء على المنبر بمصر كان فيه: أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين، يتلو عليكم آية من كتاب الله المبين، {لا إكراه في الدين} [الآية]. مضى أمس بما فيه، وأتى اليوم بما يقتضيه. معاشر المسلمين نحن الأئمة، وأنتم الأمة لا يحلّ قتل من شهد الشهادتين ولا يحلّ عروة بين إثنين، تجمعها هذه الأخوة، عصم الله بها من عصم، وحرم لها ما حرم، من كل محرّم، من دم ومال ومنكح، الصلح والأصلح بين الناس أصلح، والفساد والإفساد من العبّاد يستقيح. يطوى ما كان فيما مضى فلا يُنشر، ويعرض عما انقضى فلا يُذكر. ولا يقبل على ما مرّ وأدبر من إجراء الأمور على ما كانت عليه في الأيام الخالية أيام آبائنا الأئمة المهتدين، سلام الله عليهم أجمعين، مهديهم بالله، وقائمهم بأمر الله، ومنصورهم بالله، ومعزّهم لدين الله، وهو إذ ذاك بالمهديّة والمنصوريّة، وأحوال القيروان تجري فيها ظاهرة غير خفيّة، ليست بمستورة عنهم ولا مطويّة. يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون، ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون، صلاة الخمس للدين بها جاءهم فيها يصلون، وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون. يخمس في التكبير على الجنائز

المخمسون، ولا يمنع من التكبير عليها المرّبعون. يؤدّن بحيّ على خير العمل المؤدّنون، ولا يؤذى من بها لا يؤدّنون. لا يسبّ أحد من السلف، ولا يحتسب على الواصف فيهم بما يوصف، والخالف فيهم بما خلف. لكل مسلم مجتهد في دينه اجتهاده وإلى الله ربّه ميعاده، عنده كتابه، وعليه حسابه. ليكن عباد الله على مثل هذا عملكم منذ اليوم، لا يستعلي مسلم على مسلم بما اعتقده، ولا يعترض معترض على صاحبه فيما اعتمده. من جميع ما نصّه أمير المؤمنين في سجلّه هذا، وبعد قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون} والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. كتب في رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة.

#### وفاة الحاكم وولاية الظاهر:

ثم توفي الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز نزار، قتيلاً ببركة الحبش بمصر، وكان يركب الحمار ويطوف بالليل، ويخلو بدار في جبل المقطم للعبادة، ويقال لاستئزال روحانية الكواكب. فصعد ليلة من ليالي لثلاث بقين من شوال سنة إحدى عشرة ركب على عادته ومشى معه راكبان فردّهما واحداً بعد آخر في تصاريف أموره. ثم افتقّد ولم يرجع، وأقاموا أياماً في انتظاره. ثم خرج مُظفّر الصقلي والقاضي وبعض الخواصّ إلى الجبل فوجدوا حماره مقطوع اليدين، واتبعوا أثره إلى بركة الحبش فوجدوا ثيابه مُزّرة، وفيها عدّة ضربات بالسكاكين فأيقنوا بقتله. ويقال إنّ أخته بلغه أنّ الرجال يتناوبون بها فتوعّدها فأرسلت إلى ابن دواس من قوّاد كتامة، وكان يخاف الحاكم فأغرته بقتله، وهوّنته عليه، لما يرميه به الناس من سوء العقيدة، فقد يهلك الناس ونهلك معه. ووعدته بالمنزلة والاقطاع، فبعث إليه

رجلين فقتلاه في خلوته. ولما أيقنوا بقتله اجتمعوا إلى أخته ست الملك فأحضرت عليّ بن دواس، وأجلس علي بن الحاكم صبيّاً لم يناهز الحلم، وباع له الناس ولقّب الظاهر لإعزاز دين الله، ونفذت الكتب إلى البلاد بأخذ البيعة له. ثم حضر ابن دواس من الغد، وحضر معه القوّاد فأمرت ست الملك خادمها فعلاه بالسيف امامهم حتى قتله، وهو ينادي بثأر الحاكم فلم يختلف فيه اثنان، وقامت بتدبير الدولة أربع سنين. ثم ماتت، وقام بتدبير الدولة الخادم مِعْضاد وتافر بن الوزّان، وولى وزارته أبو القاسم علي بن احمد الجرجري وكان متغلباً على دولته، وانتقض الشام خلال ذلك، وتغلّب صالح بن مرداس من بني كلاب على حلب، وعاث بنو الجراح في نواحيه فبعث الظاهر سنة عشرين قائده الزيريري والي فلسطين في العساكر، وأوقع بصالح بن الجراح، وقُتِل صالح وابنه وملك دمشق. وملك حلب من يد شبل الدولة نصر بن صالح وقتله، وكان بينه وبين بني الجراح قبل ذلك وهو بفلسطين حروب؟ حتى هرب من الرملة إلى قيسارية فاعتصم بها، وأخرب ابن الجراح الرملة واحرقها. وبعث السرايا فانتهدت إلى العريش وخشي أهل بلبيس وأهل القرافة على أنفسهم فانتقلوا إلى مصر، وزحف صالح بن مرداس في جموع العرب لحصار دمشق، وعليها يومئذ ذو القرنين ناصر الدولة بن الحسين. وبعث حسّان بن الجراح إليهم بالمدد، ثم صالحوا صالح بن مرداس، وانتقل إلى حصار حلب، وملكها من يد شعبان الكتامي وجرّدت العساكر من الشام مع الوزير، وكان ما تقدّم، وملك دمشق وأقام بها.

وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر:

ثم توفي الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن عليّ ابن الحاكم منتصف شعبان سنة سبع وعشرين لست عشرة سنة من خلافته، فولى ابنه أبو تميم معدّ، ولقّب المستنصر بأمر الله، وقام بأمره وزير أبيه أبو القاسم عليّ بن أحمد الجرجري، وكان بدمشق



الوزيرى واسمه أقوش تكين. وكانت البلاد صلحت على يديه لعدله ورفقه وضبطه، وكان الوزير الجرجراي يحسده ويبغضه، وكتب إليه بإبعاد كاتبه ابي سعيد فانفذ إليه أنه يحمل الوزيرى على الانتقاض فلم يجب الوزيرى إلى ذلك واستوحش، وجاء جماعة من الجند إلى مصر في بعض حاجاتهم فدخلهم الجرجراي في التوتُّب به، ودرس معهم بذلك إلى بقية الجند بدمشق فتعللوا عليه \* فخرج إلى بعلبك سنة ثلاث وثلاثين، فمنعه عاملها من الدخول فسار إلى حماة فمُنِع أيضاً فقوتل، وهو خلال ذلك ينهب فاستدعى بعض اوليائه من كفر طاب، فوصل إليه في ألفي رجل، وسار إلى حلب فدخلها وتوفي بها في جمادى الآخرة من السنة، وفسد بعده أمر الشام، وطمع العرب في نواحيه، وولّى الجرجراي على دمشق الحسين بن حمدان فكان قصارى أمره منع الشام، وملك حسان بن مفرّج فلسطين، وزحف معزّ الدولة بن صالح الكلابي إلى حلب فملك المدينة، وامتنع عليه أصحاب القلعة، وبعثوا إلى مصر للنجدة فلم ينجدهم فسلّموا القلعة لمعزّ الدولة بن صالح فملكها.

#### مسير العرب إلى إفريقية:

كان المعز بن باديس قد انتقض دعوة العبيدين بإفريقية، وخطب للقائم العباسي، وقطع الخطبة للمستنصر العلويّ سنة أربعين وأربعمائة فكتب إليه المستنصر يتهدّده. ثم إنه استوزر الحسين بن علي التازوري بعد الجرجراي، ولم يكن في رتبته فخاطبه المعز دون ما كان يخاطب من قبله، كان يقول في كتابه إليهم عبده، ويقول في كتاب التازوري صنيعته فحقد ذلك، واغرى به المستنصر واصلح بين زغبة ورياح من بطون هلال، وبعثهم إلى إفريقية وملكهم كل ما يفتحونه، وبعث إلى المعز: أما بعد فقد أرسلنا إليك خيولاً، وحملنا عليها رجالاً فحولاً، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فساروا إلى برقة فوجدوها خالية، لأن المعز كان اباد أهلها من زناته فاستوطن العرب برقة، واحتقر المعز شأنهم، واشترى العبيد واستكثر منهم، حتى اجتمع له منهم ثلاثون ألفاً. وزحف بنو زغبة إلى طرابلس فملكوها سنة ست وأربعين، وجازت رياح الأتيح وبنو عدي إلى إفريقية فأضرموها ناراً. ثم سار امراؤهم إلى المعز، وكبيرهم مؤنس بن يحيى من بني مرداس من زياد فأكرمهم المعز، وأجزل لهم عطاياه فلم يغن شيئاً، وخرجوا إلى ما كانوا عليه من الفساد، ونزل بإفريقية بلاء لم ينزل بها مثله. فخرج إليهم المعز في جموعه من صنهاجة والسودان نحو من ثلاثين ألفاً، والعرب في ثلاثة آلاف فهزموه واثخنوا في صنهاجة بالقتل واستباحوهم. ودخل المعز القيروان مهزوماً. ثم بيثهم بوم النحر، وهم في الصلاة فهزموه أعظم من الأولى. ثم سار إليهم بعد أن احتشد زناته معه فانهزم ثالثة، وقتل من عساكره نحو من ثلاثة آلاف، ونزل العرب بمصلّى القيروان، ووالوا عليهم الهزائم، وقتلت منهم أمم. ثم أباح لهم المعز دخول القيروان للميرة فاستطالت عليهم العامة فقتلوا منهم خلقاً، وأدار المعز السور على القيروان سنة ست وأربعين. ثم ملك مؤنس بن يحيى مدينة باجة سنة ست وأربعين، وأمر المعز أهل القيروان بالانتقال إلى المهدية للتحصين بها، وولّى عليها ابنه تيمّا سنة خمس وأربعين. ثم انتقل إليها سنة تسع وأربعين، وانطلقت أيدي العرب على القيروان بالنهب والتخريب، وعلى سائر الحصون والقرى كما يذكر في أخبارهم. ثم كانت الخطبة للمستنصر ببغداد على يد البساسيري من مماليك بني بويه عند انقراض دولتهم، واستيلاء السلجوقية كما نذكره في أخبارهم.

مقتل ناصر الدولة ابن حمدان بمصر:

كانت أمّ المستنصر متغلّبة على دولته، وكانت تصطنع الوزراء وتوليهم، وكانوا يتخذون الموالي من الأتراك للتغلّب على الدولة. فمن استوحشت منه أغرت به المستنصر فقتله. فاستوزرت أولاً أبا الفتح الفلاحى، ثم استوحشت منه فقبض عليه المستنصر وقتله، ووزر بعده أبا البركات حسن بن محمد وعزله. ثم ولي الوزارة أبا محمد التازوري من

قرية بالرملة تسمى تازور، فقام بالدولة إلى أن قتل. ووزر بعده أبو عبد الله الحسين ابن البابلي، وكان في الدولة من موالي السودان ناصر الدولة بن حمدان، واستمالوا معهم كتامة والمصامدة. وخرج العبيد إلى الضياع واجتمعوا في خمسين ألف مقاتل، وكان الأتراك ستة آلاف، وشكوا إلى المستنصر فلم يشكهم، فخرجوا إلى غرماثهم والتقوا بكموم الريش، وأكمن الأتراك للعبيد ولقوهم فانهزموا، وخرج كمينهم على العبيد، وضربوا البوقات والكاسات فارتاب العبيد وظنّوه المستنصر فانهزموا وقتل منهم وغرق نحو أربعين ألفاً. وفدى الأتراك وتغلبوا، وعظم الإفتراء فيهم فخلت الخزائن، واضطربت الأمور وتجمّع باقي العسكر من الشام وغيره إلى الصعيد، واجتمعوا مع العبيد وكانوا خمسة عشر ألفاً، وساروا إلى الجيزة فلقبهم الأتراك، وعليهم ناصر الدولة بن حمدان فهزموهم إلى الصعيد، وعاد ناصر الدولة والأتراك ظافرين. واجتمع العبيد في الصعيد، وحضر الأتراك بدار المستنصر فأمرت أمه العبيد بالدار أن يفتكوا بمقدمي الأتراك ففعلوا وهربوا إلى ظاهر البلد، ومعهم ناصر الدولة، وقاتل أولياء المستنصر فهزمهم، وملك الإسكندرية ودمياط وقطع الخطبة منهما ومن سائر الريف للمستنصر. وراسل الخليفة العبّاسيّ ببغداد وافترق الناس من القاهرة. ثم صالح المستنصر ودخل القاهرة واستبَدَّ عليه، وصادر أمه على خمسين ألف دينار، وافترق عنه أولاده وكثير من أهله في البلاد. ودسّ المستنصر لقوود الأتراك بأنه يحول الدعوة فامتعضوا لذلك، وقصدوه في بيته، وهو آمن منهم فلما خرج إليهم تناولوه بسيوفهم حتى قتلوه وجاءوا برأسه، ومروا على أخيه في بيته فقطعوا رأسه، وأتوا بهما جميعاً إلى المستنصر، وذلك سنة خمس وستين، وولّى عليهم الذكر منهم وقام بأمر الدولة.

باستيلاء بدر الجمالي علي الدولة:

أصل بدر هذا من الأرمن من صنائع الدولة بمصر وواليتها، وكان حاجباً لصاحب دمشق، واستكفاه فيما وراء بابه. ثم مات صاحب دمشق فقام بالأمور إلى أن وصل الأمير على دمشق، وهو ابن منير فسار هو إلى مصر

وترقّى في الولايات إلى أن ولي عكّا وظهر منه كفاية واضطلاع. ولما وقع  
بالمستنصر ما وقع من استيلاء الترك عليه،

والفساد والتضييق، استقدم بدرا الجمالي لولاية الأمور بالحضرة فاستأذن في الاستكثار من الجند لقهر من تغلب من جند مصر فأذن له في ذلك، وركب البحر من عكا في عشرة مراكب، ومعه جند كثيف من الارمن وغيرهم فوصل إلى مصر، وحضر عند الخليفة فولاه ما وراء بابه، وخلع عليه بالعقد المنظوم بالجواهر مكان الطوق، ولقبه بالسيد الأجل أمير الجيوش، مثل والي دمشق. وأضيف إلى ذلك كافل قضاة المسلمين، وداعي دعاة المؤمنين، ورُتب الوزارة وزاده سيفه ورد الأمور كُلِّها إليه، ومنه إلى الخليفة. وعاهده الخليفة على ذلك، وجعل إليه ولاية الدعاة والقضاة، وكان مبالغاً في مذهب الإمامية فقام بالأمور، واستردَّ ما كان تغلَّب عليه أهل النواحي مثل ابن عفار بطرابلس، وابن معروف بعسقلان وبني عقيل بصور. ثم استرد من القوَّاد والأمراء بمصر جميع ما أخذوه أيام الفتنة من المستنصر من الأموال والأمتعة. وسار إلى دمياط وقد تغلَّب عليها جماعة من المفسدين من العرب وغيرهم فأثخن في لواته بالقتل والنهب في الرجال والنساء، وسبى نساءهم، وغنم خيولهم. ثم سار إلى جهينة وقد ثاروا ومعهم قوم من بني جعفر فلقبهم على طرخ العليا سنة تسع وستين فهزمهم، وأثخن فيهم، وغنم أموالهم. ثم سار إلى أسوان وقد تغلب عليها كنز الدولة محمد فقتله وملكها، وأحسن إلى الرعايا ونظَّم حالهم وأسقط عنهم الخراج ثلاث سنين، وعادت الدولة إلى أحسن ما كانت عليه.

وصول الغز إلى الشام واستيلاؤهم عليه وحصارهم مصر:

كان السلجوقية وعساكرهم من الغز قد استولوا في هذا العصر على خراسان والعراقين وبغداد، وملكهم طغرلبك، وانتشرت عساكرهم في سائر الأقطار، وزحف إتسز

بن أنز من أمراء السلطان ملك شاه وسماه الشاميون أفسفس،  
والصحيح هذا، وهو اسم تركي هكذا قال ابن الأثير فزحف سنة ثلاث وثلاثين،  
بل وستين ففتح الرملة، ثم بيت المقدس، وحاصر دمشق وعاث في  
نواحيها، وبها المعلى بن حيدرة، ولم يزل يوالي عليها البعوث إلى سنة ثمان  
وستين، وكثر عسف المعلى بأهلها مع ما هم فيه من شدة الحصار فثاروا به،  
وهرب إلى بلسيس. ثم لحق بمصر فحبس إلى أن مات، ولما هرب من  
دمشق اجتمعت المصامدة وولوا عليهم انتصار بن يحيى منهم ولقبوه وزير  
الدولة. ثم اضطربوا مما هم فيه من الغلاء، وجاء أمير من القدس فحاصرهم  
حتى نزلوا على أمانه. وانزل وزير الدولة بقلعة بانياس، ودخل دمشق في ذي  
القعدة، وخطب فيها للمقتدي العباسي. ثم سار إلى مصر سنة تسع وستين  
فحاصرها، وجمع بدر الجمالي العساكر من العرب وغيرهم وقاتله فهزمه،  
وقتل أكثر أصحابه، ورجع إتسز منهزما إلى الشام فأتى دمشق، وقد صانوا  
مخلفه فشكرهم ورفع عنهم خراج سنة تسع وستين، وجاء إلى بيت  
المقدس فوجدهم قد عاثوا في مخلفه، وحصروا أهله وأصحابه في مسجد  
داود عليه السلام فحاصرهم ودخل البلد عنوة، وقتل أكثر أهله حتى قتل  
كثيرا في المسجد الأقصى. ثم جهز أمير الجيوش بدر الجمالي العساكر من  
مصر مع قائده نصير الدولة فحاصر دمشق، وضيق عليها، وكان ملك  
السلجوقية السلطان ملك شاه قد اقطع أخاه تتش سنة سبعين وأربعمائة  
بلاد الشام، وما يفتحه منها فزحف إلى حلب وحاصرها وضيق عليها، ومعه  
جموع كثيرة من التركمان فبعث إليه إتسز من دمشق يستصرخه فسار إليه،  
وأجفلت عساكر مصر عن دمشق، وخرج إتسز من دمشق للقاءه فقتله  
وملك البلد، وذلك سنة إحدى وسبعين. وملك ملك شاه بعد ذلك حلب،  
واستولى السلجوقية على الشام أجمع وزحف أمير الجيوش بدر الجمالي  
من مصر في العساكر إلى دمشق، وبها تاج الدولة تتش فحاصره وضيق  
عليه، وامتنع عليه، ورجع، وزحفت عساكر مصر سنة اثنتين وثمانين إلى  
الشام فاسترجعوا مدينة صور من يد أولاد القاضي عين الدولة بن ابي  
عقيل، كان أبوه قد انتزى عليها، ثم فتحوا مدينة صيدا، ثم مدينة جميل(3)،

وضبط أمير الجيوش البلاد وولى عليها العمال. وفي سنة أربع وثمانين استولى الفرنج على جزيرة صقلية، وكان أمير الجيوش قد ولى على مدينة صور منير الدولة الجيوشى من طائفته فانتقض سنة ست وثمانين، وبعث إليه أمير الجيوش العساكر فثار به أهل المدينة، واقتحمت عليهم العساكر، وبعث منير الدولة إلى مصر في جماعة من أصحابه فقتلوا كلهم. ثم توفي أمير الجيوش بدر الجمالي سنة سبع وثمانين في ربيع الأول لثمانين سنة من عمره. وكان له موليان أمين الدولة لاويز ونصير الدولة أفتكين، فلما قضى بدر نحبه استدعى المستنصر لاويز ليقبله فأنكر ذلك أفتكين، وركب في الجند وشغبوا على المستنصر، واقتحموا القصر، وأسمعوه خشن الكلام فرجع إلى ولاية ولد بدر، وقدم للوزارة ابنه محمدا الملك أبا القاسم شاه، ولقبه بالأفضل مثل لقب أبيه. وكان أبو القاسم بن المقرئ رديفا لبدر في وزارته بما كان اختصه لذلك، فولى بعد موته الوزارة المقرئ، وكانت عندهم عبارة عن التوقيع بالقلم الغليظ. وقام الأفضل أبو القاسم بالدولة، وجرى على سنن أبيه في الاستبداد، وكانت وفاة المستنصر قريبا من ولايته.

وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلي:

ثم توفي المستنصر معد بن الظاهر يوم التروية سنة سبع وثمانين لستين سنة من خلافته، ويقال لخمس وستين بعد أن لقي أهوالا وشدائد وانفتقت عليه فتوق استهلك فيها أمواله وذخائره حتى لم يكن له إلا بساطه الذي يجلس عليه، وصار إلى حد العزل والخلع، حتى تدارك أمره باستقدام بدر الجمالي من عكا فتقوم أمره، ومكنه في خلافته. ولما مات خلف من الولد احمد ونزارا وأبا القاسم. وكان المستنصر فيما يقال قد عهد لنزار، وكانت بينه وبين ابي القاسم الأفضل عداوة فخشى بادرته، وداخل عمته في ولاية أبي القاسم، على أن تكون لها كفالة الدولة، فشهدت بان المستنصر عهد له بمحضر القاضي والداعي فبوع ابن ست، ولقب المستعلي بالله

واكره أخوه الأكبر على بيعته ففر إلى الإسكندرية بعد ثلاث، وبها نصير الدولة أفتكين مولى بدر الجمالي الذي سعى للأفضل فانتقض وباع لنزار بعهد، ولقب المصطفى لدين الله.

وسار الأفضل بالعساكر وحاصره بالإسكندرية، واستنزلهم على الامان أعطاهم اليمين على ذلك، واركب نزارا السفن إلى القاهرة وقتل بالقصر. وجاء الأفضل ومعه أفتكين اشيرا فأحضره يوما ووبخه فهم بالرد عليه فقتل بالضرب بالعصى، وقال: لا يتناول اليمين هذه للقتلة، ويقال أن الحسين بن الصباح رئيس الإسماعيلية بالعراق قصد المستنصر في زفي تاجر وسأله إقامة الدعوة له ببلاد العجم فأذن له في ذلك، وقال له الحسن من إمامي بعدك؟ فقال: ابني نزار فسار ابن الصباح ودعا الناس ببلاد العجم إليه سرا. ثم أظهر أمره وملك القلاع هنالك، مثل قلعة الموت وغيرها كما ذكره في أخبار الإسماعيلية، وهم من اجل هذا الخبر يقولون بإمامة نزار. ولما ولي المستعلي خرج ثغر عن طاعته وولي عليه واليه كشييلة، وبعث المستعلي العساكر فحاصره، ثم اقتحموا عليه، وحملوه إلى مصر فقتل بها سنة إحدى وتسعين وأربعمائة. وكان تتش صاحب الشام قد مات، واختلف بعده ابناه رضوان ودقاق، وكان دقاق بدمشق، ورضوان بحلب فخطب رضوان في أعماله للمستعلي بالله أياما قلائل ثم عاودوا الخطبة للعباسيين.

#### استيلاء الفرنج علي بين المقدس:

كان بيت المقدس قد أقطعه تاج الدولة تتش للأمير سليمان بن ارتق التركماني، وقارن ذلك استفحال الفرنج واستطالهم على الشام، وخروجهم سنة تسعين وأربعمائة، ومروا بالقسطنطينية وعبروا خليجها وخلي صاحب القسطنطينية سبيلها ليحولوا بينه وبين صاحب الشام من السلجوقية والغز فنازلوا اولاً أنطاكية فأخذوها من يد باغيسيان، من قواد السلجوقية، وخرج منها هاربا فقتله بعض الأرمن في طريقه، وجاء برأسه إلى الفرنج بأنطاكية. وعظم الخطب على عساكر الشام، وسار كربوقا صاحب الموصل فنزل مرج دابق واجتمع إليه دقاق بن تتش، وسليمان بن ارتق، وطغتكين أتاك صاحب حمص، وصاحب سنجار، وجمعوا من كان هنالك من الترك والعرب،



وبادروا إلى أنطاكية لثلاثة عشر يوماً من حلول الفرنج بها. وقد اجتمع ملوك الفرنج ومقدمهم بنميد، وخرج الفرنج وتصادموا مع المسلمين، فانهزم المسلمون وقتل الفرنج منهم ألوفاً، واستولوا على معسكرهم، وساروا إلى معرة النعمان، وحاصروها أياماً، وهربت حاميتها، وقتلوا منها نحو مائة ألف، وصالحهم ابن منقذ على بلده شيزر، وحاصروا حمص فصالحهم عليها جناح الدولة، ثم حاصروا عكة فامتنعت عليهم، وأدرك عساكر الغز من الوهن ما لا يعبر عنه فطمع أهل مصر فيهم، وسار الأفضل بن بدر بالعساكر لاسترجاع بيت المقدس فحاصرها، وبها سقمان، وأبو الغازي ابنا ارتق، وابن أخيها ياقوتي وابن عمهما سوتج، ونصبوا عليها نيفا وأربعين منجنيقاً، أقاموا عليها نيفا وأربعين يوماً ثم ملكوها بالأمان في سنة تسعين. وأحسن الأفضل إلى سقمان وأبي الغازي ومن معهما، وخفى سبيلهم، فسار سقمان إلى بلد الرها وأبو الغازي إلى بلد العراق، وولى الأفضل على بيت المقدس، ورجع إلى مصر ثم سارت الفرنج إلى بيت المقدس وحاصروه نيفا وأربعين يوماً، ونصبوا عليه برجين، ثم اقتحموها من الجانب الشمالي لسبع بقين من شعبان، واستباحوها أسبوعاً، ولجأ المسلمون إلى محراب داود عليه السلام، واعتصموا به، إلى أن استنزلهم الفرنج بالأمان، وخرجوا إلى عسقلان، وقتل بالمسجد عند الشجرة سبعون ألفاً، واخذوا من المسجد نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة، يزن كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة، وتنورا من الفضة يزن أربعين رطلاً بالشامي، ومائة وخمسين قنديلاً من الصفر، وغير ذلك مما لا يحصى. وأجفل أهل بيت المقدس وغيرهم من أهل الشام إلى بغداد، باكين على ما أصاب الإسلام ببيت المقدس من القتل والسبي والنهب. وبعث الخليفة أعيان العلماء إلى السلطان بركيارق وإخوته محمد وسنجر، بالمسير إلى الجهاد فلم يتمكنوا من ذلك، للخلاف الذي كان بينهم. ورجع الوفد مؤيسين من نصرهم. وجمع الأفضل أمير الجيوش بمصر العساكر، وسار إلى الفرنج فساروا إليهم وكبسوهم على غير أهبة فهزموهم. وافترق عسكر مصر، وقد لاذوا بخم الشعراء هناك فأضرموها عليهم ناراً فاحترقوا وقتل من ظهر، ورجع الفرنج إلى عسقلان فحاصروها حتى أنزلوا لهم عشرين ألف دينار فارتحلوا.

وفاة المستعلي وولاية ابنه الأمر:

ثم توفي المستعلي أبو القاسم أحمد بن المستنصر منتصف صفر سنة خمس وتسعين لسبع سنين من خلافته، فبويع ابنه أبو علي ابن خمس سنين، ولقب الأمر بأحكام الله، ولم يل الخلافة فيهم أصغر منه، ومن المستنصر فكان هذا لا يقدر على ركوب الفرس وحده.

هزيمة الفرنج لعساكر مصر:

ثم بعث الأفضل أمير الجيوش بمصر العساكر لقتال الفرنج مع سعد الدولة الفراسي أميراً، مملوك أبيه، فلقى الفرنج بين الرملة ويافا، ومقدمهم بغدوين فقاتلهم، وانهزم وقتل واستولى الفرنج على معسكره فبعث الأفضل ابنه شرف المعالي في العساكر فبارزوهم قرب الرملة وهزمهم، واختفى بغدوين في الشجر، ونجا إلى الرملة مع جماعة من زعماء الفرنج، فحاصروهم شرف المعالي خمسة عشر يوماً حتى أخذهم فقتل منهم أربعمئة صبوا. وبعث ثلاثمئة إلى مصر ونجى بغدوين للغزو، وسار بهم إلى عسقلان فهرب شرف المعالي وعاد إلى أبيه. وملك الفرنج عسقلان، وبعث العساكر في البر مع تاج العجم مولى أبيه إلى عسقلان، وبعث أسطول في البحر إلى يافا مع القاضي ابن قادوس فبلغ إلى يافا، واستدعى تاج العجم وحبسه. وبعث جمال الملك من مواليه إلى عسقلان مقدم العساكر الشامية. ثم بعث الأفضل سنة ثمان وتسعين ابنه سنا الملك حسين، وأمر جمال الملك بالسير معه لقتال الفرنج فساروا في خمسة آلاف، واستمدوا طغتكين أتاك دمشق فأمدتهم ألف وثلثمئة، ولقوا الفرنج بين عسقلان ويافا فتفانوا بالقتل، وتجازوا، وافترق المسلمون إلى عسقلان ودمشق. وكان مع الفرنج بكتاش بن

تنش، عدل عنه طغتكين بالملك إلى بني أخيه دقاق بن تنش فلحق بالإفرنج مغاضبا.

استيلاء الفرنج علي طرابلس وبيروت:

كانت طرابلس رجعت إلى صاحب مصر، وكان يحاصرها من الفرنج ابن المرداني صاحب صيحل، والمدد يأتيهم من مصر. فلما كانت سنة ثلاث وخمسين وصل اسطول من الفرنج مع "ويمتدين" إلى صيحل، من قامصتهم فنزل على طرابلس، وتشاجر مع المرداني فبادر بغدوين صاحب القدس، وأصلح بينهم ونزلوا جميعا على طرابلس، وألصقوا أبراجهم بسورها، وتأخرت الميرة عنهم من مصر في البحر لركود البحر فاقتمها الفرنج عنوة ثاني الأضحى من سنة ثلاث وخمسين، وقتلوا ونهبوا وأسروا وغنموا. وكان واليها قد أستأمن قبل فتحها في جماعة من الجند فلحقوا بدمشق، ووصل الأسطول بالمدد وكفاية سنة من الأقوات بعد فتحها ففرقوه في صور وصيدا وبيروت، واستولى الفرنج على معظم سواحل الشام. وإنما خصصنا هذه بالذكر في الدولة العلوية لأنها كانت من أعمالهم وسنذكر البقية في أخبار الفرنج أن شاء الله تعالى.

استرجاع أهل مصر بعسقلان:

كان الأمير قد استولى على عسقلان، وبها قائد من قواد شص الخلافة فداخل بغدوين صاحب بيت المقدس من الفرنج وهاداه ليمتنع به على أهل مصر، وجهز أمير الجيوش عسكرا من مصر للقبض عليه إذا حضر وشعر بذلك، وانتقض، وأخرج من عنده من أهل مصر، وخاف الأفضل أن يسلم عسقلان إلى الفرنج فأقره على عمله، وارتاب شمس الخلافة بأهل عسقلان وأتخذ بطانة من الأرمن فاستوحش أهل البلد فثاروا به وقتلوه، وبعثوا إلى الأمر والأفضل بذلك فأرسل إليهم الوالي من مصر، واحسن إليهم واستقامت أحوالهم. وحاصر بغدوين بعد ذلك مدينة صور وفيها عساكر الأرمن واشتد في حصارها بكل نوع وكان به عز الملك الأعز من أولياء

الأمر فاستمد طغتكين اتابك دمشق فأمدته بنفسه وطال الحصار، وحضر أوان الغلال فخشي الفرنج أن يفسد طغتكين غلال بلدهم فأفرجوا عنها إلى عكا وكفى بالله شرهم. ثم زحف بغدوين ملك الفرنج من القدس إلى مصر وبلغ سنتين، وسبح في النيل فانتقض عليه جرح كان به، وعاد إلى القدس ومات، وعهد بملك القدس للقمص صاحب الرها، ولولا ما نزال بملوك السلجوقية من الفتنة لكانوا قد استرجعوا من الفرنج جميع ما ملكوه من الشام. ولكن الله خبأ ذلك لصلاح الدير بن أيوب حتى فاز بذكره.

#### مقتل الأفضل:

قد قدمنا أن الأمر ولاة الأفضل صغيرا ابن خمس، فلما استجمع واشتد تنكر للأفضل وثقلت وطأته عليه، فانتقل الأفضل إلى مصر وبنى بها دارا ونزلها، وخطب منه الأفضل ابنته فزوجها على كره منه، وشاور الأمر أصحابه في قتله فقال له ابن عمه عبد المجيد، وكان ولي عهده لا تفعل، وحذره سوء الاحدوثة لما اشتهر بين الناس من نصحه ونصح أبيه وحسن ولايتهما للدولة، ولا بد من إقامة غيره والاعتماد فيتعرض للحذر من مثلها إلى الامتناع منه. ثم أشار عليه من مداخلة ثقته ابي عبد الله بن البطائحي في مثل ذلك فإنه يحسن تدبيره ويضع عليه من يغتاله، ويقتل به فيسلم عرضك. وكان ابن البطائحي فراشا بالقصر، واستخلصه الأفضل ورقاه واستحجبه فاستدعاه الأمر وداخله في ذلك، ووعدته بمكانه فوضع عليه رجلان فقتلاه بمصر، وهو سائر في موكبه من القاهرة منقلبا من خزنة السلاح في سنة خمس عشرة وخمسمائة، كان يفرق السلاح على العادة في الأعياد، وثار الغبار في طريقه فانفرد عن الموكب فبدره الرجلان وطعناه فسقط، وقتلا، وحملا إلى داره وبه رمق فجاءه الأمر متوجعا، وسأله عن ماله فقال: أما الظاهر فأبو الحسن ابن ابي أسامة يعرفه، وكان أبوه قاضيا بالقاهرة، واصله من حلب. وأما الباطن فإن البطائحي يعرفه. ثم قضى الأفضل نحبه لثمان وعشرين سنة من وزارته، وإحتاط الأمر على داره فوجد له ستة آلاف كيس من الذهب العين، وخمسين أردبا من الورق، ومن

الديباج الملون والمتاع البغدادي والاسكندري، وطرف الهند، وأنواع الطيوب  
والعنبر

والمسك ما لا يحصى. حتى لقد كان من ذخائره دكة عاج وأبنوس محلاه بالفضة عليها عرم متمن من العنبر زنته ألف رطل، وعلى العرم مثل طائر من الذهب برجلين مرجانا ومنقار زمردا، وعينان ياقوتتان كان ينصبها في بيته ويضوع عرفها فيعم القصر وصارت إلى صلاح الدين.

ولاية ابن البطائحي:

قال ابن الأثير: كان أبوه من جواسيس الأفضل بالعراق، ومات ولم يخلف شيئا. ثم ماتت أمه وتركته معلقا فتعلم البناء أولاً ثم صار يحمل الأمتعة بالأسواق، ويدخل بها على الأفضل فخف عليه واستخدمه مع الفراشين، وتقدم عنده واستحجبه ولما قتل الأفضل ولاه الأمر مكانه وكان يعرف بابن فاتت، وابن القائد فدعاه الأمر جلال الإسلام، ثم خلع عليه بعد سنتين من ولايته للوزارة، ولقبه المأمون فجرى على سنن الأفضل في الاستبداد، ونكر ذلك الأمر، وتنكر له، واستوحش المأمون، وكان له أخ يلقب المؤتمن فاستأذن الأمر في بعثه إلى الإسكندرية لحمايتها ليكون له رداءً هنالك فأذن له، وسار معه القواد، وفيهم علي بن السلار، وتاج الملوك قائمين، وسنا الملك الجمل ودري الحروب وأمثالهم، وأقام المأمون على استيحاش من الأمر، وكثرت السعاية فيه وأنه يدعي أنه ولد نزار من جارية خرجت من القصر حاملا به، وأنه بعث ابن نجيب الدولة إلى اليمن يدعو له فبعث الأمر اليمن في استكشاف ذلك.

مقتل البطائحي:

ولما كثرت السعاية فيه عند الأمر، وتوغر صدره عليه، كتب إلى القواد الذين كانوا مع أخيه بثغر الإسكندرية بالوصول إلى دار الخلافة (1) فهم لذلك علي بن

سلار فحضرُوا، واستأذن المؤتمر بعدهم في الوصول فأذن له. وحضر رمضان من سنة تسع عشرة فجاؤوا إلى القصر للإفطار على العادة، ودخل المأمون والمؤمن فقبض عليهما وحبسهما داخل القصر، وجلس الأمر من الغد في إيوانه، وقرأ عليه وعلى الناس كتابا بتعديد ذنوبهم. وترك الأمر رتبة الوزارة خلوا، وأقام رجلين من أصحاب الدواوين يستخرجان الأموال من الخراج والزكاة والمكس، ثم عزلهما لظلمهما. ثم حضر الرسول الذي بعثه إلى اليمن ليكشف خبر المأمون، وحضر ابن نجيب وداعيته فقتل، وقتل المأمون وأخوه المؤمن.

مقتل الأمر وخلافة الحافظ:

كان الأمر مؤثرا للذاته، وطموحا إلى المعالي وقاعدا عنها، وكان يحدث نفسه بالنهوض إلى العراق في كل الوقت، ثم يقصر عنه، وكان يقرض الشعر قليلا ومن قوله:

إلا إلهي وله الفضل

#أصبحت لا أرجو ولا القى

ومذهبي التوحيد

#جدي نبي وإمامي ابي

والعدل

وكانت الفداوية تحاول قتله فيتحرق منهم، واتفق أن عشرة منهم اجتمعوا في بيت، وركب بعض الأيام إلى الروضة، ومر على الجسر بين الجزيرة ومصر فسبقوه فوقفوا في طريقه. فلما توسط الجسر أنفرد عن الموكب لضيقه فوثبوا عليه، وطعنوه وقتلوا لحينهم، ومات هو قبل الوصول إلى منزله سنة أربع وعشرين وخمسائة لتسع وعشرين سنة ونصف من خلافته. وكان قد استخلص مملوكين، وهما برغش العادل، وبرعوارد هزبر الملوك، وكان يؤثر العادل منهما، فلما مات الأمر تحيلوا في قيام المأمون عبد الحميد بالأمر، وكان أقرب القرابة سنا وابوه أبو القاسم بن المستضيء معه،

وقالوا أن الأمر أوصى بأن فلانة حامل فدلته الرؤيا بأنها تلد ذكرا فهو الخليفة بعدي، وكفالاته لعبد الحميد فأقاموه كافلا ولقبوه الحافظ لدين الله؟ وذكروا من الوصية أن يكون هزبر الملوك وزيرا والسعيدباس من موالي الأفضل صاحب الباب، وقرأوا السجل بذلك في دار الخلافة.

ولاية أبي علي بن الأفضل الوزارة ومقتله:

ولما تقرر الأمر على وزارة هزبر الملوك، وخلع عليه أنكر ذلك الجند، وتولى كبر ذلك رضوان بن ونحش كبيرهم. وكان أبو علي بن الأفضل حاضرا بالقصر فحثة برغش العادل على الخروج حسدا لصاحبه، وأوجد له السبيل إلى ذلك فخرج، وتعلق به الجند، وقالوا: هذا الوزير ابن الوزير، وتنصل فلم يقبلوا، وضربوا له خيمة بين القصرين، وأحدقوا به، وأغلقت أبواب القصر فتسوروه، وولجوا من طيقانه. واضطر الحافظ إلى عزل هزبر الملوك، ثم قتله وولى أبو علي احمد بن الأفضل الوزارة، وجلس بدست أبيه، ورد الناس أموال الوزارة المقضية. واستبد على الحافظ ومنعه من التصرف، ونقل الأموال من الذخائر والقصر إلى داره، وكان إماميا متشددا فأشار عليه الإمامية بإقامة الدعوة للقائم المنتظر. وضرب الدراهم بإسمه دون الدنانير. ونقش عليها الله الصمد الإمام محمد، وهو الإمام المنتظر.

وأسقط ذكر إسماعيل من الدعاء على المنابر، وذكر الحافظ، وأسقط من الآذان حي على خير العمل. ونعت نفسه بنعوت أمر الخطباء بذكرها على المنابر. وأراد قتل الحافظ بمن قتله الأمر من أخوته، فإن الأمر أجحفهم عند نكبة الأفضل، وقتلهم فلم يقدر أبو علي على قتله، فخلعه واعتقله. وركب بنفسه في المواسم، وخطب للقائم مموها فتنكر له أولياء الشيعة



ومماليك الخلفاء. وداخل يونس الجند من كتامة وغيرهم في شأنه، واتفقوا على قتله. وترصد له قوم من الجند فاعترضوه خارج البلد، وهو في موكبه، وهم يتلاعبون على الخيل. ثم اعتمدوه فطعنوه وقتلوه، وأخرجوا الحافظ من معتقله، وجددوا له البيعة بالخلافة، ونهب دار ابي علي. وركب الحافظ وحمل ما بقي فيها إلى القصر. واستوزر أبا الفتح يانسا الحافظي، ولقبه أمير الجيوش، وكان عظيم الهيبة بعيد الغور، واستبد عليه، فاستوحش كل منهما بصاحبه. ويقال أن الحاكم وضع له سما في المستراح هلك به، وذلك آخر ذي الحجة سنة ست وعشرين.

قيام حسن بن الحافظ بأمر الدولة ومكره بأبيه ومهلكه

ولما هلك يانس، أراد الحافظ أن يخلي دست الوزارة ليستريح من التعب الذي عرض منهم للدولة، وأجمع أن يفوض الأمور إلى ولده، وفوض إلى ابنه سليمان. ومات لشهرين فأقام ابنه الآخر حسنا فحدثته نفسه بالخلافة، وعزم على اعتقال أبيه، وداخل الإجناد في ذلك فأطاعوه، واطلع أبوة على أمره ففتك بهم. يقال إنه قتل منهم في ليلة أربعين. وبعث أبوه خادما من القصر فهزمه حسن، وبقي الحافظ محجورا، وفسد أمره، وبعث حسن بهرام الأرمني لحشد الأرمن ليستظهر بهم على الجند، وثاروا بحسن وطلبوه من أبيه، ووقفوا بين القصرين، وجمعوا الحطب لإحراق القصر. واستبشع إلى حافظ قتله بالحديد، فأمر طيبيه ابن فرقة عنه في ذلك سنة تسع وعشرين.

وزارة بهرام ورضوان بعده:

ولما مات حسن بن الحافظ، ورحل بهرام لحشد الأرمن، اجتمع الجند وكان بهرام

كبيرهم وراودوا الحافظ على وزارته فوافقهم، وخلق عليه، وفوض إليه الأمور السلطانية، واستثنى عليه الشرعية، وتبعه تاج الدولة أفتكين في الدولة، واستعمل الأرمن، وأهانوا المسلمين، وكان رضوان بن ولحيس صاحب الباب، وهو الشجاع الكاتب من أولياء الدولة، وكان ينكر على بهرام ويهزأ به فولاه بهرام الغربية، ثم جمع رضوان وأتى إلى القاهرة ففر بهرام وقصد قوص، في ألفين من الأرمن، ووجد أخاه قتيلا فلم يعرض لأهل قوص، وباء بحق الخلافة، وصعد إلى أسوان فامتنعت عليه بكنز الدولة. ثم بعث رضوان العساكر في طلبه مع أخيه الأكبر، وهو إبراهيم أوحد فاستنزه على الأمان له وللأرمن الذين معه. وجاء به فأنزله الحافظ في القصر إلى أن مات على دينه، واستقر رضوان في الوزارة، ولقب بالأفضل وكان سنيا، وثن أخوه إبراهيم إماميا فأراد الاستبداد، وأخذ في تقديم معارفه سيفاً وقلماً. وأسقط المكوس، وعاقب من تصدى لها فتغير له الخليفة فأراد خلعه، وشاور في ذلك داعي الدعاة وفقهاء الإمامية فلم يعينوه في ذلك بشىء.

وفطن له الحافظ فدس خمسين فارساً ينادون في الطرقات بالثورة عليه، وينهضون باسم الحافظ فركب لوقته هاربا منتصف شوال سنة ثلاث وثلثين، ونهبت داره، وركب الحافظ، وسكن الناس، ونقل ما فيها إلى قصره. وسار رضوان يريد الشام ليستجد الترك، وكان في جملة شاور، وهو من مصطفىه وأرسل الحافظ الأمير بن مصال ليرده على الأمان فرجع وحبس في القصر، وقيل وصل إلى سرخد فأكرمه صاحبها أمين الدولة كمستكين، وأقام عنده ثم رجع إلي مصر سنة أربع وثلثين فقاتلهم عند باب القصر وهزمهم. ثم افترق عنه أصحابه أرادوا العود إلى الشام فبعث عنه الحافظ بن مصال، وحبسه بالقصر إلى سنة ثلاث وأربعين فنقب الحبس وهرب إلى الجيزة، وجمع المغاربة وغيرهم، ورجع إلى القاهرة، ونزل عند جامع الأقرم، وأرسل إلى الحافظ في المال ليفرقه فبعث عشرين ألفاً على عادتهم مع الوزير، ثم استزاد عشرين وعشرين. وفي خلال ذلك وضع الحافظ عليه جمعا كثيرا من السودان فحملوا عليه وقتلوه،

وجاءوا برأسه إلى الحافظ. واستمر الحافظ في دولته مباشرة لأمواره وأخلى رتبة الوزارة فلم يول أحدا بعده.

وفاة الحافظ وولاية ابنه الطافر:

ثم توفي الحافظ لدين الله عبد الحميد بن الأمير أبي القاسم، أحمد بن المستنصر، سنة أربع وأربعين لتسع عشرة سنة ونصف من خلافته، وعن أبي العالية يقال بلغ عمره سبعا وسبعين سنة، ولم يزل في خلافته محجور الوزارة، ولما مات ولي بعده ابنه أبو منصور إسماعيل بعهدته إليه بذلك، ولقب الطافر بأمر الله.

وزارة ابن مصال ثم ابن السلار:

كان الحافظ لما عهد لابنه الطافر أوصاه بوزارة ابن مصال فاستوزره أربعين يوما، وكان علي بت السلار واليا على الإسكندرية، ومعه بلارة بنت عمه القاسم، وابنه منها عباس، وتزوجت بعده بابن السلار، وشب عباس، وتقدم عند الحافظ حتى ولي الغربية فلم يرض ابن السلار وزارة ابن مصال، واتفق مع عباس على عزله، وبلغ الخبر إلى

ابن مصال فشكا إلى الظافر فلم يشكه فقال ذوو الحرب: ليس هنا من يقا تل ابن السلار فغضب الظافر، ودس عليه من بني علي مصلحيه فخرج إلى الصعيد وقدم ابن السلار إلى القاهرة فاستوزره الظافر، وهو منكر له، ولقبه العادل. وبعث العساكر مع العباس ربيبه في اتباع ابن مصال فخرج في طلبه.

وكان جماعة من لواتة السودان فتحصنوا من عباس في جامع دولام فأحرقه عليهم، وقتل ابن مصال وجاء برأسه. وقام ابن سلار بالدولة وحفظ النواميس وشد من مذاهبه أهله. وكان الخليفة مستوحشا منه منكر له، وهو مبالغ في النصيحة والخدمة. واستخدم الرجالة لحراسته فارتاب له صبيان الخاص من حاشية الخليفة فاعتزموا على قتله ونمي ذلك فقبض على رؤوسهم فحبسهم، وقتل جماعة منهم وافترقوا، ولم يقدر الظافر على إنكار ذلك. واحتفل ابن السلار بأمر عسقلان، ومنعها من الفرنج، وبعث إليها بالمدد كل حين من الأقوات والأسلحة فلم يغن ذلك عنها، وملكها الفرنج، وكان لذلك من الوهن على الدولة ما تحدث به الناس.

ولما قتل العادل بن السلار صبيان الخاص تأكد نكر الخليفة له، واشتد قلقه. وكان عباس بن أبي الفتوح صديقاً ملاطفاً له فكان يسكنه ويهديه. وكان لعباس ولد اسمه نصير، استخسه الظافر واستدناه، ويقال كان يهواه ففاوض العادل عباساً في شأن ابنه، عن مخالطة ابنه للظافر فلم ينته ابنه، فنهى العادلى جدته عن السماح للولد أن يدخل إلى بيته فشق ذلك على نصير وعلى أبيه، وتنكر للعادل. وزحف الفرنج إلى عسقلان فجهز العادل الجيوش والعساكر إليها مدداً مع ما كان يمدها به، وبعثهم مع عباس ابن أبي الفتوح فارتاب لذلك، وفاوض الظافر في قتل العادل وحضر معهم مؤيداً لدولة الأمير أسامة بن منقذ أحد أمراء شيزر وكان مقرباً عند الظافر، وصديقا لعباس فاستصوب ذلك وحث عليه، وخرج عباس بالعساكر إلى بلبيس، وأوصى ابنه نصير بقتله فجاء في جماعة إلى بيت جدته، والعادل نائم فدخل إليه وضربه فلم يجهز عليه، وخرج إلى أصحابه. ثم دخلوا جميعاً فقتلوه وجاءوا برأسه إلى الظافر، ورجع عباس من بلبيس بالعساكر

فاستوزره الظافر وقام بالدولة، وأحسن إلى الناص وأيس أهل عسقلان من المدد فأسلموا أنفسهم وبلدهم بعد حصار طويل، وكان ذلك كله سنة ثمان وأربعين.

مقتل الظافر واخويه وولاية ابنه الفائز:

ولما وزر عباس للظافر، وقام بالدولة، كان ولده نصير من ندمان الظافر، وكان يهواه كما تقدم. وكان أسامة بن منقذ من خلاء عباس وأصدقائه فقيح عليه سوء المقالة في ابنه، وأشار عليه بقتل الظافر فاستدعى ابنه نصيرا وقبح عليه في شناعة الاحدوثة فيه بين الناس، وأغراه باغتيال الظافر ليمحو عنه ما يتحدث به الناس فسأل نصير من الظافر أن يأتي إلى بيته في دعوة فركب من القصر إليه فقتله نصير، ومن جاء معه، ودفنهم في داره وذلك في محرم سنة تسع وأربعين وباكر إلى القصر، ولم ير الظافر، وسأل خدام القصر فأحسن العذر، ورجع إلى أخوي الظافر يوسف وجبريل فخيرهما بركوب الظافر إلى دار نصير فقالا له: خير الوزير. فلما جاء عباس من الغد أخبره بأنه ركب إلى بيت نصير ابنه، ولم يعد فاستشاط غيظا عليه، ورماه بأنه داخل اخويه في قتله. ثم استدعاهما فقتلهما، وقتل معهما ابنا هنالك لحسن بن الحافظ. ثم أخرج ابنه القاسم عيسى ابن خمس سنين، وحمله على كتفه، وأجلسه على سرير الملك، وباع له بالخلافة، ولقبه الفائز بالله ونقل عباس بسبب ذلك ما في القصر من الأموال والذخائر ما لا حد له. وعند خروجه بأخويه رأى القتلى فاضطرب وفزع، وبقي سائر أيامه يعتاده الصرع.

وزارة الصالح بن زريك:

ولما قتل الظافر وأخواه كما ذكرناه، كتب النساء من القصر إلى طلائع بن زريك وكان واليا على الاشمونين، والبهنسة. وجاء الخبر بان الناس اختلفوا على عباس بسبب ذلك فجمع وقصد القاهرة ولبس السواد حزنا، ورفع على الرماح الشعور التي بعث بها النساء حزنا. ولما عبر البحر خرج عباس وولده، ودفعوا ما قدروا عليه من مال وسلاح من حاصل الدولة، ومعهما صديقهما أسامة بن منقذ فاعترضهم الفرنج،

وقاتلوا فقتل عباس، وأسر ولده، ونجا أسامة إلى الشام. ودخل طلائع القاهرة في ربيع سنة تسع وخمسين، رجاء إلى القصر راجلاً. ثم مضى إلى دار عباس ومعه الخادم الذي حضر لقتله فاستخرجه من التراب، ودفنه عند آبائه، وخلع الفائز عليه الوزارة ولقبه الصالح. وكان إمامياً كاتباً أدبياً فقام بأمر الدولة، وشرع في جمع الأموال والنظر في الولايات. وكان الأوحى بن تميم من قرابة عباس والياً على تميم، وكان لما سمع بفعله قريبه عباس جمع وقصد القاهرة فسبقه طلائع؟ فلما استقل بالوزارة أعاده إلى عمله بدمياط وتيمس. ثم بعث في فداء نصير من عباس بن الفرنج فجيء به وقتله، وصلبه به زويله. ثم نظر في المزاحمين من أهل الدولة، ولم يكن أرفع رتبة من تاج الملوك قايمار، وابن غالب فوضع عليهما الجند فطلبوهما فهربا، ونهب دورهما وتبع كبراء الأمراء بمثل ذلك حتى خلا الجو، ووضع الرقباء والحجاب على القصر، وثقلت وطأته على الحرم، ودبرت عمه الفائز في قتل الصلح، وفرقت الأموال في ذلك. ونمي الخبر إليه فجاء إلى القصر، وأمر الأستاذين والصقالبة بقتلها فقتلوا سرّاً، وصار الفائز في كفالة عمته الصغرى، وعظم اشتداد الفائز واستفحل أمره، وأعطى الولايات للأمراء، واتخذ مجلساً لأهل الأدب يسامرون فيه، وكان يقرض الشعر ولا يجيده. وولى شاور السعدي على قرصه، وأشار عليه حجابه يصرفه، واستقدمه فامتنع وقال: أن عزلني دخلت بلاد النوبة. وعلى عهده كان استيلاء نور الدين محمود الملك العادل على دمشق من يد ابن طغتكين أتاك تتش، سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

وفاة الفائز وولاية العاضد:

ثم توفي الفائز بنصر الله، أبو القاسم عيسى بن الظافر إسماعيل، سنة خمس وخمسين، لست سنين من خلافته فجاء الصالح بن رزيك إلى القصر، وطلب الخدام بإحضار أبناء الخلفاء ليختار منهم، وعدل عن كبرائهم إلى صغرائهم لمكان استبداده فوقع اختياره على أبي محمد عبد الله بن يوسف قتيل عباس فبايع له بالخلافة، وهو غلام، ولقبه العاضد لدين الله، وزوجه ابنته وجهازها بما لم يسمع بمثله.

مقتل الصالح بن رزيك وولاية ابنه رزيك:

ولما استفحل يمر الصالح، وعظم استبداده بجباية الأموال والتصرف، وحجر العاضد تنكر له الحرم ودس إلى الأمراء بقتله. وتولت كبر ذلك عمه العاضد الصغرى التي كانت كافلة الفائز بعد أختها. واجتمع قوم من القواد والسودان، منهم الريفي الخادم، وابن الداعي والأمير بن قوام الدولة، وكان صاحب الباب، وتواطؤا على قتله، ووقفوا في دهليز القصر، وأخرج ابن قوام الدولة الناس أمامه وهو خارج من القصر، واستوقفه عنبر الريفي يحدثه، وتقدم ابنه رزيك فوثب عليه جماعة منهم وجرحوه، وضرب ابن الداعي الصالح فأثبته، وحمل إلى داره فبقي يجود بنفسه يومه ذلك. وإذا أفاق يقول رحمك الله يا عباس ومات من الغد. وبعث إلى العاضد يعاتبه على ذلك فحلف على البراءة من ذلك، ونسبه إلى العمه، وأحضر ابنه رزيك وولاه الوزارة مكان أبيه، ولقبه العادل فأذن له في الأخذ بثأره فقتل العفة، وابن قوام الدولة، والأستاذ عنبر الريفي، وقام بحمل الدولة، وأشير عليه بصرف شاور من قوص، وقد كان أبوه أوصاه ببقائه وقال له قد ندمت على ولايته، ولم يمكني عزله فصرفه، وولى مكانه الأمير بن الرفعة فاضطرب شاور وخرج إلى طريق الواحات، وجمع وقصد القاهرة، وجاء الخبر إلى رزيك فعجز عن لقائه، وخرج في جماعة من غلمانه بعدة أحمال من المال والثياب والجوهر، وانتهى إلى طفيحة، واعترضه ابن النصر، وقبض عليه، وجاء به إلى شاور فاعتقله، واعتقل معه أخاه فأراد الهرب من محبسه فوشى به أخوه فقتل لسنة من ولايته، ولتسع سنين من ولاية أبيه.

وزارة شاور ثم الضرغام من بعده:

ودخل شاور القاهرة سنة ثمان وخمسين، ونزل بدار سعيد السعداء ومعه ولده طبن، وشجاع والطازي، وولاه العاضد الوزارة ولقبه أمير الجيوش، وأمكنه من أموال بني رزيك فاستصفى معظمها، وزاد أهل الرواتب والجرايات عشرة أمثالها، واحتجب



عن الناس، وكان الصالح بن رزيك قد أنشأ في لواتة أمراء يسمون البرقية، وكان مقدمهم الضرغام، وكان صاحب الباب فنازع شاور في الوزارة لتسعة أشهر من ولايته، وثار عليه وأخرجه من القاهرة فلحق بالشام، وقتل ولده عليا وكثيرا من أمراء المصريين، حتى ضعفت الدولة، وخلت من الأعيان، وأدى ذلك إلى خرابها.

مسير شيركوه وعساكر نور الدين إلى مصر مع شاور:

ولما لحق شاور إلى الشام نزل على الملك العادل نور الدين بدمشق صريخا، وشرط له ثلث الجباية على أن يقيم له العساكر. وجهز نور الدين شيركوه وكان مقدما في دولته ويذكر سبب اتصاله به في موضعه فساروا في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين، وقد تقدم نور الدين إلى أسد الدين شيركوه بان يعيد شاور إلى وزارته، وينتقم له ممن نازعه، وسار نور الدين بعساكره إلى طرف بلاد الفرنج ليمنعهم من اعتراض أسد الدين أن هموا به، ولما وصل أشد الدين وشاور إلى بلبيس، لقيهم ناصر الدين همام، وفخر الدين همام أخو الضرغام في عساكر مصر فهزموه، ورجع إلى القاهرة، وقتل رفاقؤه الأمراء البرقية الذين أغروه بشاور. ودخل أسد الدين القاهرة، ومعه أخو الضرغام أسيرا، وفر الضرغام فقتل بالجسر عند مشهد السيدة نفيسة، وقتل أخواه، وعاد شاور إلى وزارته، وتمكن منها. ثم نكث عهده مع أسد الدين وسلطانه وصرفه إلى الشام.

فتنة أسد الدين مع شاور وحصاره:

ولما رجع أسد الدين من مصر إلى الشام، أقام بها في خدمة نور الدين. ثم استأذن نور الدين العادل سنة اثنتين وستين في العود إلى مصر فأذن له، وجهزه في العساكر وسار إلى مصر، ونازل بلاد الفرنج في طريقه. ثم وصل إلى أطفح من ديار مصر، وعبر النيل إلى الجانب الغربي، ونزل الجيزة، وتصرف في البلاد الغربية نيفا وخمسين واستمد شاور الفرنج، وجاء بهم إلى مصر، وخرج معهم للقاء أسد الدين شيركوه فأدركوه بالصعيد فرجع للقائم على رهب لكثرة عددهم، وصدقهم القتال فهزمهم

على قلة من معه فأنهم لم يبلغوا ألفي فارس. ثم سار إلى الاسكندرية، وهو يجبي الأموال في طريقه إلى أن وصلها فاستأمن أهلها، وملكها، وولى عليها صلاح الدين يوسف بن أخيه نجم الدين أيوب، ورجع إلى جباية الصعيد. واجتمعت عساكر مصر والفرنج على القاهرة، وأزاحوا عنهم وساروا إلى الأسكندرية وحاصروا بها صلاح الدين فسار أسد الدين إليهم من الصعيد، ثم خذله بعض من معه من التركمان بمداخلة شاور، وبعثوا له أثر ذلك في الصلح فصالحهم ورد إليهم الأسكندرية، ورجع إلى دمشق فدخلها آخر ذي القعدة من سنة اثنتين وستين. واستطال الفرنج على أهل مصر، وشرطوا عليهم أن ينزلوا القاهرة وشحنة، وان تكون أبوابها بأيديهم لئلا تدخل عساكر نور الدين، وقرر ضريبة يحملها كل سنة فأجابه إلى ذلك.

رجوع أسد الدين إلى مصر ومقتل شاور ووزارته:

ثم طمع الإفرنج في مصر، واستطالوا على أهلها، وملكوا بلبيس، واعتزموا على فصد القاهرة. وأمر شاور بتخريب مصر خشية عليها منهم فحرقوا ونهب أهلها، ونزل الفرنج على القاهرة وأرسل العاضد إلى نور الدين يستنجده، وخشي شاور من إتفاق العاضد ونور الدين فدخل الفرنج في الصلح على ألفي ألف دينار مصرية معجلة، وعشرة آلاف إردب من الزرع، وحذرهم أمر القهر إلى ذلك، وكان فيه السفير الجليس بن عبد القوي، وكان الشيخ الموفق كاتب السر، وكان العاضد قد أمرهم بالرجوع إلى رأيه وقال: هو رب الحرمة علينا وعلى آبائنا، وأهل

النصيحة لنا. فأمر الكامل شجاع بن شاور القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني أن يأتيه، ويشاوره فقال له قل لمولانا يعني العاضد أن تقرير الجزية للفرنج خير من دخول الغز للبلاد، وإطلاعهم على الأحوال. ثم بعث نور الدين العساكر مع أسد الدين شيركوه مددا للعاضد كما سأل، وبعث صلاح الدين ابن أخيه، وجماعة الأمراء فلما سمع الفرنج بوصولهم أفرجوا عن وفاة أسد الدين وولاية صلاح الدين الوزارة وقال ابن الطويل، مؤرخ دولة العبيدين: إنه هزمهم على القاهرة، ونهب معسكرهم، ودخل أسد الدين إلى القاهرة في جمادى سنة أربع وستين، وخلع عليه العاضد ورجع إلى معسكره، وفرضت له الجرايات. وبقي شاور على ريبة وخوف، وهو يماطله فيما يعين له من الأموال. ودس العاضد إلى أسد الدين بقتل شاور وقال: هذا غلامنا، ولا خير لك في بقائه، ولا لنا فبعث عليه صلاح الدين بن أخيه، وعز الدين خرديك. وجاء شاور إلى أسد الدين على عادته فوجده عند قبر الإمام الشافعي فسار إليه هنالك فاعترضه صلاح الدين وخرديك فقتلاه، وبعثا برأسه إلى العاضد، ونهبت العامة دوره، واعتقل ابنه شجاع والطازي، وجماعة من أصحابه بالقصر، وخلع عليه للوزارة واستقر في الأمر، وغلب على الدولة، وأقطع البلاد لعساكره. واستعد أصحابه في ولايتها، ورد أهل مصر إلى بلدهم، وأنكر ما فعلوه في تخريبها. ثم اجتمع بالعاضد مرة أخرى وقال له جوهر الأستاذ: يقول لك مولانا لقد تيقنا أن الله أدرك نصره لنا على أعدائنا فحلف له أسد الدين على النصيحة فقال له: الأمل فيك أعظم، وخلع عليه، وحسن عنده موقع الجليس بن عبد القوي، وكان داعي الدعاة وقاضي القضاة فأبقاه على مراتبه.

وفاة أسد الدين وولاية صلاح الدين الوزارة:

ثم توفي أسد الدين رحمه الله تعالى لشهرين في أيام قلائل من وزارته، وقيل لأحد عشر شهراً، وأوصى أصحابه أن لا يفارقوا القاهرة. ولما توفي كان معه جماعة من الأمراء النورية، منهم عين الدولة الفاروقي، وقطب الدين نسال، وعين الدين المشطوب الهكاوي، وشهاب الدين محمود الحازمي فتنازعوا في طلب الرياسة، وفي الوزارة، وجمع كل أصحابه للمغالبة. ومال العاضد إلى صلاح الدين لصغره وضعفه عنهم، ووافق أهله دولته على ذلك، بعد أن ذهب كثير منهم إلى دفع الغز وعساكرهم إلى الشرقية، ويولى عليهم قراقوش. ومال آخرون إلى وزارة صلاح الدين، ومالى العاضد إلى ذلك لمكافأته عن خدمته السالفة فاستدعاه، وولاه الوزارة، واضطرب أصحابه. وكان الفقيه عيسى الهكاري من خلاء صلاح الدين فاستمالهم إليه إلا عين الدولة الفاروقي فإنه سار إلى الشام، وقام صلاح الدين بوزارة مصر نائباً عن نور الدين يكاية بالأمير الأصفهسان، ويشركه في الكتاب مع كاه الأمرء بالديار المصرية. ثم استبد صلاح الدين بالأمور، وضعف أمر العاضد، وهدم دار المعرفة بمصر، وكانت حبسا. وبنها مدرسة للشافعية، وبنى دار الغزل كذلك للمالكية، وعزل قضاة الشيعة، وأقام قاضيا شافعيًا في مصر، واستتاب في جميع البلاد.

حصار الفرنج دمياط:

ولما جاء أسد الدين وأصحابه إلى مصر، وملكوها ودفعوهم عنها، ندموا على ما فرطوا فيها، وانقطع عنهم ما كان يصل إليهم، وخشوا غائلة العز على بيت المقدس، وكاتبوا الفرنج بصقلية والأندلس، واستنجدوهم، وجاءهم المدد من كل ناحية فنازلوا دمياط سنة خمس وستين، وبها شمس الخواص منكورين فأمدها صلاح الدين بالعساكر

والأموال، مع بهاء الدين قراقوش وأمراء الغز، واستمد نور الدين، واعتذر عن المسير إليها بشأن مصر والشيعية فبعث نور الدين العساكر إليها شيئاً فشيئاً، وسار بنفسه إلى بلاد الفرنج بسواحل الشام فضيّق عليها، فاقلع الفرنج عن دمياط لخمسين يوماً من نزولها فوجدوا بلادهم خراباً. وأثنى العاضد على صلاح الدين في ذلك. ثم بعث صلاح الدين غرايه نجم الدين وأصحابه إلى مصر وركب العاضد للقائه تكريماً له.

واقعة الخصيان وعمارة:

ولما استقام الأمر لصلاح الدين بمصر غص به الشيعة وأولياؤهم، واجتمع منهم العوريش، وقاضي القضاة ابن كامل، والأمير المعروف، والكاتب عبد الصمد، وكان فصيحاً، وعمارة اليمني الشاعر الزبيدي، وكان متولي كبرها فاتفقوا على استدعاء الفرنج لأخراج الغز من مصر، وجعلوا لهم نصيباً وافراً من ارتفاعها، وعمدوا إلى شيعي من خصيان القصر اسمه نجاح ولقبه مؤتمن الدولة وكان قد ربي العاضد وصهره فأغروه بذلك، ورغبوا على أن يجمع رسول الفرنج بالعاضد فجمعه معه في بيته ملبساً بذلك، ولم يكن العاضد الذي حضر، وأوهموه أنه عقد معه. ثم اتصل الخبر بنجم الدين بن مضال من أولياء الشيعة، وكان نجم الدين قد اختصه صلاح الدين وولاه الأسكندرية، واستغضبه بهاء الدين قراقوش ببعض النزغات فظنوا أنه غضب فاطلعوه على شأنهم، وأن يكون وزيراً وعمارة كات الدست، وصاحب ديوان الإنشاء، والمكاتبات مكان الفاضل بن كامل قاضي القضاة داعي الدعاة، وعبد الصمد جابي الأموال، والعوريش ناظراً عليه فوافقهم ابن مضال ووشى بهم إلى صلاح الدين فقبض عليهم، وعلى رسول الفرنج، وقررهم في عدة مجالس. وأحضر زمام القصر، وهو مختص بالغز، ونكر عليه خروج العاضد إلى بيت نجاح فحلف على نفسه وعلى العاضد أن هذا لم يقع، وأخبر العاضد بطلب حضور نجاح مع مختص فحضر، واعترف بالحق أن العاضد لم يحضر فتحقق صلاح الدين براءته. وكان عمارة

يجالس شمس الدولة تورنشاه فنقل لأخيه صلاح الدين أنه امتدحه بقصيدة يغيره فيها بالمضي إلى اليمن، ويحمله على الإستبداد وأنه تعرض فيها للجانب النبوي، يوجب استباحة دمه وهو قوله:

# فاخلق لنفسك ملكا لا تضاف به  
إلى سواك وأور النار في العلم

# كما يقول الوري لهماً على وضم

# هذا ابن تومرت قد كانت ولايته

# سعى إلى أن دعوه سيد الأمم

# وكان أول هذا الدين من رجل

فجمعهم صلاح الدين وشنقهم في يوم واحد بين القصرين، وآخر ابن كامل عنهم عشرين يوماً. ثم شنقه ومرعمارة بباب القاضي الفاضل فطلب لقاءه فمنع فقال وهو سائر إلى المشقة:

# عبد الرحيم قد احتجب  
أن الخلاص هو العجب

وفي كتاب ابن الأثير: أن صلاح الدين إنما اطلع على أمرهم من كتابهم الذي كتبوه إلى الفرنجة، عثر على حامله، وقرأ الكتاب، وجيء به إلى صلاح الدين فقتل مؤتمن الخلافة لقربنة، وعزل جميع الخدام، واستعمل على القصر بهاء الدين قراقوش وكان خصياً أبيض، وغضب السودان لقتل مؤتمن الخلافة، واجتمعوا في خمسين ألفاً وقاتلوا أجناد صلاح الدين بين القصرين، وخالفهم إلى بيوتهم فأضرمها نارا، واحرق أموالهم وأولادهم فانهزموا، وركبهم السيف. ثم استأمنوا ونزلوا الجيزة وعبر إليهم شمس الدولة توريشاه فاستلحمهم.

قطع الخطبة للعاضد وانقراض الدولة العلوية بمصر :

كان نور الدين العادل يوم استقل صلاح الدين بملك مصر، وضعف أمر العاضد بها، وتحكم في قصره يخاطبه في قطع دعوتهم من مصر، والخطبة بها للمستضيء العباسي، وهو يماطل بذلك حذرا من استيلاء نور الدين عليه، ويعتذر بتوقع المخالفة من أهل مصر في ذلك فلا يقبل. ثم ألزمه ذلك فاستأذن فيه أصحابه فأشاروا به، وانه لا يمكن مخالفة نور الدين. ووفد عليه من علماء العجم الفقيه الخبشاني، وكان يدعى بالأمير العالم فلما رأى

أحجامهم عن هذه الخطبة قال: أنا أخطبها فلما كان أول جمعة من المحرم  
سنة سبع وستين وخمسائة، صعد المنبر قبل

الخطيب، ودعا للمستنصر فلم ينكر أحد عليه فأمر صلاح الدين في الجمعة الثانية الخطباء بمصر والقاهرة أن يقطعوا خطبة العاضد ويخطبوا للمستضيء ففعلوا، وكتب بذلك إلى سائر أعمال مصر. وكان العاضد في شدة من المرض فلم يعلمه أحد بذلك، وتوفي في عاشوراء من السنة، وجلس صلاح الدين للعزاء فيه، واحتوى على قصر الخلافة بما فيه فحملة بهاء الدين قراقوش إليه، وكان في خزائهم من الذخيرة ما لم يسمع بمثله من أصناف الجواهر واليواقيت والزمرد وحلي الذهب وآنية الفضة والذهب، ووجد ماعون القصر\*، من الموائد والطنسوت والأباريق والقدور والصحاف والخوان والبواقيل والمنابر والطيافر والقباقيب والأسورة كل ذلك من الذهب. ووجد من أنواع الطيوب واللباس والمذهبات والقرقبيات والمعلقات والوشى ما لا تقيه الأوقار، ومن الكتب ما يناهز مائة وعشرين ألف سفر أعطاه للفاضل عبد الرحيم البيساني كاتبه وقاضيه، ومن الظهر والكرع والسلاح ومن الخدم والوصائف خمسين ألفاً. ومن المال ما يملأ مائة بيت. ثم حبس رجالهم ونساءهم حش ماتوا، وكانت الدولة عند عهد العزيز والحاكم قد خلا جوها من رجالات كتامة، وتفرقوا في المشرق في سبيل ذلك الملك، وانقرضوا بانقراض أمر الشيعة وموت العاضد آخر خلفائهم، وأكلتهم الأقطار والوقائع شأن الدول كما ذكرناه من قبل. ولما هلك العاضد وحول صلاح الدين الدعوة إلى العباسية اجتمع قوم من الشيعة بمصر،



وبايعوا الداود بن العاضد، ونمي خبرهم إلى صلاح الدين فقبض عليهم وقتلهم، وأخرج داود من القصر، وذلك سنة تسع وستين وخمسمائة. ثم خرج بعد حين ابنه سليمان بن داود رضي الله تعالى عنه بالصعيد، وحبس إلى أن هلك. وظهر بعد حين بجهة فاس بالمغرب محمد بن عبد الله بن العاضد، ودعا هنالك، وتسمى بالمهدي فقتل وصلب. ولم يبق للعبيديين ذكر إلا في بلاد الحثيثة من العراق، وهم دعاة الفداوية. وفي بلاد الإسماعيلية التي كانت فيها دعوتهم بالعراق. وقام بها ابن الصباح في قلعة الموت وغيرها كما يذكر في أخبارهم، إلى أن انقرضت تلك الدعوة اجمع بانقطاع دعوة العباسيين ببغداد على يد هولاء، من ولد جنكزخان ملوك التتر سنة خمس وخمسين وستماية، والأمر لله وحده. هذه أخبار الفاطميين ملخصة من كتاب ابن الأثير، ومن تاريخ دولتهم لابن الطوير، وقليل من ابن المسيحي جمعت ما أمكنني منها ملخصاً والله ولي العون.

الخبر عن بني حمدون ملوك المسيلة  
والزاب بدعوة العبيديين ومال أمرهم

كان علي بن حمدون أبوهم من أهل الأندلس، وهو علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي، يعرف بابن الأندلسي، واتصل بعبيد الله وأبي القاسم بالمشرق قبل شأن الدعوة، وبعثوه من طرابلس إلى عبد الله الشيعي فاحسن اللقاء والانصراف، ولزمهم أيام اعتقالهم بسجلماسة فلما استفحل ملكهم جذبوا أبا ضبيعة ورقوه إلى الرتب. ولما رجع أبو القاسم من حركته إلى المغرب سنة خمس عشرة وثلاثمائة، واختط مدينة المسيلة استعمل علي بن حمدون على بنائها وسماها المحمدية. ولما تم بناؤها عقد له على الزاب، وانزله بها، وشحنها بالأقوات التي كانت ميرة للعساكر عند محاصرة المنصور لأبي يزيد صاحب الحمار بجبل كتامة. ولم يزل والياً على الزاب، ورئى ابنه جعفرأً ويحيى بدار أبي القاسم. وكان جعفر سار إلى المعز. ولما كانت فتنة ابي يزيد وأضرمت إفريقية ناراً وفتنة، وأهاب القائم بالأولياء من كل ناحية، كتب إلى ابن حمدون أن يجند قبائل

البربر، ويوافيه فنهض إلى المهديّة في عسكر ضخم بقسنطينة وهو يحتشد  
كل من مر به في طريقه حتى وصل إلى شق

بنارية. ثم قارب باجة، وكان بها أيوب بن ابي يزيد في عسكر كبير من النكارية والبربر فزحف إليهم وتناور الفريقان. ثم بيته أيوب فاستباح معسكره وتردى كلي بن حمدون من بعض الشواهدق فهلك سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. ولما انقضت فتنة ابي يزيد عقد المنصور على المسيلة والزاب لجعفر بن على بن حمدون، وأنزله بها أخاه يحيى، واستجدوا بها سلطاناً ودولة، وبنوا القصور والمنتزهات، واستفحل بها ملكهم وقصدهم بها العلماء والشعراء، وكان فيمن قصدهم ابن هانىء شاعر الأندلس وأمداحه فيهم معروفة مذكورة. وكان بين جعفر هذا وبين زيري بن مناد عداوة جرتها المنافسة والمساماة في الدولة فساء أثر زيري فيه عند صدمته للمغرب، وفتكه بزناة، وسعوا به إلى الخليفة والقح له في جوانحه العداوة فكانت داعيته إلى زناة. وتولى محمد بن خزر أمير مغراوة. ثم أن المعز لما اعتزم على الرحيل إلى القاهرة سنة اثنتين وثلاثمائة استقدم جعفر فاستراب جعفر، ومال بعسكره إلى زناة قبل قدومه، وانقطعت الرسائل بينه وبين صنهاجة والخليفة المعز، وشملت عليه زناة قبل قدومه واجتمعوا عليه، ودعا إلى نقض طاعة المعز والدعاء للحاكم المستنصر فوجدهم اقدم إجابة لها، وناهضهم زيري الحرب قبل استكمال التعيين فكانت عليه من أمراء زناة فكبا بزيري فرسه فطاح فقصوا رأسه، وبعثوا به مع جماعة من زناة إلى الحاكم المستنصر فكرم الحاكم وفادتهم، ونصب رأس زيري بسوق قرطبة وأسنى جوائز الوفد، ورفع منزلة يحيى بن علي وأذن لجعفر في اللحاق بسدته. ولما علمت زناة أن يوسف بن زيري يطالبهم بدم أبيه أظهروا الغدر به، ورأى أن يتجنب مجابتهم لضيق ذات يده، وعجز رؤسائهم عن الذب والدفاع عنها وقبضت الأيدي عن تناوله لدنو الفتنة ومراس العصبية فأوجس الخيفة في نفسه، وألطف الحيلة في الفرار رغبة بحيلته، وشحن السفن بما معه من المال والمتاع والرقيق والحشم وذخيرة السلطان، وأجاز البحر، ولحق بسدة الخلافة من قرطبه، وأجاز معه عظماء الزناتيين معطين الصفقة على القيام بدعوته، والإحتطاب في جيل طاعته فكرم مثواه وأجمل وفادتهم، وأحسن منصرفهم، وانقلبوا لمحبهه والتشيع له، ومناغاة الأدارسة للقيام في خدمته بالمغرب الأقصى وبث دعوته.

وتخلف عنهم أولاد علي بن حمدون بالحضرة، وأقاموا بسدة الخلافة،  
ونظموا في طبقات الوزراء وأجريت عليهم

سنيات الارزاق، والتحقوا على حديث عهدهم بالقوم من أولياء الدولة. ثم كان بعد ذلك شأن اعتقالهم على طريق التأديب، لارتكابهم في منازعتهم أمرا، خرقوا به حدود الآداب مع الخلافة فاستدعوا إلى القصر واعتقلوا، ثم أطلقوا لأيام قلائل، لما انغمس الحكم في عله الفالج، وركدت ريح المروانية بالمغرب، واحتاجت الدولة إلى رجالهم لسد الثغور ودفع العدو. واستدعي يحمى بن محمد بن هاشم من العدو، وكان والياً على فاس والمغرب، وأداله الحاجب المصفي لجعفر بن علي بن حمدون، وجمعوا بين الانتفاع في مقارعة زناتة بالعدوة والراحة مما يتوقع منه على الدولة عند من ولي الخلافة، لما كانوا صاروا إليه من النكبة، وطروق المحنة فعقدوا له ولأخيه يحيى على المغرب، وخلعوا عليهما، وأمكنوهما من مال وكسى فاخرة للخلع على ملوك العدو فنهض جعفر إلى المغرب سنة خمس وستين وضبطه، واجتمع إليه ملوك زناتة من بني يفرن ومغراوة وسجلماسة. ولما هلك الحكم، وولي هشام، وقام بأمره المنصور بن أبي عامر اقتصر لأول قيامه على سبته من بلاد العدو فضبطها جند السلطان، ورجال الدولة، وقلدها أرباب السيوف والأقلام من الأولياء والحاشية، وعدل في ضبطه على ما وراء ذلك على ملوك زناتة ونقدمهم بالجوائز والخم وصار إلى إكرام وفودهم وإثبات من رغب الإثبات في ديوان السلطان منهم فجدوا في ولاية الدولة، وبث الدعوة، وفسد ما بين هذين الأميرين جعفر وأخيه، واقتطع يحمى مدينة البصرة لنفسه، وذهب بأكثر الرجال. ثم كانت على جعفر النكبة التي نكبتة بنو غواطة في غزاته إياهم. ثم استدعاه حمد بن أبي عامر لأول أمره لما رأى من الاستكانة إليه، وشد أزره به ونقم عليه كراهته لما لقيه بالأندلس من الحكم، ثم أصبحه وتخلي لأخيه عن عمل المغرب وأجاز البحر إلى ابن أبي عامر فحل منه بالمكان الأثير ولما زحف بلكين إلى المغرب سنة تسع وستين زحفته المشهورة، خرج حمد بن أبي عامر من قرطبة إلى الجزيرة لمدافعته بنفسه، وأجاز جعفر بن علي إلى سبته وعقد له على حرب بلكين وأمده بمائة حمل 5 كاً المال، وانضمت إليه ملوك زناتة، رجع عنهم بلكين كما نذكره. ولما رجع إلى ابن أبي عامر اغتاله في بعض

ليالي معاقرتهم وأعدله رجالا في طريقه من سمره إلى داره فقتلوه سنة ( 1 )  
ولحق يحيى بن علي

بمصر ونزل بدار العزيز، وتلقاه بالمبرة والتكريم وطال به ثراؤه، واستكفى به العظام، ولما استصرخ فلفول بن خزرون بالحاكم في استرجاع طرابلس من يد صنهاجة المتغلبين عليه، دفع إليه العساكر، وعقد عليها ليحيى بن علي، واعترضه بنو قُرّة من الهلاليين ببرقة ففلوه وفضوا جموعه، ورجع إلى مصر. ولم يزل بمصر إلى أن هلك هنالك. والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

الخبر عن القرامطة واستبداد أمرهم وما استقر

لهم من الدولة بالبحرين وأخبارها إلي حين انقراضها

هذه الدعوة لم يظهرها أحد من أهل نسب العلوية ولا الطالبين، وإنما قام بها دعاة المهدي من أهل البيت على اختلاف منهم في تعيين هذا المهدي كما نذكره وكان مدار دعوتهم على رجلين أحدهما يسمى الفرّج بن عثمان القاشاني، من دعاة المهدي، ويسمى أيضا كرويه بن مهديوه وهو الذي انتهى إليه دعواتهم بسواد الكوفة، ثم بالعراق والشام، ولم يتم لهؤلاء دولة، والآخر يسمى أبا سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، كانت دعوته بالبحرين، واستقرت له هنالك دولة ولبنيه. وانتسب بعض مزاعمهم إلى دعاة الإسماعيلية الذين كانوا بالقيروان كما نذكره. ودعوى هؤلاء القرامطة في غاية الاضطراب مختلة العقائد والقواعد، منافية للشرائع والإسلام في الكثير من مزاعمهم وأول من قام بها بسواد الكوفة سنة ثمان وسبعين ومائتين رجل اظهر الزهد والتقشف، وزعم أنه يدعو إلى المهدي، وان الصلوات المفروضة خمسون كل يوم واستجاب له جمع كثير ولقب قرمط، وأصلها بالكاف. وكان يأخذ من كل من يجيب دعوته دينارا للإمام. وجعل عليهم نقباء وسماهم الحواريين، وشغل الناس بذلك عن شؤونهم، وحبسه عامل الناحية ففر من محبسه، ولم يوقف له على خير فازداد أتباعه فتنة فيه ثم زعم أنه الذي بشر به أحمد بن محمد ابن الحنفية. وأن أحمد نبي، وفشا هذا المذهب في السواد، وقرىء بينهم كتاب زعموا أنه جاءهم من داعيه المهدي نصه بعد البسملة: يقول الفرّج بن عثمان الحمد لله بكلمته وتعالى

باسمه المنجد لأوليائه قل أن الأهله مواقيت للناس، ظاهرها لتعلم عدد  
السنين والحساب والشهور والأيام. وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي  
سبيلي اتقوني يا أولي



الألباب، وأنا الذي لا أسأل عما افعل، وأنا العليم الحكيم، وأنا الذي أبلو عبادي وأستخبر خلقي فمن صبر على بلائي ومحتتي واختباري ألقته في جنتي، وأخلدته في نعمتي، ومن زال عن امري، وكذب رسلي أخلدته مهانا في عذابي، وأتممت اجلي، وأظهرت على السنة رسلي. فأنا الذي لا يتكبر علي جبار إلا وضعته، ولا عزيز إلا ذلته، فليس الذي أصر على أمره ودام على جهالته، وقال لن نبرح عليه عاكفين، وبه مؤمنين، أولئك هم الكافرون. ثم يركع ويقول في ركوعه مرتين سبحان ربي ورب العزة تعالى عما يصف الظالمون وفي سجوده الله أعلى مرتين الله أعظم مرة، والصوم مشروع يوم المهرجان والنيروز، والنيذ حرام والخمر حلال، والغسل من الجنابة كالوضوء، ولا يؤكل ذو ناب ولا ذو مخلب. ومن خالف وحارب وجب قتله، ومن لم يحارب أخذت منه الجزية انتهى. إلى غير ذلك من دعاوى شنيعة متعارضة، يهدم بعضها بعضاً وتشهد عليهم الكذب. والذي حملهم على ذلك إنما هو ما اشتهر بين الشيعة من أمر المهدي، مستندين فيه إلى الأحاديث التي خرجها بعضهم، وقد أريناك عللها في مقدمة الكتاب في باب الفاطمي فلهجوا به، وبالدعوة إليه فمن الصادق فيمن يعنيه، وأن كان كاذبا في استحقاقه. ومنهم من بني أمره على الكذب والانتحال، عساه يستولي بذلك على حظ من الدنيا ينال بها صفقة. وقد يقال أن ظهور هذا الرجل كان قبل مقتل صاحب الزنج، وإنه سار على الأمان وقال له أن ورائي مائة ألف سيف فناظرني لعلنا نتفق وتتعاون. ثم اختلفا وانصرف قرمط عنه، وكان يسمى نفسه القائم بالحق. وزعم بعض الناس أنه كان يرى رأي الأزارقة من الخوارج، ثم زحف إليه أحمد بن محمد الطائي صاحب الكوفة في العساكر فأوقع بهم، وفتك بهم، وتتابعت العساكر في السواد في طلبهم، وأبادوهم وفر هو إلى أحياء العرب فلم يجبه أحد منهم فاختفى في القفر في جب بناه، واتخذ له ذلك، وجعل عليه باب حديد، واتخذ بجانبه تنورا سحرا أن أرهقه الطلب فلا يفطن له. ولما اختفى في الجب بعث أولاده في كلب بن دبرة بأنهم من ولد إسماعيل الإمام مستجيرون بهم. ثم دعوا إلى دعوتهم أثناء ذلك وكانوا ثلاثة يحمى وحسين وعلي فلم يجبهم أحد، إلى ذلك، إلا بنو القليص بن ضمضم بن علي بن جناب فبايعوا ليحمى على أنه

يحمى بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الإمام، وكنوه أبا القاسم ولقبوه  
الشيخ. ثم حول اسمه وادعى أنه محمد بن عبد الله، وأنه كان يكتب هذا  
الاسم وأن ناقته التي يركبها

مأمورة ومن تبعها منصور فزحف إليه سبك مولى المعتضد في العساكر فهزمها، وقتل فسار إليه محمد بن أحمد الطائي في العساكر فانهزمت القرامطة، وجيء ببعضهم أسيرا فحتضره المعتضد وقال: هل تزعمون أن روح الله وأنبيائه تحل فيكم فتعصمكم من الزلزل، وتوفقكم لصالح العمل. فقال له: يا هذا أرايت لو حلت روح إبليس فما ينفعك فاترك ما لا يعينك إلى ما يعينك. فقال له قل فيما يعني فقال له قبض رسول الله ﷺ وأبوكم العباس في فلم يطلب هذا الأمر ولا بايعه أحد، ثم قبض أبو بكر واستخلف عمر وهو يرى العباس ولم يعهد إليه عمر ولا جعله من أهل الشورى، وكانوا ستة وفيهم الأقرب والأبعد، وهذا إجماع منهم على دفع جدك عنها فيماذا تستحقون أنتم الخلافة؟ فأمر المعتضد به فعذب، وخلعت عظامه، ثم قطع مرتين ثم قتل. ثم زحف القرامطة إلى دمشق وعليها طغج مولى ابن طولون سنة تسعين، واستصرخ بابن سيده بمصر فجاءت العساكر لامداده فقاتلهم مرارا، وقتل يحيى بن ذكرويه المسمى بالشيخ في خلق من أصحابه، واجتمع فلهم على أخيه الحسين وتسمى أحمد أبا العباس، وكانت في وجهه شامة يزعم أنها \* فلقب صاحب الشامة المهدي أمير المؤمنين، وأتاه ابن عمه عيسى بن مهدي وهو عبد الله بن أحمد بن محمد بني إسماعيل الإمام، ولقبه المدثر، وعهد إليه وزعم أنه المذكور في القرآن. ولقب غلاما من أهله المطوق. ثم دعا الناس فأجابه كثير من أهل البوادي، وسار إلى دمشق فحاصرها حتى صالحوه على مال ودفعوه له. ثم سار إلى حمص وحماة والمعرة وبعليك فخطب له بها، واستباحها جميعا ثم إلى سلمية وبها جماعة من بني هاشم فاستلحمهم حتى الصبيان بالمكاتب والبهائم. ثم خر المكتفي إليه وقدم عساكره فكبسهم ونجا ففهم إلى حلب. وانتهى المكتفي إلى الرقة، وقد سار بدر مولى ابن طولون في اتباع القرامطة فهزمهم واثخن فيهم وبعث المكتفي العساكر مع يحيى بن سليمان الكاتب، وفيهم الحسين بن حمدان من بني تغلب ومعهم بنو شيبان فواقعوا القرامطة سنة إحدى وتسعين فهزموهم، وقتل منهم خلق من أصحاب القرمطي، ونجا ابنه أبو القاسم ببعض ذخيرته. وسار هو مستخفيا إلى ناحية

الكوفة. ومعه المدثر والمطوق و غلام له، وانتهوا إلى الرحبة فوشى بهم إلى العامل فقبض عليهم، وبعث بهم إلى المكتفي بالرقعة، ورجع إلى بغداد فقطعهم بعد أن ضرب صاحب الشامة مائتي سوط، وأما علي بن ذكرويه ففر بعد مقتل أخيه يحيى على

دمشق إلى ناحية الفرات. واجتمع إليه فل من القرامطة فاستباح طبرية. ثم لما اتبعهم الحسين بن حمدان فر إلى اليمن، واجتمع إليه دعائهم هنالك، وتغلب على كثير من مدنه، وقصد صنعاء فهرب عنها ابن يعفر فاستباحها وتجافى عن صعدة لذمة العلوية بينه وبين بني الرسى، ونازل بني زياد بن بيد، ومات في نواحي اليمن. وفي خلال ذلك بعث أبوه ذكرويه إلى بني القليص بعد أن كانوا استكانوا، وأقاموا بالسماوة فبعث إليهم من أصحابه عبد الله بن سعيد، ويسمى أبا غانم فجاءهم بكتابه سنة ثلاث وتسعين بأنه أوحى إليه بأن صاحب الشامة وأخاه الشيخ مقبلان، وأن إمامه يظهر من بعدهما يمالأ الأرض عدلا، ويظهر وطاب أبو غانم على أحياء؟ طب فاجتمع إليه جماعة منهم، وقصد الشام فاستباح بصرى وأذرعان، ونازل دمشق وعاملها يومئذ أحمد بن كيغك، وهو غائب بمصر في محاربة الجليجي الثائر من شيعة بني طولون على عساكر المكتفي، وقابله خلفاؤه فهزمهم، وقتل بعضهم وسار إلى الأردن فقتل عاملها، ونهب طبرية وبعث المكتفي الحسين بن حمدان في العساكر ففر أبو غانم إلى السماوة وغور مياهاها، واتبعته العساكر إلى أن جهدهم العطش. ثم رجع الحسين بهم إلى الرحبة وقيل إنهم تقبضوا على أبي غانم وقتلوه، وافترق جمعهم، وذلك سنة ثلاث وتسعين.

ظهور ذكرويه ومقتله:

ثم اجتمع القرامطة إلى ذكرويه وأخرجوه من الجب الذي كان مختفيا فيه منذ عشرين سنة، وحضر عنده دعائهم فاستخلف عليهم أحمد بن القاسم بن أحمد، وعرفهم بما له عليهم من المنة وأن رشادهم في امتثال أمره، ورمز لهم في ذلك بآيات من القرآن حرف تأويلها، وسار وهو محتجب يدعونه السيد ولا يرونه، والقاسم يباشر الأمور ويتولاها. وبعث المكتفي عساكره فهزمهم القرامطة بالسواد، وغنموا معسكرهم، وساروا لاعتراض الحاج ومروا بالصوان، وحاصروا الواقعة فامتنت عليهم، وطموا الآبار والمياه في تلك النواحي. وبعث المكتفي محمد بن إسحق بن كنداج الصهال ورجعوا. ونهب القرامطة الحاج، وقتلوه بعد أن قاتلوهم ثلاثا على غير ماء

فاستسلموا، وغنم أموالهم وأموال التجار وأموال بني طولون كانوا  
نقلوهم من

مصر إلى مكة. ثم من مكة إلى بغداد عندما أجمعوا النقل إليها. ثم حاصر القرامطة بقية الحاج في حمص قبل فامتنعوا وجهز المكتفي العساكر مع وصيف بن صوارتكين وجماعة من القواد فساروا على طريق خفان، وأدركوا القرامطة فقاتلوهم يومين، ثم هزموهم، وضرب ذكرويه على رأسه فانهشم وجيء به اشيرا، وبخليفة القاسم وابنه وكاتبه وزوجته، ومات لخمس ليال فسيق شلوه إلى بغداد، وصلب وبعث برأسه إلى خراسان من اجل الحاج الذين نهيم من أهلها. ونجا الفل من اصحابه إلى الشام فأوقع بهم الحسين بن حمدان واستلحمهم، وتتبعوا بالقتل في نواحي الشام والعراق، وذلك سنة أربع وتسعين وثلاثمائة.

خبر قرامطة البحرين ودولة بني الجنابي منها:

وفي سنة إحدى وثمانين جاء إلى القطيعي من البحرين رجل تسمى بيحيى بن المهدي، وزعم أنه رسول من المهدي، وأنه قد قرب خروجه وقصد من أهل القطيف علي بن المعلي بن أحمد الدبادي، وكان متغاليا في التشيع فجمع الشيعة وأقرأهم كتاب المهدي، وشنع الخبر في سائر قرى البحرين فأجابوا كلهم، وفيهم أبو سعيد الجنابي، واسمه الحسن بن بهرام، وكان منه عظماهم. ثم غاب عنهم يحيى بن المهدي مدة ورجع بكتاب المهدي يشكرهم على إجابتهم، ويأمرهم أن يدفعوا ليحيى ستة دنانير وثلاثين عن كل رجل فدفعوها. ثم غاب وجاء بكتاب آخر يأمرهم أن يدفعوا إليه خمس أموالهم فدفعوا، وقام يتردد في قبائل قيس. ثم أظهر أبو سعيد الجنابي الدعوة بالبحرين سنة ثلاث وثمانين، واجتمع إليه القرامطة والأعراب، وسار إلى القطيف طالبا البصرة وكان عليها أحمد بن محمد بن يحيى الواثقي فأدار السور على البصرة، وبعث المعتمد على ابن عمر الغنوي، وكان على فارس فاقطعه اليمامة والبحرين، وضم إليه ألفين من المقاتلة، وسيره إلى البصرة فاحتشد وخرج للقاء الجنابي ومن معه، ورجع عنه عند اللقاء بنو ضبة فانهزم واشره الجنابي واحتوى على

معسكره، وحرق الأسرى بالنار. من عليه وأطلقه فسار إلى الأبله ومنها إلى بغداد وسار أبو سعيد إلى هجر فملكها وأمنها واضطربت البصرة للهزيمة، وهم أهلها بالارتحال فمنعهم الوثاقي. ومن كتاب ابن سعيد في خبر قرامطة البحرين ملخصا من كلام الطبري فلعله كما ذكره قال: كان ابتداء أمر القرامطة سنة ثمان وثلاثمائة فنقل الكلام، وكان أبو سعيد عهد لابنه الأكبر سعيد فلم (1) به وثار به أخوه الأصغر والظاهر سليمان فقتله، وقام بأمرهم، وبايعه العقدانية، وجاءه كتاب عبيد الله المهدي بالولاية. وفي سنة ست وثمانين وصل أبو القاسم القائم إلى مصر، واستدعى أبا طاهر القرمطي وانتطره فأعجلة مؤنس الخادم عن انتظاره، وسار من قبل المقتدر فهزمه ورجع إلى المهدي. ثم سار أبو الطاهر سنة سبع إلى البصرة فاستباحها، ورجع واضطربت بغداد، وأمر المقتدر بإصلاح ما تتلم من سورها. ثم زحف إليها أبو الطاهر سنة إحدى عشرة فاستباحها، وخرّب الجامع وتركها خربة. ثم خرج سنة اثنتي عشرة لاعتراض الحاج فأوقع بهم، وهزم قواد السلطان الذين كانوا معهم، وأسر أميرهم أبا النجاء بن حمدون، واستصفى النساء والصبيان وترك الباقي بالبرية فهلكوا. ثم خرج سنة أربع عشرة إلى العراق فعاث في السواد، ودخل الكوفة، وفعل فيها أشد من البصرة. وفي سنة أربع عشرة وقع بين العقدانية وأهل البحرين خلاف فخرج أبو الطاهر وبنى مدينة الأحساء، وسماها المؤمنية فلم تعرف إلا به، وبنى قصره وأصحابه حوله. وفي سنة خمس عشرة استولى على عمان وهرب واليها في البحر إلى فارس، وزحف سنة ست عشرة إلى الفرات وعاث في بلاده. وبعث المقتدر عن يوسف بن أبي الساج من أذربيجان وولاه واسط، وبعثه لحربه فالتقوا بظاهر الكوفة وهزمه أبو طاهر وأسرته. وأرجف أهل بغداد، وسار أبو طاهر إلى الأنبار، وخرجت العساكر من بغداد لدفاعه مع مؤنس المظفر وهارون بن غريب الحال فلم يطيقوا دفاعه، وتوافقوا ثم تجاوزوا، وعاد مؤنس إلى بغداد، وسار هو إلى الرحبة واستباحها ودوخ بلاد الجزيرة بسراياه. وسار إلى هشت والكوفة، وقاتل الرقة فامتنعت عليه، وفرض الأتاوة على أعراب الجزيرة يحملونها إلى هجر، ودخل في دعوته



جماعة من بني سليم بن منصور وبني عامر بن صعصعة. وخرج إليه هرون  
بن غريب الحال فانصرف أبو طاهر إلى

البرية، وظفر هارون بفريق منهم فقتلهم وعاد إلى بغداد. وفي سنة سبع عشرة هجم على مكة وقتل كثيرا من الحاج ومن أهلها، ونهب أموالهم جميعا، وقلع باب البيت والميزاب، وقسم كسوة البيت في أصحابه، واقتلع الحجر الأسود وانصرف به، وأراد أن يجعل الحج عنده، وكتب إليه عبيد الله المهدي من القيروان يوبخه على ذلك، ويتهدده فكتب إليه بالعجز عن رده من الناس، ووعد برد الحجر فرده سنة تسع وثلاثين بعد أن خاطبه منصور إسماعيل من القيروان في رده فردوه، وقد كان الحكم المتغلب على الدولة ببغداد أيام المستكفي بذل لهم خمسين ألفاً من الذهب على أن يردوه فأبوا، وزعموا أنهم إنما حملوه بأمر إمامهم عبيد الله وإنما يردونه بأمره وأمر خليفته. وأقام أبو طاهر بالبحرين وهو يتعاهد العراق والشام بالغزو حتى ضربت له الأتاوة ببغداد وبدمشق على بني طغج. ثم هلك أبو طاهر سنة اثنتين وثلاثين لإحدى وثلاثين سنة من ملكه، ومات عن عشرة من الولد كبيرهم سابور، وولى أخوه الأكبر احمد بن الحسن، واختلف بعض العقداية عليه، ومالوا إلى ولاية سابور بن ابي طاهر، وكاتبوا القائم في ذلك فجاء جوابه بولاية الأخ احمد، وان يكون الولد سابور ولي عهده فاستقر احمد في الولاية عليهم، وكنوه أبا منصور، وهو الذي رد الحجر الأسود إلى مكانه كما قلناه.

ثم قبض سابور على عمه ابي منصور فاعتقله بموافقة اخوته له على ذلك، وذلك سنة ثمان وخمسين. ثم ثار بهم أخوه فاخرجه من الاعتقال، وقتل سابور ونفى إخوته واشياعهم إلى جزيرة أوال. ثم هلك أو منصور سنة تسع وخمسين، يقال مسموماً على يد شيعة سابور، وولى ابنه أبو علي الحسن بن احمد ويلقب الأعصم، وقيل الأغصم فطالت مدته وعظمت وقائعه، ونفى جمعا كثيرا من ولد ابي طاهر، يقال اجتمع منهم بجزيرة أوال نحو من ثلاثمائة، وحج هذا الأعصم بنفسه ولم يتعرض للحاج، ولا أنكر الخطبة للمطيع.

فتنة القرامطة مع المعز العلوي:

ولما استولى جوهر قائد المعز لدين الله على مصر وجعفر بن فلاح  
الكتامي على دمشق طالب الحسن بالضريبة التي كانت له على دمشق  
فمنعوه ونابدوه، وكتب له المعز وأغلظ عليه، ودس لشيعة أبي طاهر وبنيه  
أن الأمر لولده، وأطلع الحسن على ذلك

فخلع المعز سنة اثنتين، وخطب للمطيع العباسي في منابرهِ، ولبس السواد. ثم زحف إلى دمشق وخرج جعفر بن فلاح لحره فهزمه الأعصم وقتله، وملك دمشق وسار إلى مصر فحاصر جوهرًا بها وضيق عليه. ثم غدر به العرب وأجفلوا فأجفل معهم وعاد إلى الشام ونزل الرملة، وكتب إليه المعز سنة إحدى وستين بالنفي والتوبيخ، وعزله عن القرامطة وولى بني أبي طاهر فخرجوا من أوال ونهبوا الأحساء في غيبته، وكتب إليهم الطائع العباسي بالتمزام الطاعة، وأن يصلحوا ابن عمهم ويقيموا بجزيرة أوال. وبعث من أحكم بينهم الصلح. ثم سار الأعصم إلى الشام وتخطاها دون صور فقاتلوه وراء الخنادق، وبذل جوهر المال للعرب فافترقوا عنه، وانهزم ونهب معسكره. وجاء المعز من إفريقية ودخل القاهرة سنة ثلاث وستين، وسرح العساكر إلى الشام فاستولوا عليه فهض الأعصم إليهم فأوقع بهم، وأثنى فيهم، وانتزع ما ملكوه من الشام، وسار إلى مصر، وبعث المعز لدين الله ابنه عبد الله فلقبهم على بلييس وانهزم الأعصم وفشا القتل والأسر في أصحابه فكانوا نحوًا من ثلاث آلاف، ورجع الأعصم إلى الأحساء واستخلص المعز بني الجراح أمراء الشام من طسيء حتى استرجع بهم ما غلب عليه القرامطة من الشام بعد حروب وحصار. ثم مات المعز سنة خمس وستين، وطمع الأعصم في بلاد الشام، وكان أفتكين التركي مولى معز الدولة بن بويه لما انتقض على أبيه بختيار، وهزمه ببغداد سار أفتكين منهزمًا إلى دمشق، وكانوا مضطربين فخرجوا إليه وولوه عليهم وصالح المعز إلى أن توفي فنابذ العزيز، وبعث إليه جوهر في العساكر فحاصره فكتب أفتكين إلى الأعصم، واستدعاه فجاء إلى الشام سنة ست وستين. وخرج معه أفتكين، ونازلوا الرملة فملكوها من يد جوهر، وزحف إليهم العزيز وهزمهم، وتقبض على أفتكين، ولحق الأعصم بطبرية منهزمًا. ثم ارتحل منها إلى الأحساء، وأنكروا ما فعله الأعصم من البيعة لبني العباس، واتفقوا على إخراج الأمر عن ولد أبي سعيد الجنابي وقدموا رجلين منهم: وهما جعفر وإسحاق، وسار بنو أبي سعيد إلى جزيرة أوال وكان بنو أبي طاهر قبلهم فقتلوا كل من دخل إليهم من ولد أحمد بن أبي سعيد وأشياعه. ثم قام بأمر القرامطة جعفر وإسحاق هذان، ورجعوا إلى دعوة العلوية ومحاربة بني بويه

ورجعوا سنة أربع وستين إلى الكوفة فملكوها. وبعث صمصام الدولة بن بويه العساكر إليهم فهزمهم على الفرات، وقتل منهم خلق واتبعوهم إلى القادسية. ثم اختلف جعفر

وإسحق، وطمع كل منهما في الرياسة على صاحبه وافترق أمرهم وتلاشت دعوتهم إلى أن استولى الأصغر لن أبي الحسن الثعلبي سنة ثمان وتسعين عليهم، وملك الأحساء من أيديهم، وازدهب دولتهم وخطب للطائع واستقرت الدولة له ولبنيه.

ذكر المتغلبين بالبحرين من العرب بعد القرامطة:

كان بأعمال البحرين خلق من العرب، وكان القرامطة يستنجدونهم على أعدائهم، ويستعينون بهم في حروبهم، وربما يحاربونهم ويقاطعونهم في بعض الأوقات، وكان أعظم قبائلهم هنالك بنو ثعلب وبنو عقيل وبنو سليم، وأظهرهم في الكثرة والعزة بنو ثعلب. ولما فشلت دولة القرامطة بالبحرين، واستحكمت العداوة بينهم وبين بني بويه بعد انقراض ملك بني الجنابي، وعظم اختلافهم عند القائم بدعوة العباسية وكان خالصة للقرامطة، ودعاه إلى إذهاب دولتهم فأجابته، وداخل بني مكرم رؤساء عمان في مثل ذلك فأجابوه، واستولى الأصغر على البحرين وأورثها بنيه، واستولى بنو مكرم على عمان ثم غص بنو ثعلب بسليم، واستعانوا عليهم ببني عقيل، وطردوهم من البحرين فساروا إلى مصر ومنها كان دخولهم إلى إفريقية كما يأتي. ثم اختلف بنو ثعلب وبنو عقيل بعد مده، وطردهم بنو ثعلب إلى العراق فملكوا الكوفة والبلاد العراقية، وامتد ملك الأصغر، وطالت أيامه، وتغلب على الجزيرة والموصل، وحارب بني عقيل سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة برأس عين من بلاد الجزيرة، وغص بشأنه نصير الدولة بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر فقام له، وجمع له الملوك من كل ناحية فهزمه واعتقله، ثم أطلقه ومات. وبقي الملك متوارثا في بنيه بالبحرين إلى أن ضعفوا وتلاشوا وانقرضت دولة بني عقيل بالجزيرة، وغلبهم عليها وعلى تلك البلاد أولياء الدولة السلجوقية فتحولوا عنها إلى البحرين مواطنهم الأولى، ووجدوا بنيئ ثعلب قد أدركهم الهرم فغلبوا عليهم.

قال ابن سعيد: سألت أهل البحرين حين لقيتهم بالمدينة النبوية سنة إحدى وخمسين وستمئة عن البحرين فقالوا: الملك فيها لبني

عامر بن عوف بن عقيل، وبنو ثعلب من جملة رعاياهم، وبنو عصفور منهم أصحاب الأحساء. (ولنذكر) هنا نبذة في التعريف بكاتب القرامطة وأمصار البحرين وعمان لما أن ذلك من توابع أخبارهم.

الكاتب - كان كاتبهم أبو الفتح الحسين بن محمود، ويعرف بكشاجم، كان من أعلام الشعراء وذكره الثعالبي في اليتيمة والحصري في زهر الآداب، وهو بغدادى المولد، واشتهر بخدمة القرامطة فيما ذكره البيهقي وكتب لهم بعده ابنه أبو الفتح نصر، ولقبه كشاجم مثل أبيه كاتبا للأعصم.البحرين - إقليم يسمى باسم مدينته، ويقال هجر باسم مدينة أخرى منه وكانت حضرية فخريها القرامطة وبنو الاحساء وصارت حاضرة، وهذا الإقليم مسافة شهر على بحر فارس بين البصرة وعمان شرقيها بحر فارس، وغربيها متصل باليمامة، وشمالها البصرة وجنوبها بعمان، كثيرة المياه ببطونها على القامة والقامتين كثيرة البقل والفواكه، مفرطة الحر منهالة الكثبان، يغلب الرمل عليهم في منازلهم وهي من الإقليم الثاني، وبعضها في الثالث. كانت في الجاهلية لعبد القيس، وبكر بن وائل من ربيعة، وملكها للفرس، وعاملها من قبلهم المنذر بن ساوى التميمي. ثم صارت رياستها صدر الإسلام لبني الجار ودى، ولم يكن ولاية بني العباس ينزلون هجر، إلى أن ملكها أبو سعيد القرمطي بعد حصار ثلاث سنين، واستباحها قتلا وإحراقا وتخريبا. ثم بنى أبو طاهر "مدينة الأحساء، وتوالت دولة القرامطة، وغلب على البحرين بنو أبي الحسن بن ثعلب، وبعدهم بنو عامر ابن عقيل قال ابن سعيد: والملك الآن فيهم في بني عصفور.

(الأحساء)- بناها أبو طاهر القرمطي في المائة الثالثة، وسميت بذلك لما فيها من أحساء المياه في الرمال ومراعي الإبل وكانت للقرامطة بها دولة وجالوا في أقطار الشام والعراق ومصر والحجاز وملكوا الشام وعمان.

(دارين)- هي من بلاد البحرين ينسب إليها الطيب، كما تنسب الرماح إلى الخط بجانبها، فيقال مسك دارين، والرماح الخطية.

(عمان)- وهي من ممالك جزيرة العرب المشتملة على اليمن والحجاز والشحر وحضرموت وعمان وهي خامسها، إقليم سلطاني منفرد على بحر فارس من غربية مسافة شهر شرقيها بحر فارس وجنوبها بحر الهند، وغربيها بلاد حضرموت،



وشماليتها البحرين كثيرة النخل والفواكه، وبها مغاص اللؤلؤ سميت بعمان بن قحطان، أول من نزلها بولاية أخيه يعرب، وصارت بعد سيل العرم للأزد. وجاء الإسلام وملوكها بنو الجلندي، والخوارج بها كثيرة. وكانت لهم حروب عمال بني بويه وقاعدتهم تروى وملك عمان من البحر ملوك فارس غير مرة، وهي في الإقليم الثاني، وبها مياه وبساتين وأسواق، وشجرها النخل. وكانت بها في الإسلام دولة لبني شامة بن لؤي بن غالب. وكثير من نسابة قريش يدفعونهم عن هذا النسب أولهم بها محمد بن القاسم الشامي، عثه المعتضد وأعانه ففتحها وطرد الخوارج إلى تروى قاعدة الجبال، وأقام الخطبة لبني العباس، وتوارث ذلك بنوه، وأظهروا شعار السنة. ثم اختلفوا سنة خمس وثلاثمائة، وتحاربوا ولحق بعضهم بالقرامطة، وأقاموا في فتنة إلى أن تغلب عليهم أبو طاهر القرمطي سنة سبع عشرة عند اقتلاعه الحجر، وخطب بها لعبيد الله المهدي وترددت ولاية القرامطة عليها من سنة سبع عشرة إلى سنة خمس وسبعين فترهب واليها منهم، وزهد وملكها أهل تروى الخوارج وقتلوا من كان بها من القرامطة والروافض، وبقيت في أيديهم ورياستها للأزد منهم. ثم سار بنو مكرم من وجوه عمان إلى بغداد واستخدموا لبني بويه، وأعانوهم بالمراكب من فارس فملكوا مدينة عمان وطردوا الخوارج إلى جبالهم، وخطوا لبني العباس. ثم ضعفت دولة بني بويه ببغداد فاستبد بنو مكرم بعمان، وتوارثوا ملكها، وكان منهم مؤيد الدولة أبو القاسم علي بن ناصر الدولة الحسين بن مكرم، وكان ملكاً جواداً ممدوحاً. قاله البيهقي، ومدحه مهيار الديلمي وغيره، ومات سنة ثمان وعشرين وأربعمائة بعد مدة طويلة في الملك، وفي سنة اثنين وأربعين، ضعف ملك بني مكرم، وتغلب عليهم النساء والعبيد فزحف إليها الخوارج وملكوها، وقتلوا بقيتهم وانقطع منها رسم الملك، وصار في حجار من مدر هذا الإقليم قلهاة هي عرصة عمان على بحر فارس من الإقليم الثاني ومما يلي الشحر وحجار في شماليتها إلى البحرين بينهما سبع مراحل، وهي فم جبال منيعة فلم تحتج إلى سور، وكان ملكها سنة ثمان وأربعين زكريا بن عبد الملك الأزدي من ذرية رياسة. وكان الخوارج بتروى مدينة الشراة يدينون لهم، ويرون أنهم من ولد الجلندي.

الخبر عن الإسماعيلية أهل الحصون بالعراق

وفالس والشام وسائر أمورهم ومصائرهم

هذا المذهب هو مذهب القرامطة، وهم غلاة الرافضة، وهو على ما رأيته من الاضطراب والاختلاف. ولم يزل متناقلا في أهله بأنحاء العراق وخراسان وفارس والشام. واختلف بعضهم باختلاف الأعصار والامصار، وكانوا يدعون أولا قرامطة. ثم قيل لهم بالعراق باطنية، ثم الإسماعيلية، ثم النزارية لما حدث من عهد المستضيء العلوي لابنه نزار، وقتله شيعتهم بمصر ولم يبايعوا له، وكان عنده ابن الصباح من هؤلاء الإسماعيلية، ونفى الإمامة بعده عن أئمتهم بصر فسموا اصحابه لذلك نزارية، وكان هذا المذهب بعد موت ذكرويه، وانحلال عقدهم بقي منبثا في الأقطار ويتناوله أهله، ويدعون إليه ويكتمونه، ولذلك سموه الباطنية وفشت أذيتهم بالأمصار، بما كانوا يعتقدونه، من استباحة الدماء فكانوا يقاتلون الناس، ويجتمع لذلك جموع منهم يكمنون في البيوت ويتوصلون إلى مقاصدهم من ذلك. ثم عظمت أمورهم أيام السلطان ملك شاه عندما استمر الملك للعجم من الديلم والسلجوقية وعقل الخلفاء وعجزوا عن النظر في تحصين إمامتهم، وكف الغوائل عنها فانتشروا في هذه العصور، وربما اجتمع منهم جماعة بساوة بأنحاء همذان فصلوا صلاة العيد بأنحائهم فحبسهم الشحنة، ثم أطلقهم. ثم استولوا بعد ذلك على الحصون والقلاع فأول قلعة غلبوا عليها قلعة عند فارس، كان صاحبها على مذهبهم فأووا إليه واجتمعوا عنده، وصاروا يخطفون الناس من السابلة، وعظم ضررهم بتلك النواحي. ثم استولوا على قلعة أصفهان واسمها شاه در، كان السلطان ملك شاه بناها وانزل بها عامله فاتصل به أحمد بن غطاش، كان أبوه من مقدمي الباطنية، وعنه اخذ ابن الصباح وغيره منهم، وكان أحمد هذا عظيما فيهم لمكان أبيه ورسوخه في العلم بينهم فعظموه لذلك وتوجوه، وجمعوا له مالا وقدموه عليهم، واتصل بصاحب القلعة فأثر مكانه، وقلده الأمور حتى إذا توفي استولى أحمد بن غطاش على قلعة شاه در، وأطلق أيدي أصحابه في

نواحيها يخيفون السابلة من كل ناحية. ثم استولوا على قلعة الموت من نواحي قزوين وهي من بنيان الديلم، ومعنى هذا الاسم عندهم تميل العقاب.

ويقال لتلك الناحية طالقان، وكانت في ضمان الجعفري فاستتاب بها علويًا، وكان بالري أبو مسلم صهر نظام الملك، واتصل به الحسن بن الصباح، وكان بينهم عالما بالتعاليم والنجوم والسحر، وكان من جملة تلامذة ابن غطاش صاحب قلعة أصفهان، ثم اتهمه أبو مسلم بجماعة من دعاة المصريين عنده فهرب منه، وجال في البلاد وانتهى إلى مصر فأكرمه المستنصر وأمره بدعاء الناس إلى إمامته وقال له الحسن من الإمام بعدك فأشار إلى ابنه نزار، وعاد من مصر إلى الشام والجزيرة وديار بكر وبلاد الروم، ورجع إلى خراسان بقلعة الموت فنزل على العلوي فأكرمه، واعتقد البركة فيه، وأقام بها وهو يحاول إحكام أمره في تملكها، فلما تم له من ذلك ما أراد أخرج العلوي منها وملكها. واتصل الخبر بنظام الملك فبعث العسكر لحصارها فجهده الحصار، وبعث جماعة من الباطنية فقتلوا نظام الملك، ورجعت العساكر واستولوا أيضا على قلعة طبس وما جاورها من قلاع قوهستان، وهي زرون وقائد. وكان رئيس قوهستان المنور من أعقاب بني سيجور، أمراء خراسان للسامانية فطلبه عامل قوهستان وأراد اغتصاب أخته فاستدعى الإسماعيلية وملكهم هذه القلاع، واستولوا على قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من أصفهان كانت لمؤيد الملك بن نظام الملك، وانتقلت إلى جاولي سقاور من أمراء الغز، وولى عليها بعض الترك فاتصل به بعض الباطنية وخدمه، وأهدى له حتى صارت مفاتيح القلعة في يده، فدس لابن غطاش في قلعة شاه در فجاء في جمع من أصحابه ليلا، وهرب التركي فملكها، وقتل من كان بها وقوي بها على أهل أصفهان، وفرض عليهم القتايع. ومن قلاعهم أسويا، ونديين الرمل وآمد، ملكوها بعد ملك شاه غدرا، ومنها أزدهر ملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصباح. ومنها كردكوه، ومنها قلعة الناظر بخوزستان، وقلعة الطنبور قرب أركان، ملكها أبو حمزة الإسكافي من أهل أركان، وقد كان سافر إلى مصر فأخذ بمذهبهم ورجع داعية لهم. ومنها قلعة ملاوخان بين فارس وخوزستان امتنع بها المفسدون نحو من مائتي سنة لقطع الطريق، حتى فتحها عضد الدولة بن بويه، وقتل من بها فلما ملك ملك شاه أقطعها للأمير أنز فولى عليها من قبله، وداخله الباطنية الذين من أركان في بيعها منهم فأبى، فقالوا نرسل

إليك من يناظرک حتى نرى الحق في مذهبنا، وبعثوا إليهم رجالا منهم  
فاعتقلوا مملوكه حتى سلم لهم مفاتيح القلعة، وقبضوا على صاحبها وقويت  
شوكتهم. وامتدت أيدي

الناس إلى قتلهم، واعتقدوا جهادهم، وثاروا بهم في كل جهة فقتلوهم وقتلتهم العامة بأصفهان، وكانوا قد ظهروا بها عند محاصرة السلطان بركيارق أصفهان، وبها أخوه محمد وأمه خاتون الجلالية، وفشت فيها دعوتهم وكثر فيها الاغتيال من أتباعهم فثاروا بهم، وقتلوهم وحفروا الاخاديد وأوقدوها بالنيران، وجعلوا يأتون بالباطنية فيلقونهم فيها، وتجرد جاولي سقاور، وكان واليا بفارس للجهاد فيهم، وتحيل عليهم بجماعة من أصحابه، أظهروا الهروب إليهم فوثقوا هم وسار هو من بعد ذلك إلى همذان فأغزاهم. ثم صار الباطنية من بعد ذلك إلى همذان لقتل أمراء السلجوقية غدرا فكان يقصد أحدهم أميرا من هؤلاء وقد استبطن خنجرا واستمات. حملهم على ذلك السلطان بركيارق، واستعان بهم على أمر أخيه فكان أحدهم يعرض نفسه بين يدي الأمير حتى يتمكن من طعنه فيطعنه، ويهلك غالبا ويقتل الباطني لوقته فقتلوا منهم كذلك جماعة؟ ولما ظهر بركيارق على أخيه محمد انتشروا في عسكره واستعانوا بطائفة منهم، وتهددوا بالقتل على ذلك حتى ارتاب أمراء العسكر بأنفسهم، وخافوا عاديتهم ولازموا حمل السلاح، وشكوا إلى بركيارق بذلك وبما يلقونه منهم ومن عسكر أخيه فيما يرمونهم به من الاتحاد بهؤلاء الباطنية فأذن في قتلهم، وركب والعسكر معه فتبعوهم بالقتل، حتى أن الأمير محمدا من أعقاب علاء الدولة بن كاكويه وكان صاحب يزداتهم برأيهم فهرب وقتل. وكتب إلى بغداد في أبي إبراهيم الاسترابادي وكان بركيارق بعثه رسولا فاخذ هنالك وقتل واستلحموا في كل جهة، واستلحم المتهمون وانطلقت عليهم الأيدي في كل ناحية، وذلك سنة ست وثمانين. ولما استفحل أمر السلطان محمد بعد أخيه بركيارق زحف إلى قلعة شاه در، التي بها أحمد بن غطاش، لقربها من أصفهان سربر ملكه فجمع العساكر والأمم، وخرج في رجب من أول المائة السادسة وأحاط بجبل القلعة، ودووه أربعة فراسخ، ورتب الامراء لقتالهم نوبا. ولما اشتد الأمر بهم سألوا فتوى الفقهاء في أمرهم وكتبوا ما نصه: ما يقول السادة الفقهاء أئمة الدين في قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر، وكتبه ورسله، وإن ما جاء به محمد عته حق وصدق، وإنما يخالفون

في الإمام، هل يجوز للسلطان مساعدتهم ومراعاتهم وأن يقبل طاعتهم  
ويحرسهم من كل أذى أم لا؟

فأجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك، وتوقف بعضهم، وجمعوا للمناظرة. فقال السمنجاني من كبار الشافعية: يجب قتالهم، ولا يجوز قرارهم بمكانهم، ولا ينفعهم التلفظ بالشهادتين، فإنهم لا يرون مخالفة إمامهم إذا خالف أحكام الشرع، وبذلك تباح دماؤهم إجماعاً، وطالت المناظرة في ذلك. ثم سألوا أن يأتيهم من العلماء، من يناظرهم وعينوا أعياناً من أصفهان، وقصدوا بذلك المطاولة والتعلل فبعثهم السلطان إليهم فعادوا من غير شيء فاشتد السلطان إليهم في حصارهم، واستأمنوا على أن يعوضوا عن قلعتهم بقلعة خالنجان على سبعة فراسخ من أصفهان وان يؤجلوا في الرحيل شهراً فأجابهم، واقاموا في تلك المدة يجمعون ما يقدرون عليه من الأطعمة، ووثبوا على بعض الأمراء وسلم منهم فجدد السلطان حصارهم، وطلبوا أن ينتقلوا إلى قلعة الناظر وطبس، ويبعث السلطان معهم من يوصلهم ويقوم الباقي بضرر من القلعة إلى أن يصل الأولون، ثم يبعث مع الآخرين من يوصلهم إلى ابن الصباح بقلعة الموت فأجابهم إلى ذلك وخرج الأولون إلى الناظر وطبس، وخرّب السلطان القلعة وتمسك ابن غطاش بالضرر الذي هو فيه، وعزم على الاعتصام به، وزحف إليه الناس عامة، وهرب بعضهم إلى السلطان فدلّه على عورة المكان فصعدوا إليه وقتلوا من وجدوا فيه، وكانوا ثمانين وأخذ ابن غطاش أسيراً فسلب وحشي جلده تبناً، وقتل ابنه وبعث براشيها إلى بغداد، وألقت زوجته نفسها من الشاهق فهلكت.

خبر الإسماعيلية بالشام:

لما قتل أبو إبراهيم الاسترأبادي ببغداد كما تقدم، هرب بهرام ابن أخيه إلى الشام وأقام هنالك داعية متخفياً، واستجاب له من الشام خلق. وكان الناس يتبعونهم لكثرة ما اتصفوا به من القتل غدراً. وكان أبو الغازي بن ارتق بحلب يتوصل بهم إلى غرضه في أعدائه، وأشار أبو الغازي على ابن طغتكين الأتابك بدمشق بمثل ذلك فقبل رأيه، ونقل إليه فأظهر حينئذ شخصه، وأعلن بدعوته، وأعاناه الوزير أبو علي ظاهر بن سعد المزدغاني،



لمصلحتهم فيه فاستفحل أمره، وكثر تابعوه، وخاف من عامة دمشق فطلب  
من ابن طغتكين ووزيره أبي علي حصنا يأوي إليه فأعطوه قلعة

بانياس سنة عشرين وخمسمائة، وترك بدمشق خليفة له يدعو الناس إلى مذهبه فكثروا وانتشروا، وملك هو عدة حصون في الجبال منها القدموس وغيره وكان بوادي التيم من أعمال بعلبك طوائف من المجوس والنصرانية والدرزية وأميرهم يسمى الضحاك فسار بهرام لقتالهم، سنة اثنتين وعشرين، واستخلف على بانياس إسماعيل من أصحابه، ولقيهم الضحاك في ألف رجل، وكبس عسكره فهزمهم وقتله (1) وعاد فلهم إلى بانياس فألام بأمرهم إسماعيل، وجمع شملهم وبث دعائه في البلاد، وعاضده المزدغاني وزير دمشق وانتصر لهذه الطائفة، وأقام بدمشق خليفة لبهرام اسمه أبو الوفا فقوي أمره، وكثر أتباعه. واستبد على صاحبها تاج الملوك بن طغتكين. ثم أن المزدغاني راسل الفرنج أن يملكهم دمشق على أن يعطوه صور، وتواعدوا ليوم عينوه، ودس للإسماعيلية أن يكونوا ذلك اليوم على أهبة، ونمى الخبر إلى إسماعيل فخاف أن يثور به الناس فأعطى بانياس للفرنج، وانتقل إليهم ومات سنة أربع وعشرين وكان للإسماعيلية قلاع في تلك الجهات تتصل بعضها ببعض أعظمها قلعة مصياف فسار صلاح الدين لما ملك الشام سنة اثنتين وسبعين إليها وحاصر مصياف وضيق حصارها، وبعث سنان مقدم الإسماعيلية إلى خال صلاح الدين بحماة، وهو شهاب الدين الحادي، أن يسأل صلاح الدين في الصلح معهم، ويتهددونه على ذلك سرا فسار إلى صلاح الدين وأصلح أمرهم عنده ورحل عنهم.

بقية الخبر عن قلاع الإسماعيلية في العراق:

ولم تزل قلاع هؤلاء الإسماعيلية بالعراق عشا لهذه الغواية، وسفطا لهؤلاء الخباث، منذ سار بها أحمد بن غطاش، والحسن بن الصباح. وكان لهذا الحسن مقالات في مذاهب الرافضة عريقة في الغلو داخله من باب الكفر وتسميها الرافضة المقالات الجديدة ولا يدين بقبولها إلا الغلاة منهم.

وقد ذكرها الشهرستاني في كتاب الملل

والنحل فعليك به أن أردت معرفتها. وبقي الملوك يقصدونهم بالجهاد لما اشتهر عنهم من الضرر بالاغتيال، ولما افترق أمر السلجوقية واستبد ايتغمش بالري وهمذان، سار إليهم سنة ثلاث وستمائة إلى قلاعهم المجاورة لقزوين فحاصرها، وفتح منها خمس قلاع، واعتزم على حصار قلعة الموت فعرض له ما شغله عن ذلك، ثم زحف إليهم جلال الدين منكبري بن علاء الدين وخوارزم شاه عندما رجع من الهند، وملك بلاد أذربيجان وأرمينية فقتلوا بعض أمرائه بمثل قتلهم فسار إلى بلادهم ودوخ نواحي الموت، وقد مر ذكره. وقلاعهم التي بخراسان خربها واستباحها قتلا ونهباً. وكانوا منذ ظهر التتر قد شرهوا على الجهات فأوقع بهم جلال الدين هذه الواقعة سنة أربع وعشرين وستمائة، وكفحهم عما سموا إليه من ذلك. ولما استفحل أمر التتر سار هولوكو عام الخمسين والستمائة من بغداد وخرّب قلاعهم، وزحف الظاهر بعد ذلك إلى قلاعهم التي بالشام فخرّب كثيراً منها وطوع ما بقي منها، وصارت مصياف وغيرها في طاعته، وانقرض أمرهم، إلا مغتالين يستعملهم الملوك في قتل أعدائهم على البعد غدرا، ويسمون الفداوية أي الذين يأخذون فدية أنفسهم على الاستماتة في مقاصد من يستعملهم. والله وارث الأرض ومن عليها.

الخبر عن دولة بني الأخيضر باليمامة من بني حسن:

كان موسى الجون بن عبد الله بن حسن المثنى بن الحسن السبط لما اختفى أخواه محمد وإبراهيم، طالبه أبو جعفر المنصور بإحضارهما فضمن له ذلك. ثم اختفى وعثر عليه المنصور فضربه ألف سوط، فلما قتل أخوه محمد المهدي بالمدينة اختفى موسى الجون إلى أن هلك وكان من عقبه إسماعيل وأخوه محمد الأخيضر ابنا يوسف بن إبراهيم بن موسى فخرج إسماعيل في أعراب الحجاز وتسمى السفاك سنة إحدى وخمسين ومائتين. ثم قصد مكة فهرب عاملها جعفر بسباسات، وانتهب منزله ومنازل أصحاب السلطان، وقتل جماعة من الجند وأهل مكة، وأخذ ما كان حمل للإصلاح من المال، وما في الكعبة وخزائنها من الذهب والفضة، وأخذ كسوة الكعبة،

وأخذ من الناس نحواً من مائتي ألف دينار. ثم نهبها وأحرق بعضها بعضاً  
وأقام في ذلك

خمسين يوما. ثم سار إلى المدينة فتواري عاملها وحاصرها حتى مات أهلها جوعا ولم يصل أحد في مسجد رسول الله ﷺ، ووصل عساكر المعتز إلى المدينة فأفرج عنها، ورجع إلى مكة وحاصرها حتى جهدها الحصار، ورحل بعد مقامه شهرين إلى جدة فأخذ أموال التجار ونهب ما في مراكبهم، ورجع إلى مكة، وقد وصل إليها محمد بن عيسى بن المنصور وعيسى بن محمد المخزومي بعثهما المعتز لقتاله فتواقعوا بعرفة، واقتتلوا وقتل من الحاج نحو ألف، وسلبوا الناس وهربوا إلى مكة، وبطل الموقف إسماعيل وأصحابه، وخطب لنفسه، ثم رجع إلى جدة، واستباحوها ثانية. ثم هلك لسنة من خروجه بالجدري آخر سنة اثنتين وخمسين أيام حرب المستعين والمعتز. وكان يتردد بالحجاز منذ اثنتين وعشرين سنة، ومات ولم يعقب، وولي مكانه أخوه محمد الأخيضر، وكان أسن منه بعشرين سنة، ونهض إلى اليمامة فملكها واتخذ قلعة الحضرمية، وكان له من الولد محمد وإبراهيم وعبد الله ويوسف. وهلك فولي بعده ابنه يوسف، وأشرك ابنه إسماعيل معه في الأمر مدة حياته. ثم هلك وانفرد إسماعيل بملك اليمامة وكان له من الإخوة الحسن وصالح ومحمد بنو يوسف. فلما هلك إسماعيل ولي من بعده أخوه الحسن، وبعده ابنه أحمد بن الحسن. ولم يزل ملكها فيهم إلى أن غلب عليهم القرامطة، وانقرض أمرهم، والبقاء لله. وكان بمدينة غانة من بلاد السودان بالمغرب مما يلي البحر المحيط ملك بني صالح، ذكرهم صاحب كتاب زجار في الجغرافيا. ولم نقف على نسب صالح هذا من خبر يعول عليه. وقال بعض المؤرخين إنه صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله الملقب أبا الكرام ابن موسى الجون، وإنه خرج أيام المأمون بخراسان، وحمل إليه وحبسه وابنه محمد من بعده، ولحق بنوه بالمغرب فكان لهم ملك في بلد غانة. ولم يذكر ابن حزم في أعقاب موسى الجون صالحا هذا بهذا النسب ولعله صالح الذي ذكرناه آنفا في ولد يوسف بن محمد الأخيضر والله أعلم.

### دولة السليمانيين

الخبر عن دولة السليمانيين من بني الحسن بمكة ثم بعدها

باليمن ومبادئ أمورهم وتصاريف أحوالهم

مكة هذه أشهر من أن نعرف بها أو نصفها، إلا أنه لما انقرض سكانها من قريش بعد المائة الثانية بالفتن الواقعة بالحجاز من العلوية مرة بعد أخرى فأقفرت من قريش، ولم يبق بها إلا أتباع بني حسن أخلاط من الناس، ومعظمهم موال سود من الحبشة والديلم. ولم يزل العمال عليها من قبل بني العباس وشيعتهم، والخطبة لهم إلى أن اشتغلوا بالفتن أيام المستعين والمعتز وما بعدهما فحدثت الرياسة فيها لبني سليمان بن داود بن حسن المثنى بن الحسن السبط. وكان كبيرهم آخر المائة الثانية محمد بن سليمان، وليس هو سليمان بن داود لأن ذلك ذكره ابن حزم أنه قام بالمدينة أيام المأمون، وبين العصرين نحو من مائة سنة، سنة إحدى وثلاثمائة أيام المقتدر، وخلع طاعة العباسية، وخطب في الموسم فقال: الحمد لله الذي أعاد الحق إلى نظامه، وابرز زهر الإيمان من أكامه وكمل دعوة خير الرسل بإسباطه لابني أعمامه □ وعلى آله الطاهرين، وكف عنا ببركته أسباب المعتدين، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين ثم أنشد:

لأطلين بسيفي ما كان للحق دينا

واسطون يقوم بغوا وجاروا علينا

يعدون كل بلاد من العراق علينا

وكان يلقب بالزبيدي نسبة إلى نحلته من مذاهب الإمامية، وبقي ركب العراق يتعاهد مكة إلى أن اعترضه أبو طاهر القرمطي سنة اثنتي عشرة، وأسر أبا الهيجاء بن حمدان والد سيف الدولة وجماعة معه، وقتل الحجاج وترك النساء والصبيان بالقفر فهلكوا وانقطع الحاج من العراق بسبب القرامطة. ثم أنفذ المقتدر سنة سبع عشرة منصورا الديلمي من مواليه، فوفاه يوم التروية بمكة أبو طاهر القرمطي فنهب الحاج، وقتلهم حتى في الكعبة والحرم، وامتلاً زمزم بالقتل، والحجاج يصيحون كيف يقتل جبران الله

فيقول ليس بجار من خالف أوامر الله ونواهيه. ويتلو: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ) الآية. وكان يخطب لعبيد الله المهدي صاحب إفريقيا. ثم قلع الحجر الأسود وحمله إلى الاحساء، وقلع باب البيت وحمله، وطلع رجل يقلع

الميزاب فسقط ومات فقال اتركوه فإنه محروس، حتى يأتي صاحبه يعني المهدي فكتب إليه ما نصه: والعجب من كتبك إلينا ممتنا علينا بما ارتكبتة واجترمته باسمنا، من حرم الله وجيرانه، بالأماكن التي لم تزل الجاهلية تحرم إراقة الدماء فيها وإهانة أهلها. ثم تعديت ذلك، وقلعت الحجر الذي هو يمين الله في الأرض يصافح بها عباده، وحملته إلى أرضك ورجوت أن نشرك فلعنك الله ثم لعنك، والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده، وفعل في يومه ما عمل فيه حساب غده انتهى. فانحرفت القرامطة عن طاعة العبيديين لذلك. ثم قتل المقتدر على يد مؤنس سنة عشرين وثلاثمائة، وولى أخوه القاهر، وحج بالناس أميره تلك السنة. وانقطع الحج من العراق بعدها إلى أن كاتب أبو علي يحيى الفاطمي سنة سبع وعشرين من العراق، أبا طاهر القرمطي، أمراء يطلق السبيل للحجاج على مكس يأخذه منهم. وكان أبو طاهر يعظمه لدينه ويؤمله فأجابه إلى ذلك، واخذ المكس من الحجاج لم يعهد مثله في الإسلام. وخطب في هذه السنة بمكة للراضي بن المقتدر. وفي سنة تسع وعشرين لأخيه المقتفي من بعده، ولم يصل ركب العراق في هذه السنين من القرامطة. ثم ولي المستكفي بن المكتفي سنة ثلاث وثلاثين على يد توروز أمير الأمراء ببغداد فخرج الحاج في هذه السنة لمهادنة القرامطة بعد أبي طاهر. ثم خطب للمطيع ابن المقتدر بمكة مع معز الدولة سنة أربع وثلاثين عندما استولى معز الدولة ببغداد، وقلع عين المستكفي واعتقله. ثم تعطل الحاج بسبب القرامطة وردوا الحجر الأسود سنة تسع وثلاثين بأمر المنصور العلوي صاحب إفريقية، وخطابه في ذلك لأميرهم احمد بن ابي سعيد. ثم جاء الحاج إلى مكة سنة اثنتين وأربعين مع أمير من العراق، وأمير من مصر فوقعت الحرب بينهما على الخطبة لابن بويه ملك العراق، وابن الأخشيد صاحب مصر فانهزم المصريون وخطب لابن بويه، واتصل ورود الحاج من يومئذ. فلما كانت سنة ثمان وأربعين وجاء الحاج من بغداد، ومصر، كان أمير الحاج من العراق، ومحمد بن عبيد الله (1) فأجابه إلى ذلك. ثم جاء إلى المنبر مستعدا، وأمر بالخطبة لابن



بويه فوجم الآخر، وتمت عليه الحيلة وعاقبه أميره كافور ويقال قتله. ووقع ابن بويه لمحمد بن عبيد الله باتصال إمارته على الحاج. ولما كانت سنة ست وخمسين، وصل بركب العراق أبو أحمد الموسوي، نقيب الطالبين، وهو والد الشريف الرضي، ليحج بالناس، ونهب بنو سليم حاج مصر، وقتل أميرهم. وفي سنة ست وخمسين حج بالناس أبو أحمد المذكور، وخط بمكة لبختيار بعد موت أبيه معز الدولة، والخليفة يومئذ المطيع. واتصل حج أبي أحمد بركب العراق. وفي سنة ثلاث وخمسين خطب للقرمطي بمكة، فلما قتل أحمد وقعت الفتنة بين أبي الحسن القرمطي وخلع طاعة العبيديين، وخطب للمطيع وبعث إليه بالرايات السود، ونهض إلى دمشق فقتل جعفر بن فلاح قائد العلويين، وخطب للمطيع. ثم وقعت الفتنة بين أبي الحسن وبين جعفر، وحصلت بينهم دماء. وبعث المعز العلوي من أصلح بينهم، وجعل دية القتلى الفاضلة في مال المعز. وهلك بمصر أبو الحسن فولي أخوه عيسى. ثم ولي بعده أبو الفتوح الحسن بن جعفر سنة أربع وثمانين. ثم جاءت عساكر عضد الدولة ففر الحسن بن جعفر إلى المدينة ولما مات العزيز بالرملة، وعاد بنو أبي طاهر، وبنو أحمد بن أبي سعيد إلى الفتنة فجاء من قبل الطائع أمير علوي إلى مكة، وأقام له بها خطبة. وفي سنة سبع وستين بعث العزيز من مصر باديس بن زيري الصنهاجي، وهو أخو بلكين صاحب إفريقية، أميراً على الحاج فاستولى على الحرمين وأقام له الخطبة، وشغل عضد الدولة في العراق بفتنة بختيار ابن عمه فبطل ركب العراق. ثم عاد في السنة بعدها وخطب لعضد الدولة أبو أحمد الموسوي، وانقطعت بعدها خطبة العباسيين عن مكة وعادت لخلفاء مصر العبيديين إلى حين من الدهر. وعظم شأن أبي الفتوح واتصلت إمارته في مكة، وكتب إليه القادر سنة ست وتسعين في الأذن لحاج العراق فأجابته على أن الخطبة للحاكم صاحب مصر. وبعث الحاكم إلى ابن جراح أمير طييء باعتراضهم وكان على الحاج الشريف الرضي، وأخوه المرتضى فلاطفهم ابن الجراح وخلي سبيلهم على أن لا يعودوا. ثم

اعترض حاج العراق سنة أربع وتسعين الأصبغر الثعلبي عندما ملك الجزيرة فوعظه قارئان كانا في الركب. ثم اعترضهم في السنة بعدها أعراب خفاجة ونهبوهم. وسار في طلبهم علي بن يزيد أمير بني أسد فأوقع بهم سنة اثنتين وأربعمائة. ثم عادوا إلى مثل ذلك من السنة بعدها فعاد علي بن يزيد وأوقع بهم، وسما له بذلك ذكر، وكان سببا لملكه وملك قومه. ثم كتب الحاكم سنة اثنتين وأربعين إلى عماله بالبراءة من ابي بكر وعمر، ونكر ذلك أبو الفتوح أمير مكة، وانتقض له، وحمل الوزير أبو القاسم المغربي على طلب الأمر لنفسه. وكان الحاكم قتل أباه وأعمامه فخطب أبر الفتوح لنفسه، وتلقب الراشد بالله، وسار إلى مدينة الرملة لاستدعاء ابن الجراح أمير طييء لمغاضبة بينه وبين الحاكم. ثم سرب الحاكم أمواله في بني الجراح فانتقضوا على ابي الفتوح وأسلموه، وفر الوزير المغربي إلى ديار بكر من أرض الموصل، ومعه ابن سبابة. وفر التهامي إلى الري، وكان معه. وقطع الحاكم الميرة عن الحرمين، ثم راجع أبو الفتوح الطاعة فعفا عنه الحاكم وأعادته إلى إمارته بمكة. ولم يحج من العراق في هذه السنين أحد. وفي سنة اثنتي عشرة حج بأهل العراق أبو الحسن محمد بن الحسن الافساسي فقيه الطالبين، واعترضهم بنو نبهان من طييء، وأميرهم حسان بن عدي، وقتلوهم فهزموهم، وقتل أميرهم حسان. وخطب في هذه السنة للظاهر بن الحاكم بمكة. ولما كان الموسم سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ضرب رجل من قوم مصر الحجر الأسود بدبوس فصدعه وثلمه، وهو يقول: كم تعبدكم تقبل فتبادر إليه الناس فقتلوه، وثار أهل العراق بأهل مصر فنهبوهم وفتكوا فيهم. ثم حج بركب العراق سنة أربع عشرة النقيب بن الافساسي، وخشي من العرب فعاد إلى دمشق الشام وحج في السنة التي بعدها، وبطل حج العراق. ولما بوع القائم العباسي سنة اثنتين وعشرين رام أن يجهز الحاج فلم يقدر لاستيلاء العرب وانحلال أمر بني بويه. ثم خطب بمكة للمستنصر بن الظاهر. ثم توفي الأمير أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد بن سليمان رئيس مكة، وبني سليمان، سنة ثلاثين وأربعمائة، لأربعين سنة من إمارته، وولى بعده إمارة مكة ابنه شكر، وجرت له مع أهل المدينة

خطوب ملك في أثنائها المدينة وجمع بين الحرمين وعليه انقرضت دولة بني  
سليمان سنة ثلاثين بمكة،

وجاءت دولة الهواشم كما يذكر. وشكر هذا هو الذي يزعم بنو هلال بن عامر أنه تزوج الجازية بنت سرحان من أمراء الأثيج منهم، وهو خير مشهور بينهم في أقاصيصهم، وحكايات يتناقلونها ويطرزونها بأشعار من جنس لغتهم، ويسمونه الشريف بن هاشم. وقال ابن حزم: غلب جعفر بن أبي هاشم على مكة أيام الأخشيديين، وولي بنوه من بعده عيسى بن جعفر وأبو الفتوح وابنه شكر بن أبي الفتوح وقد انقرض لأن شكرا لم يولد له، وصار أمر مكة إلى عبد كان له. انتهى كلام ابن حزم. وليس أبو هاشم الذي نسب جعفر إليه أبا الهواشم الذي يأتي ذكرهم، لأن هذا كان أيام الأخشيديين، وذلك أيام المستضيء العبيدي وبينهما نحو من مائة سنة.

#### دولة الهواشم

الخبر عن دولة الهواشم بمكة من بني

الحسن وتصاريف أحوالهم إلى انقراضها

هؤلاء الهواشم من ولد أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون، ونسبه معروف وقد مر. وكانت بين هؤلاء الهواشم وبين السليمانيين فتن متصلة ولما مات شكر ذهبت الرياسة من بني سليمان لأنه لم يعقب. وتقدم فيهم طراد بن احمد، ولم يكن من بيت الإمارة، وإنما كانوا يؤملونه لإقدامه وشجاعته. وكان رئيس الهواشم يومئذ محمد بن جعفر بن محمد، وهو أبو هاشم المذكور، وقد ساد في الهواشم، وعظم ذكره فاقتتلوا سنة أربع وخمسين، بعد موت شكر فهزم الهواشم بني سليمان، وطردهم عن الحجاز فساروا إلى اليمن، وكان لهم بها ملك كما يذكر. واستقل بمكة الأمير محمد بن جعفر وخطب للمستنصر العبيدي ثم ابتداء الحاج من العراق سنة ست وخمسين بنظر السلطان البارسلان بن داود ملك السلجوقية حين استولى على بغداد والخلافة، طلب منه القائم ذلك فبذل المال وأخذ رهائن العرب. وحج بالناس أبو الغنائم نور الدين المهدي الزيني نقيب الطالبين.

ثم جاور في السنة بعدها واستمال الأمير محمد بن جعفر عن طاعة العبيديين فخطب لبني العباس سنة ثمان وخمسين، وانقطعت ميرة مصر

عن مكة فعذله أهله على ما فعل فرد الخطبة للعبيدين ثم خاطبه القائم  
وعاتبه، وبذل له أموالا

فخطب له سنة " اثنتين وستين بالموسم فقط، وكتب إلى المستنصر بمصر معذرا ثم بعث القائم أبا الغنائم الزيني سنة ثلاث وستين أميرا على الركب العراقي، ومعه عسكر ضخم، ولأمير مكة من عند ألب أرسلان ثلاثون دينارا وتوقيعا بعشرة آلاف دينار. واجتمعوا بالموسم وخط الأمير محمد بن جعفر وقال: الحمد لله الذي هدانا إلى أهل بيته بالرأي المصيب، وعوض بيته بلبسة الشباب بعد لبسة المشيب، وأمال قلوبنا إلى الطاعة، ومتابعة إمام الجماعة. فانحرف المستنصر عن الهواشم، ومال إلى السليمانيين. وكتب إلى علي بن محمد الصبيحي صاحب دعوتهم باليمن أمراء يعينهم على استرجاع ملكهم، وينهض معهم إلى مكة فنهض، وانتهى إلى المهجم. وكان سعيد بن نجاح الأحوال موتور بني الصبيحي قد جاء من الهند، ودخل صنعاء فثار بها واتبع الصبيحي في سبعين رجلا، وهو في خمسة آلاف فبيته بالمهجم وقتله. ثم جمع محمد بن جعفر أجنادا من الترك، وزحف بها إلى المدينة فأخرج منها بني حسن، وملكها وجمع بين الحرمين. ثم مات القائم العباسي، وانقطع ما كان يصل إلى مكة فقطع محمد بن جعفر الخطبة للعباسيين. ثم جاء الزيني من قابل بالأموال فأعادها. ثم بعث المقتدي سنة سبعين منبرا إلى مكة صنيعاً استجيد خشبه، ونقش عليه بالذهب اسمه. وبعث على الحاج ختلع التركي. وهو أول تركي تامر على الحاج، وكان واليا بالكوفة. وقهر العرب مع جماعته فبعثه المقتدي أميرا على الحاج فوقع الفتنة بين الشيعة وأهل السنة، وكسر المنبر وأحرق وتم الحج. ثم عاودوا الفتنة سنة ثلاث وسبعين، وقطعت الخطبة للمستنصر، وأعيدت للمقتدي واتصلت إمارة ختلع على الحاج وبعده خمارتكين إلى أن مات ملك شاه، ووزيره نظام الملك فانقطعت الخطبة للعباسيين، وبطل الحاج من العراق باختلاف السلجوقية، وتغلب العرب. ومات المقتدي خليفة بغداد، وبويغ ابنه المستظهر ومات المستنصر خليفة مصر وبويغ ابنه المستعلي من إمارته وهو الذي أظهر الخطبة العباسية بمكة، وبها ابتدء أمره وكان يسقطها بعض الأحيان. وولي بعده ابنه قاسم فكثر اضطرابه، ومهد بنو مزيد أصحاب الحلة طريق الحاج من العراق فاتصل حجهم. وحج سنة اثنتي عشرة وخمسمائة نظر

الخادم من قبل المسترشد بركب العراق، وأوصل الخلع والأموال إلى مكة. ثم توفي قاسم بن محمد سنة ثمان عشرة وخمسمائة لثلاثين سنة من إمارته، وكانت في اضطراب. وتغلب وولي بعده ابنه أبو قلبية بمكة فافتتح بالخطبة العباسية، وأحسن الثناء عليه بالعدل، ووصل نظر الخادم أميرا على الركب ومعه الأموال والخلع. ثم مات أبو قلبية سنة سبع وعشرين لعشر سنين من إمارته، والخطبة للعباسيين، وإمارة الحاج لنظر الخادم. ثم كانت واقعة المسترشد مع السلطان مسعود ومقتله، وتعطل ركب الحاج. ثم حج نظر الخادم في السنة بعدها. ثم بعثت أسماء الصبيحية صاحبة اليمن لأمير مكة قاسم بن ابي قلبية فتوعده على قطع خطبة الحافظ، وماتت فكفاه الله شرها، وانقطع الركب العراقي في هذه السنين للفتن والغلاء. ثم حج سنة أربع وأربعين نظر الخادم ومات في طريقه فولي قيماز واعترضه رهط من الأعراب فنهب الركب، واتصل حج قيماز والخطبة لبني العباس إلى سنة خمس وخمسين قبله. وبوع المستنجد فخطب له كما كان لأبيه المقتفي - ثم قتل قاسم بن ابي قلبية سنة ست وستين، وبعث المستضيء بالركب طانتكين التركي. وانقرضت دولة العبيديين بمصر، ووليها صلاح الدين بن أيوب، واستولى على مكة واليمن، وخطب له بالحرمين ثم مات المستضيء سنة خمس وسبعين، وبوع ابنه الناصر، وخطب له بالحرمين، وحجت أمه بنفسها سنة خمس وثلاثين، وكانت له آثار عظيمة ورجعت فانتهت إلى الناصر بن عيسى بن قاسم ما اطلعت عليه من أحواله فعزله عن إمارة مكة، وولى أخاه مكثر بن قاسم، وكان جليل القدر، ومات سنة تسع وثمانين السنة التي مات فيها صلاح الدين. وضعف أمر الهواشم، وملك مكة من أيديهم، وانقرضت دولتهم، والبقاء لله.

#### بنو قتادة

الخبر عن بني قتادة أمراء مكة بعد الهواشم

ثم عن بني أبي نمير منهم أمراؤها لهذا العهد

كان من ولد موسى الجون الذي مر ذكره في بني حسن، عبد الله ابي الكرام، وكان له على ما نقل نسابتهم ثلاثة من الولد: سليمان وزيد واحمد.

ومنه تشعبت ولده. فأما زيد فولده اليوم بالصحراء بنهر الحسنية، وأما احمد فولده بالدهناء، وأما سليمان



فكان من ولده مطاعن بن عبد الكريم بن يوسف بن عيسى بر سليمان. وكان لمطاعن إدريس وثعلب، بالثعالبة بالحجاز. فكان لإدريس ولدان قتادة النابغة وصرخة. فأما صرخة فولده شيع يعرفون بالشكرة، وأما قتادة النابغة فكان يكنى أبا عزيز، وكان من ولده علي الأكبر وشقيقه حسن. فمن ولده حسن إدريس وأحمد ومحمد وجمان، وإمارة ينبع في أعقابهم ومنهم لهذا العهد أميران يتداولان إمارتها من ولد إدريس بن حسن بن إدريس وأما أبو عزيز قتادة النابغة فمن ولد موالي عز أمراء مكة لهذا العهد. وكان بنو حسن بن الحسن كلهم موطنين بنهر العلقمية من وادي ينبع لعهد إمارة الهواشم بمكة وكانوا ظواعن بادية. ولما نشأ فيهم قتادة هذا جمع ذوي مطاعن، وأركبهم واستبد بإمارتهم، وكان بوادي ينبع بنو خراب من ولد عبد الله بن حسن بن الحسن، وبنو عيسى بن سليمان بن موسى الجون فحاربهم بنو مطاعن هؤلاء، وأميرهم أبو عزيز قتادة وأخرجهم، وملك ينبع والصفراء، واستكثر من الجند والمماليك. وكان على عهد المستنصر العباسي في أواسط المائة السادسة. وكان الأمراء يومئذ بمكة الهواشم من ولد جعفر بن هاشم بن الحسن بن محمد بن موسى بن أبي الكرام عبد الله، وقد مر ذكرهم. وكان أخرجهم مكثر بن عيسى بن قاسم الذي بنى القلعة على جبل أبي قبيس، ومات سنة تسع وثمانين وخمسائة فسار قتادة إلى مكة، وانتزعها من أيديهم وملكها، وخطب للناصر العباسي، وأقام في إمارتها نحو من أربعين سنة. واستفحل ملكه، واتسع إلى نواحي اليمن، وكان لقبه أبا عزيز. وفي سنة ثلاث وستمائة حج بالركب وجه السبع التركي من ممالك الناصر، وفر من طريقه إلى مصر فنهب الركب. وفي سنة ثمان وستمائة وثب شخص من حاج العراق على شريف من قرابة قتادة فقتله فاتهم الشرفاء به أمراء الركب فثاروا بهم، وقتلوا منهم خلقا. ثم بعث إليهم بالأموال من بغداد، وبعث قتادة بعض أولاده يستعقب فأعقب. وفي سنة خمس عشرة خطب بمكة للعادل بن أيوب بعد الناصر الخليفة، وللکامل بن العادل بعدهما. وفي سنة ست عشرة كان خروج التتر، وكان قتادة عادلا وأمن الناس في أيامه، ولم يعد قط على أحد من الخلفاء ولا من الملوك،

وكان يقول أنا أحق بالخلافة، وكانت الأموال والخلع تحمل إليه، واستدعاه  
الناصر في بعض السنين فكتب إليه:

ولي كف ضرغام أذل ببسطها      واشري بها عز الوري وأبيع

تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها  
أجعلها تحت الرجا ثم ابتغي  
وفي بطنها للمجدين ربيع  
خلاصا لها إنني إذا لوضع  
يضع وأما عندكم فيضيع  
وما أنا إلا المسك في كل بقعة

واتسعت دولته فملك ملك مكة والينيع وأطراف اليمن، وبعض أعمال المدينة، وبلاد نجد، وكان يستكثر من المماليك. وتوفي سنة سبع عشرة وستمائة، ويقال سمه ابنه حسن ويقال داخل ابنه حسن جاريتيه فأدخلته ليلا فخنق أباه، ثم قتلها وملك مكة، وامتعص لذلك ابنه راجح بن ابي عزيز قتادة، وشكاه إلى أمير حاج أقباش التركي عند وصوله فأشكاه، ووعده بالإنصاف منه فأغلق حسن أبواب مكة، وخرج بعض أصحابه إلى الأمير أقباش فلقوه عند باب المعلى فقتلوه، وعلقوه بالمسعى. ثم جاء المسعود بن الكامل سنة عشرين من اليمن إلى مكة فحج وقاتله حسن ببطن المسعى فغلبه المسعود، وملك مكة، ونصب رايته، وأزال راية أمير الركب، وكتب الخليفة من بغداد يعاتب أباه على ذلك، وعلى ما فعله في مكة والتخلف فكتب إليه أبوه: برئت يا أقسى من ظهر العادل أن لم أقطع يمينك فقد نبذت وراء ظهرك دنياك ودينك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فغرم ديات الشرفاء، وأصابه شلل في يده، ومضى حسن بن قتادة إلى بغداد صريخا بعد أن بقي طريدا بالشام والجزيرة والعراق. ثم جاء إلى بغداد دخيلا وهم الترك بقتله بأقباش أمير الركب فمنعوا منه. ومات ببغداد سنة اثنتين وعشرين ودفن بمشهد الكاظم. ثم مات المسعود بن الكامل بمكة سنة ست وعشرين، ودفن بالمعلى وبقي على مكة قائده فخر الدين بن الشيخ، وعلى اليمن أمير الجيوش عمر بن علي بن رسول

وقصد راجح بن قتادة مكة سنة تسع وعشرين مع عساكر عمر بن رسول فملكها سنة ثلاثين من يد فخر الدين بن الشيخ، ولحق فخر الدين بمصر، ثم جاءت عساكر مصر سنة اثنتين وثلاثين مع الأمير جبريل، وملكوا مكة، وهرب راجح إلى اليمن. ثم جاء عمر بن رسول معه بنفسه فهربت عساكر مصر، وملك راجح مكة وخطب لعمر بن رسول بعد المستنصر. ولما ملك التتر العراق سنة أربع وثلاثين، وعظم أمرهم وانتهوا إلى أربل ابطل

المستنصر الحج من أمر الجهاد، وأفتاه العلماء بذلك. ثم جهز المعتصم الحاج مع أمه سنة ثلاث وأربعين وشيئها إلى الكوفة. ولما حجت ضرب تركي في الموسم شريفا وكتب راجح فيه إلى الخليفة فقطعت يده، وبطل الحج بعد ذلك. ثم قوي أمر الموصلية أمام الزيدية باليمن،

واعتزم على قطع الخطبة لبني الباس فضاقت به المظفر بن عمر بن رسول، وكاتب المعتصم يحرضه على تجهيز الحاج بسبب ذلك. ثم قوي أمر الموطىء أمام الزيدية باليمن، وسار جماز بن حسن بن قتادة سنة إحدى وخمسين إلى الناصر بن العزيز بن الظاهر بن أيوب بدمشق مستجيها على أبي سعيد، وسار إلى مكة فقتل أبا سعيد فرب الحرم، ونقض عهد الناصر، وخطب لصاحب اليمن. قال ابن سعيد: وفي سنة ثلاث وخمسين بلغني وأنا بالمغرب أن راجح بن قتادة جاء إلى مكة وهو شيخ كبير السن، وكان يسكن السدير على نحو اليمن فوصل إلى مكة، وأخرج منها جماز بن أبي عزيز فلق بالينبع. قال: وفي سنة اثنتين وستين وصل الخبر إلى المغرب بأن أمر مكة دائر بين أبي نمى بن أبي سعيد الذي قتل جماز به على إمارة مكة، وبين غالب بن راجح الذي أخرجه أبوه جماز إلى الينبع. ثم استبد أبو نمى على أمر مكة، ونفى قتلة أبيه أبي سعيد إلى الينبع، وهم إدريس وجماز ومحمد، وقد كان إدريس منهم ولي أمر مكة قليلا فانطلقوا إلى الينبع وملكوه، وأعقابهم أمراؤه لهذا العهد. وأقام أبو نمى أميرا بمكة نحو من خمسين سنة، وهلك على رأس المائة السابعة أو بعدها بسنتين، وخلف ثلاثين ولدا.

#### إمارة بني أبي نمى بمكة

ولما هلك أبو نمى قام من بعده بأمر مكة ابناه رميثة وحميضة ونازعهما عطيفة وأبو الغيث فاعتقلاهما، ووافق ذلك وصول بيبرس الجاشنكير كافل الملك الناصر بمصر، لأول ولايته فأطلقهما وولاهما وبعث برميثة وحميضة إلى مصر، ثم ردهما السلطان إلى إمارتهما بمكة مع عسكره، وبعث إليه بعطيفة وأبي الغيث. ثم طال تنازعهم وتعاقبهم في إمارة مكة مرّة بعد أخرى. وهلك أبو الغيث في بعض حروبهم ببطن مرّ. ثم تنازع حميضة ورميثة، وسار رميثة إلى الملك الناصر سنة خمس عشرة، واستمدّ بأمرائه وعساكره. وهرب حميضة بعد أن استصفى أموال أهل مكة. ثم رجع بعد رجوع العساكر إلى مكة. ثم اصطلحوا وتوافقوا. ثم خالف عطيفة سنة ثمان عشرة، ووصل إلى السلطان، وجاء بالعسكر فملك مكة،

وتقبض على رميثة فسجن أياماً ثم أطلق سنة عشرين عند مقدم السلطان من حجه، وأقام بمصر. وبقي حميضة مشرداً إلى

أن استأمن السلطان فأمنه، وكان معه جماعة من المماليك فرّوا إليه من مصر أيام انتفاضه فشعروا بطاعته فخافوا على أنفسهم أن يحضروا معه فقتلوه، وجاءوا إلى السلطان يعتقدون ذلك وسيلة عنده فأقاد رميثة منهم بأخيه فقتل المباشر للقتل، وعفا عن الباقيين. وأطلق رميثة إلى مكة مشاركاً لأخيه عطيفة في إمارتها. ثم هلك عطيفة، وأقام أخوه رميثة بعده مستقلاً بإمارة مكة إلى أن كبر وهرم. ثم هلك وكان إبناه ثقبه وعجلان قد اقتسما معه إمارة مكة برضاه. ثم أراد الرجوع عن ذلك فلم يجيباه إلى شيء مما أراد، واستمرّ على ولايتهما معه. ثم تنازعا وخرج ثقبه، وبقي عجلان بمكة. ثم غلبه عليها ثقبه، ثم اجتمعا بمصر سنة ست وخمسين فولى صاحب الأمر بمصر عجلان منهما، وفرّ ثقبه إلى بلاد الحجاز فأقام هنالك، وعاقبه إلى مكة مراراً. وجاء عجلان سنة إثنين وستين بالمدد من عسكر القاهرة فكبسه ثقبه وقتل أخاه وبعضاً من العسكر ولم يزل عجلان على إمارته سالكاً سبيل العدل والإنصاف في الرعيّة، متجافياً عن الظلم عما كان عليه قومه من التعرض للتجّار والمجاورين. وسعى في أيام إمارته في قطع ما كان لعبيدهم على الحاج من المكس. وثبت لهم في ديوان السلطان عليها عطاء يتعاهدهم أيام الموسم، وكانت من حسنات سلطان مصر. وسعى هذا الأمير عجلان جزاه الله خيراً، وأقام على ذلك إلى أن هلك سنة سبع وسبعين، وولي ابنه أحمد بعده. وقد كان فوّض إليه في حياته وقاسمه في أمره فقام أحمد بأمر مكة، وجرى على سنن أبيه في إنبات مراسم العدل وإحياء معالمه، حتى شاع عنه ذلك في الآفاق على السنة الحاج والمجاورين. وولاه صاحب مصر لعهد الملك الظاهر أبو سعيد برقوق على ما كان أبوه. وسيّر إليه بالخلع والتفويض على عادتهم في ذلك. وكان في محبس أحمد جماعة من قرابته منهم أخوه محمد، ومحمد ابن أخيه ثقبه، وعنان ابن عمّه مغامس، في آخرين. فلما مات أحمد هربوا من محبسهم ولحقوا بهم فردوهم، وأجلوا محمد بن عجلان منهم، إلاّ عناناً فإنه لحق بمصر مستجيشاً على محمد وكبيش فأنجده السلطان وبعثه مع أمير الركب ليطلع أحوالهم، واستصحب معه جماعة من الباطنية فتكوا بمحمد عند لقائه

المحمل الذي عليه كسوة الكعبة بشارة الخليفة، وتقبيله الخص الذي يحمله  
على العادة في ذلك،



وتركوه صريعاً في مكانه، ودخلوا إلى مكة فولي أمير الحاج عنان بن مغامس، ولحق كبيش وشيعته بجدة فلما انقضى الموسم ورجع الحاج، جاء كبيش وأصحابه وحاصروا مكة. وكان بينهم وبين عنان حروب قتل كبيش في بعضها. ثم لحق عليّ بن عجلان وأخوه حسن بالملك الظاهر صاحب مصر فرأى أن يحسم المادّة بولايته فولّاه سنة تسع وثمانين مشاركاً لعنان بن مغامس في الإمارة، وسار مع أمير الركب فلما وصلوا لكومرد بكرّوا إلى مكة على العادة، وخرج عنان للقائهم. ثم نكص من بعض الطريق هارباً، ودخل على مكة واستقل بإمارتها. ولما انقضى الموسم ورجع الحاج جاء عنان ومعه بنو عمه مبارك، وجماعة الشرفاء فحاصروا مكة على عليّ ونازعوه الإمارة ثم أفرجوا، ثم رجعوا، وحالهم على ذلك متصل لهذا العهد. ووفدوا على السلطان بمصر سنة أربع وتسعين فأفرد علياً بالإمارة وأفاض عليه العطاء، وأكثف له الجند والمستخدمين، وأبقى عنان بن مغامس عنده، وأجرى عليه الرزق ونظّمه في أهل دولته. ثم نمى إلى السلطان انه يروم الفرار إلى الحجاز لينازع أمير مكة علي بن عجلان فقبض عليه وحبسه، فقبض طي بن بن علي الأشرف الذين كانوا هنالك شيعة له. ثم من عليهم وأطلقهم فعادوا إلى منازعته والفتنة معه لهذا العهد، والله متولي الأمور لارّب غيره.

الخبر عن بني مهني أمراء المدينة النبوية

من بني الحسن وذكر أوليتهم ومفتتح إمارتهم:

كانت المدينة بلد الأنصار من الأوس والخزرج كما هو معروف. ثم افترقوا على أقطار الأرض في الفتوحات وانقرضوا، ولم يبق بها أحد إلا بقايا من الطالبين. قال ابن الحصين في ذيله على الطبري: دخلت المائة الرابعة والخطبة بالمدينة للمقتدر. قال: وتردّدت ولاية بني العبّاس عليها والرياسة فيها بين بني حسين وبني جعفر إلى أن أخرجهم بنو حسين فسكنوا بين مكة والمدينة. ثم أجلاهم بنو حرب من زييد إلى القرى والحصون، وأجازوهم إلى الصعيد فهم هنالك إلى اليوم. وبقي بنو حسين بالمدينة إلى أن جاءهم ظاهر بن مسلم من مصر فملكوه عليهم. وفي الخبر عن وصول ظاهر هذا أمراء

مسلماً أباه اسمه محمد بن عبید الله بن ظاهر بن يحيى المحدث ابن  
الحسن

○

بن جعفر، ويسمى عند الشيعة حجة الله بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن زين العابدين، وكان مسلم هذا صديقاً لكافور المتغلب على الأخشيديّة بمصر، وكان يدبر أمره، ولم يكن بمصر لعصره أوجه منه. ولما ملك العبيديون مصر، وجاء المعزّ لدين الله، ونزل بالقاهرة التي اختطها وذلك سنة خمس وستين وثلاثمائة خطب يومئذ من مسلم هذا كريمته لبعض بنيه فردّه مسلم فسخطه المعزّ ونكبه، واستصفى أمواله، وأقام في اعتقاله إلى أن هلك. ويقال قُر من محبسه فهلك في مفرة، ولحق ابنه ظاهر بن محمد بعد ذلك بالمدينة فقدمه بنو حسين على أنفسهم، واستقل بإمارتها سنين. ثم مات سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وولي مكانه ابنه الحسن. وفي كتاب العتبي مؤرخ دولة ابن سبكتكين: أن الذي ولي بعده هو صهره وابن عمه داود بن القاسم بن عبيد الله بن ظاهر، وكنيته أبو عليّ، واستقل بها دون ابنه الحسن إلى أمراء هلك، وولي بعده ابنه هاني، ثم ابنه مهنيّ. ولحق الحسن بمحمود بن سبكتكين فأقام عنده بخراسان، وهذا غلط لأنّ المسبّحي مؤرخ العبيديين ذكر وفاة ظاهر بن مسلم في سنتها كما قلناه وولاية الحسن ابنه. وقال: في سنة ثلاث وثمانين وعامل المدينة الحسن بن ظاهر ويلقب مهنيّ والمسبّحي أقعد بأخبار المدينة ومصر من العتبي، إلا أن أمراء المدينة لهذا العهد، ينتسبون إلى داود ويقولون: جاء من العراق فلعلهم لقنوا ذلك عمن لا يعرفه. ومؤرخ حماة متى ينسب أحداً من أوليهم فإنما ينسبه إلى أبي داود والله أعلم. وقال أبو سعيد: وفي سنة تسعين وثلاثمائة ملكها أبو الفتوح حسن بن جعفر أمير مكة من بني سليمان بأمر الحاكم العبيدي، وأزال عنها إمارة بني مهنيّ من بني الحسين، وحاول نقل الجسد النبوي إلى مصر ليلاً فأصابتهم ريح عاصفة اظلم لها الجوّ، وكادت تقتلع البناء من أصله فردهم أبو الفتوح عن ذلك، ورجع إلى مكة. وعاد بنو مهنيّ إلى المدينة. وذكر مؤرخ حماة من امرائهم منصور بن عمارة، ولم ينسبه، وقال: مات سنة سبع وتسعين وأربعمائة، وولي بعده ابنه. قال: وهم من ولد مهني. وذكر منهم أيضاً القاسم بن مهني بن حسين بن مهنيّ بن داود، وكنيته أبو قليته، وانه حضر مع صلاح الدين بن أيوب غزاة أنطاكية وفتحها سنة أربع وثمانين وخمسائة. وقال الزنجاري مؤرخ الحجاز فيما ذكر

عنه ابن سعيد، حين ذكر ملوك المدينة من ولد الحسين فقال: وأحقهم بالذكر لجلالة قدره قاسم بن جمار بن قاسم بن مهثي. وناه المستضيء فأقام خمساً وعشرين سنة. ومات سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وولي ابنه سالم بن قاسم، وكان شاعراً وهو الذي كانت بينه وبين أبي عزيز قتادة صاحب مكة وقعة المصارع بيدر سنة إحدى وستمائة. زحف أبو عزيز من مكة وحاصره بالمدينة، وأشتد في حصاره. ثم ارتحل، وجاء المدد إلى سالم من بني لام إحدى بطون همذان فأدرك أبا عزيز بيدر واقتتلوا وهلك من الفريقين خلق، وانهزم أبو عزيز إلى مكة. وفي سنة إحدى وستمائة جاء المعظم عيس بن العادل فجدد المصانع والبرك، وكان معه سالم بن قاسم أمير المدينة، جاء يشكو من قتادة فرجع معه، ومات في الطريق قبل وصوله إلى المدينة. وولي بعده ابنه شيخة، وكان سالم قد استخدم عسكرياً من التركمان فمضى بهم جمار بن شيخة إلى قتادة وغلبه، وفر إلى الينبع، وتحصن بها. وفي سنة سبع وأربعين قتل صاحب المدينة شيخة، وولي ابنه عيسى. ثم قبض عليه أخوه جمار سنة تسع وأربعين وملك مكانه. قال ابن سعيد: وفي سنة تسع وخمسين كان بالمدينة أبو الحسن بن شيخة بن سالم، وقال غيره: كان بالمدينة سنة ثلاث وخمسين أبو مالك منيف بن شيخة ومات سنة سبع وخمسين، وولي أخوه جمار، وعال عمره ومات سنة أربع وسبعمائة، وولي ابنه منصور. ولحق أخوه مقبل بالشام، ووفد على بمصر فأقطعه نصف إقطاع منصور. ثم أقبل إلى المدينة على حين غفلة مز أخيه منصور، وبها ابنه أبو كبيشة فملكها عليه، ولحق أبو كبيشة بإحياء العرب، ثم استجاشهم، ورجع إلى المدينة سنة تسع فقتل عمه مقبلاً وجاء منصوراً إلى محل إمارته. وكان لمقبل ابن اسمه ماجد فأقطع بعض إقطاع أبيه فأقام مع العرب يجلب على المدينة، ويخالف منصوراً عمه إليها متى خرج عنها. ووقع بين منصور وبين قتادة صاحب الينبع حرب سنة إحدى عشرة من أجله. ثم جاء ماجد بن مقبل بالمدينة سنة سبعة عشرة لقتال عمه منصور، واستنجد منصور بالسلطان فبعث إليه العساكر وحاصر ماجد بن مقبل بالمدينة. ثم قاتلهم وانهزم وبقي منصور على إمارته وتوفي سنة خمس وعشرين وولي ابنه كبيش بن منصور على إمارته، وطالت أيامه،

ونازعه ودي بن جماز وحاصره، وولي بعده طفيل وقبض عليه طاز سنة إحدى وخمسين وولي عطية. ثم توفي عطية سنة ثلاث وثمانين وولي بعده طفيل، وقبض عليه فامتنع وولي جماز بن هبة بن جماز بن منصور وملوك الترك بمصر يختارون لولايتها من هذين البيتين، لا يعدلون عنهما إلى سواهما. وولايتها اليوم لجماز بن هبة بن جماز، وابن عمه عطية بن محمد بن علي ينازعه، لما بينهما من المنازعة والمنافسة قديماً وحديثاً شأن العجلين في الثور، وهما جميعاً على

مذهب الإمامية من الرافضة، ويقولون بالأئمة الاثني عشر وبما يناسب ذلك من اعتقادات الإمامية. والله يخلق ما يشاء ويختار. هذا آخر الخبر عن أمراء المدينة، ولم اقف على أكثر منه، والله المٌقدر لجميع الأمور سبحانه لا إله إلا هو.

الخبر عن دولة بني الرسى أئمة الزيدية  
بصعدة وذكر أوليتهم ومصائر أحوالهم:

قد ذكرنا فيما تقدّم خبر محمد بن إبراهيم، الملقّب أبوه طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن الدعبيّ، وظهوره أيام المأمون، وقيام ابي السرايا ببيعته وشأنه كله. ولما هلك وهلك أبو السرايا وانقرض أمرهم، طلب المأمون أخاه القاسم الرسى بن إبراهيم طباطبا ففرّ إلى السّند، ولم يزلط به إلى أمراء هلك سنة خمس وأربعين ومائتين، ورجع ابنه الحسن إلى اليمن، وكان من عقبه الأئمة بصعدة من بلاد اليمن أقاموا للزيدية بها دولة اتصلت آخر الأيام وصعدة جبل في الشرق عن صنعاء، وفيه حصون كثيرة أشهرها صعدة وحصن تلا وجبل مطابة، وتعرف كلها ببني الرسى. وأول من خرج بها منهم يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى، دعا لنفسه بصعدة، وتسمى بالهادي، وبويع بها سنة ثمان وثمانين في حياة أبيه الحسين، وجمع الجموع من شيعتهم وغيرها، وحارب إبراهيم بن يعفر. وكان اسعد بن يعفر السادس من أعقاب التبايعة لصنعاء وكملا فغلبه على صنعاء ونجران فملكها وضرب السكّة، ثم انتزعها بنو يعفر منه، ورجع إلى صعدة وتوفي سنة ثمان وتسعين لعشر سنين من ولايته، هكذا قال ابن الحارث قال: وله مصنّفات في الحلال والحرام. وقال غيره: كان مجتهدا في الأحكام الشرعيّة، وله في الفقه آراء غريبة وتواليف بين الشيعة معروفة. قال الصولي: وولي بعده ابنه محمد المرتضى، واضطرب الناس عليه، وهلك سنة عشرين وثلاثمائة لست وعشرين سنة من ولايته. وولي بعده أخوه الناصر أحمد واستقام ملكه، واطرد في بنيه بعده فولي بعده ابنه حسين المنتجب ومات سنة أربع وعشرين. وولي بعده أخوه القاسم المختار إلى أن قتله أبو القاسم الضحاك؟ الهمداني سنة أربع وأربعين. وقال الصولي: من بني الناصر

الرشيد والمنتجب ومات سنة أربع وعشرين. وقال ابن حزم لما ذكر ولد ابي  
القاسم الرسى فقال: ومنهم القائمون

بصعدة من أرض اليمن، أولهم يحيى الهادي، له رأي في الفقه، وقد رأته، ولم يبعد فيه عن الجماعة كل البعد. كان لأبيه أحمد الناصر بنون ولي منهم صعدة بعده جعفر الرشيد، وبعده أخوه القاسم المختار، ثم الحسن المنتجب ومحمد المهدي. قال: وكان اليماني القائم بمرادة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة يذكر انه عبد الله بن أحمد الناصر أخو الرشيد والمختار والمنتجب والمهدي وقال ابن الحاجب: ولم تزل إمامتهم بصعدة مطردة إلى أمراء وقع الخلاف بينهم، وجاء السليمانيون من مكة عندها أخرجهم الهواشم فغلبوا عليهم بصعدة. وانقرضت دولتهم بها في المائة السادسة. قال ابن سعيد: وكان من بني سليمان حين خرجوا من مكة إلى اليمن أحمد بن حمزة بن سليمان، فاستدعاهم أهل زبيد لينصروهم على علي بن مهدي الخارجي حين حاصروهم، وبها فاتك بن محمد من بني نجاح فأجابهم على أمراء يقتلوا فاتكاً فقتلوه سنة ثلاث وخمسمائة، وملكوا عليهم أحمد بن حمزة فلم يطق مقاومة علي بن مهدي ففر عن زبيد وملكها ابن مهدي قال: وكان عيسى بن حمزة أخو أحمد في عشرة باليمن، ومنهم غانم بن يحيى ثم ذهب ملك بني سليمان من جميع التهائم والجبال واليمن على يد بني مهدي. ثم ملكهم بنو أيوب وقهروهم، واستقر ملكهم آخراً في المنصور عبد الله بن أحمد بن حمزة.

قال ابن العديم: أخذ الملك بصعدة عن أبيه واشتدت يده مع الناصر العبّاسي، وكان يناظره ويبعث دعائه إلى الديلم وجيلان، حتى خطب له هنالك وصار له فيها ولاة، وأنفق الناصر عليه أموالاً في العرب باليمن ولم يظفر به. قال ابن الأثير: جمع المنصور عبد الله بن حمزة أيام الزيدية بصعدة سنة إثنين وخمسمائة، وزحف إلى اليمن فخاف منه المعز بن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب. ثم زحف إليه المعز فهزمه، ثم جمع ثانية سنة إثنين وعشرون وخمسمائة جموعاً من همذان وخولان، وارتجت له اليمن، وخاف المسعود بن الكامل وهو يومئذ صاحب اليمن، ومعه الكرد والترك، وأشار أمير الجيوش عمر بن رسول بمعاجلته قبل أمراء يملك الحصون. ثم اختلف أصحاب المنصور، ولقيه المسعود فهزمه، وتوفي المنصور سنة ثلاثين



وستمئة عن عمر مديد، وترك ابناً اسمه أحمد وناه الزيدية، ولم يخطبوا له  
بالإمامة ينتظرون علو سنه واستكمال شروطه ولما كانت

سنة خمس وأربعين بايع قوم من الزيدية لأحمد الموطىء من بقية الرسى، وهو احمد بن الحسين من بني الهادي لأنهم لما أخرجهم بنو سليمان من كرسي إمامتهم بصعدة آووا إلى جبل قطابة بشرقي صعدة فلم يزالوا هنالك، وفي كل عصر منهم إمام شائع بأن الأمر إليهم أن بايع الزيدية الموطىء، وكان فقيهاً أديباً عالماً بمذهبهم قواماً صواماً، بويع سنة خمس وأربعين وستمائة.

#### القسم الثاني المجلد الرابع

##### من تاريخ العلامة ابن خلدون

وأهم نور الدين عمر بن رسول شأنه فحاصره بحصن تلا سنة، وامتنع عليه فأفرج عنه، وحمل العساكر من الحصون المجاورة لحصاره. ثم قتل عمر بن رسول، وشغل ابنه المظفر بحصن الدمولة فتمكّن الموطىء، وملك عشرين حصناً، وزحف إلى صعدة فغلب السلیمانيين عليها، وقد كانوا بايعوا لأحمد ابن إمامهم عبد الله المنصور، ولقبوه المتوكل عندما بويع للموطىء بالإمامة في تلا لأنهم كانوا ينتظرون استكمال سنة فلما بويع الموطىء بايعوه، ولما غلبهم على صعدة نزل أحمد المتوكل إمامهم، وبايع له وأمنه، وذلك سنة تسع وأربعين، ثم حجّ سنة خمسين وبقي أمر الزيدية بصعدة في عقب الموطىء هذا وسمعت بصعدة أن الإمام بصعدة كان قبل الثمانين والسبعمئة علي بن محمد في أعقابهم، وتوفي قبل الثمانين والسبعمئة علي بن محمد في أعقابهم، وولي ابنه صلاح، وبايعه الزيدية. وكان بعضهم يقول ليس هو بإمام لعدم شروط الإمامة فيقول هو أنا لكم ما شئتم إمام أو سلطان. ثم مات صلاح آخر سنة ثلاث وتسعين، وقام بعده ابنه نجاح، وامتنع الزيدية من بيعته فقال أنا محتسب لله، هذا ما بلغنا عنهم بمصر أيام المقام فيها، والله وارث الأرض ومن عليها.

#### نسب الطالبين

الخبر عن نسب الطالبين وذكر المشاهير من أعقابهم

وأما نسب هؤلاء الطالبين فأكثرها راجع إلى الحسن والحسين ابني علي بن ابي طالب، من فاطمة رضي الله عنها، وهما سبطا الرسول ﷺ وإلى

أخيها محمد بن الحنفية، وإن كان لعلي رضي الله عنه غيرهم من الولد، إلا أنّ الذين طلبوا الحق في الخلافة، وتعصبت لهم الشيعة، ودعوا لهم في الجهات إنما هم الثلاثة لا غيرهم، فأُمّا الحسن فمن ولده الحسن المثنى وزيد، ومنهما العقب المشهود له في

الدعوة والإمامة. ومن ولد حسن المثنى عبد الله الكامل، وحسن المثلث وإبراهيم العمر وعباس وداود. فأما عبد الله الكامل وبنوه فقد مر ذكرهم وأنسابهم عند ذكر ابنه، محمد المهدي، وأخبارهم في أبي جعفر المنصور. وكان منهم الملوك الأدارسة بالمغرب الأقصى، بنو إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل. ومن عقبهم بنو حمود ملوك الأندلس الدائلون بها من بني أمية آخر دولتهم. ومنهم بنو حمود بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس، وسيأتي ذكر أخبارهم. ومنهم بنو سليمان بن عبد الله الكامل، كان من عقبه ملوك اليمامة بنو محمد الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون، ومنهم بنو صالح بن موسى بن عبد الله الساقى ويلقب بابي الكرام بن موسى الجون، وهم الذين كانوا ملوكا بغانة من بلاد السودان بالمغرب الأقصى، وعقبهم هنالك معروفون. ومن عقبه أيضاً الهواشم بنو أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد الأكبر بن موسى الثاني بن عبد الله أبي الكرام. كانوا أمراء مكة لعهد العبيديين، وقد مر ذكرهم. ومن أعقابهم بنو قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن سليمان بن موسى الجون، وملكوا مكة بعد الهواشم على يد قتادة أبيهم هذا. فمنهم بنو نمى بن سعد بن علي بن قتادة أمراء مكة لعهدنا. ومن عقب داود بن حسن المثنى السليمانيون الذين كانوا بمكة، وهم بنو سليمان بن داود، وغلبهم عليها الهواشم آخرًا وصاروا إلى اليمن فقامت الزيدية بدعوتهم كما مر في أخبارهم. ومن عقب حسن المثلث بن حسن المثنى حسين بن علي بن حسن المثلث الخارج على الهادي، وقد مر ذكره. ومن عقب إبراهيم العمر بن حسن المثنى بن طباطبا، وأسمه إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم كان منهم محمد بن طباطبا أبو الأئمة بصعدة الذين غلبهم عليها بنو سليمان بن داود بن حسن المثنى، حين جاؤوا من مكة. ثم غلبهم بنو الرسى عليها، ورجعوا إلى إمامهم بصعدة، وهم بها لهذا العهد. ومنهم بنو سليمان بن داود بن حسن المثنى، وإبنة محمد بن سليمان القائم بالمدينة أيام المأمون. قال ابن حزم: وعقبه بالمدينة لأبي جعفر المنصور، ولا عقب لزيد إلا منه. وكان من عقبه محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن زيد. قام بالمدينة أيام المعتمد، وجاهر بالمنكرات

والقتل إلى أن تعطلت الجماعات. ومن عقبه أيضاً القائم بطبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد، وأخوه محمد القائم من بعده، وقد مر خبرهما. ومنهم الداعي الصغير بالري وطبرستان، وهو الحسن بن

القاسم بن عليّ بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد الطحاني بن القاسم بن الحسن بن زيد، وكانت بين هذا الداعي الصغير وبين الاطروش حروب. وقتل هذا الداعي سنة تسع عشرة وثلاثمائة. ومن عقبه أيضاً القاسم بن عليّ بن إسماعيل أحد قوّاد الحسن بن زيد. وهم غيروا نعم أهل تلك الآفاق، وأذهبوا بمهجتهم وكانوا سبباً لتورد الديلم ببلاد الإسلام، لما يستجيشونهم. وخرج معهم ومع الاطروش الحسن بن كالي ملك الديلم. وكان مرداويج وبنو بويه من بعض رجاله، وكان لهم من عشيرهم قوّاد ورجال تسموا باسم الديلم من أجل مرباهم بينهم والله يخلق ما يشاء. وأما الحسين وهو القتل بالطعن أيام يزيد بن معاوية، فمن ولده عليّ بن زين العابدين بن زيد الشهيد، ومحمد الباقر، وعبد الله الأرقط، وعمر والحسن الأعرج. فمن ولد الأرقط الحسين الكويكي بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الأرقط كان من قوّاد الحسن الأطروش بن الحسن بن علي القائم بن علي بن عمر. قام بأرض الطالقان أيام المعتصم. ثم هرب من سفك الدماء، واستتر إلى أن مات، وكان معتزلياً. ومنهم الأطروش أسلم على يديه الديلم، وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر، وكان فاضلاً حسن المذهب عدلاً، ولي طبرستان وقتل سنة أربع وثلاثمائة. وقام بعده أخوه محمد ومات. وقام الحسين ابن أخيه محمد بن علي وقتل بها سنة ست عشرة وثلاثمائة، قتله جيوش نصر بن احمد بن إسماعيل بن أحمد بن نوح بن أسد الساماني صاحب خراسان. ومن ولد الحسين الهمّرج بن زين العابدين بن عبد الله العقيقي بن الحسين، كان من ولده الحسين بن صمد بن جعفر بن عبد الله العقيقي قتله الحسن بن زيد صاحب طبرستان. ومنهم جعفر بن عبيد الله بن الحسين الأعرج. كان شيعته يسمّونه حجّة الله، وكان من عقبه الملقب بمسلم الذي دبر أمر مصر أيام كافور، وهو محمد بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى المحدث ابن الحسين بن جعفر حجّة الله، وابنه طاهر بن مسلم. ومن عقب طاهر هذا أمراء المدينة لهذا العهد بنو جماز بن هبة بن جماز بن جماز بن شيخة بن هاشم بن القاسم بن مهنيّ، ومهنيّ بن داود بن القاسم أخي مسلم وعمر وطاهر.

وزعم ابن سعيد: أن بني جمار بن شيخة أمراء المدينة هؤلاء من ولد عيسى  
بن زيد

الشهيد، وفيه نظر. ومن ولد الحسين الحسن الأعرج، وزيد هو القائم بالكوفة على عهد هشام بن عبد الملك سنة احدى وعشرين ومائة، وقتل، وخرج ابنه يحمى سنة خمس وعشرين بخراسان وقتل، وقد انتمى صاحب الزنج في بعض أوقاته إليه. وأخوه عيسى بن زيد الذي حارب المنصور أول خلافته من ولد الحسين الذي كان من عقبه يحمى بن عمر بن يحيى، القائم بالكوفة أيام المستعين، وكان حسن المذهب في الصحابة وإليه ينسب العمرِيُّون الذين استولوا على الكوفة أيام الديلم من قبل السلطان ببغداد. وعلي بن زيد بن الحسين بن زيد قام بالكوفة، ثم هرب إلى صاحب الزنج بالبصرة فقتله وأخذ جارية له كان سبهاها من البصرة. ومن ولد محمد الباقر بن زين العابدين عبد الله الأفطح، وجعفر الصادق، فكانت لعبد الله الأفطح شيعة يدعون إمامته: منهم زرارة بن أعين الكوفي. ثم قام بالمدينة وسأله عن مسائل من الفقه فألفاه جاهلاً فرجع عن القول بإمامته فانقطعت الأفطحيَّة. وزعم ابن حزم أن بني عبيد ملوك مصر ينسبون إليه وليس ذلك بصحيح. ومن ولد جعفر الصادق إسماعيل الإمام، وموسى الكاظم، ومحمد الديباجة. فأما محمد الديباجة فخرج بمكة أيام المأمون وباع له أهل الحجاز بالخلافة، وحمله المعتصم لما حج، وجاء به إلى المأمون فعفا عنه، ومات سنة ثلاث ومائتين. وأما إسماعيل م الإمام وموسى الكاظم فعليهما وعلى بينهما مدار اختلاف الشيعة، وكان الكاظم على زيِّ الأعراب مائلاً إلى السواد، وكان الرشيد يؤثره ويتجافى عن السعاية فيه كما مر ثم حبسه. ومن عقبه بقية الأئمة الأثني عشر عند الإمامية من لدن علي بن أبي طالب الوصي ووفاته سنة خمس وأربعين، ثم أخوه الحسين ومقتله سنة احدى وستين، ثم ابنه زين العابدين ووفاته ثم ابنه محمد الباقر ووفاته سنة احدى وثمانين ومائة، ثم ابنه جعفر الصادق ووفاته سنة ثلاث وأربعين ومائة، ثم ابنه موسى الكاظم ووفاته سنة ثلاث وثمانين ومائة، وهو سابع الأئمة عندهم. ثم ابنه علي الرضا ووفاته سنة ثلاث ومائتين، ثم ابنه محمد المقتفى ووفاته سنة عشرين



ومائتين، ثم ابنه علي الهادي ووفاته سنة أربع وخمسين ومائتين، ثم ابنه حسن العسكري ووفاته سنة ستين ومائتين، ثم ابنه محمد المهدي وهو الثاني عشر، وهو عندهم حيٌّ منتظر وأخبارهم معروفة. ومن عقب موسى الكاظم من غير الأئمة ابنه إبراهيم المرتضى، وولاه محمد بن طباطبا وأبو السرايا على اليمن فذهب إليها، ولم يزل بها أيام المأمون يسفك الدماء حتى لُقِّبَ الناس بالجزائر، وأظهر الإمامة عندما عهد المأمون لأخيه الرضا. ثم اتهم المأمون بقتله فجاهر وطلب لنفسه. ثم عقد المأمون على حرب الفاطميين باليمن لمحمد بن زياد بن أبي سفيان لما بينهم من البغضاء فأوقع بهم مراراً، وقتل شيعتهم، وفرَّق جماعتهم، ومن عقب موسى بن إبراهيم جد الشريف الرضي والمرتضى، واسم كل منهما علي بن الحسين بن محمد بن موسى بن إبراهيم، ومن عقب موسى الكاظم ابنه زيد ولَّاه أبو السرايا على الأهواز فسار إلى البصرة وملكها، وأحرق دور العباسيين بها فسَمِّي زيد النار، ومن عقبه زيد الجنة بن محمد بن زيد بن الحسن بن زيد النار من أفاضل هذا البيت وصلحائهم، حمل إلى بغداد في محنة الفاطميين أيام المتوكل، ودفع إلى ابن أبي دواد يمتحنه فشهد له وأطلقه. ومن عقب موسى الكاظم ابنه. إسماعيل وولاه أبو السرايا على فارس. ومن عقب جعفر الصادق من غير الأئمة محمد وعلي إنا الحسين بن جعفر، قاما بالمدينة سنة إحدى وسبعين ومائتين، وسفكا الدماء وانتهبا الأموال، واستلحما آل جعفر بن أبي طالب وأقامت المدينة شهراً لا تقام فيها جمعة ولا جماعة، ومن عقب إسماعيل الإمام العبيديون خلائف القيروان ومصر بنو عبيد الله المهدي بن محمد بن جعفر بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل، وقد مرَّ ذكرهم وما للناس محن الخلاف في نسبهم، وهو مطروح كله وهذا أصح ما فيه. وقال ابن حزم إنهم من بني حسن البغيض وهو عم المهدي وعنده أنها دعوى منهم. (وأماً محمد بن الحنفية) فكان من ولده عبد الله بن عباس وأخوه علي بن محمد وابنه الحسن بن علي بن محمد، وكلُّ ادَّعت الشيعة إمامته وخرج باليمن على المأمون ولد علي من غير هؤلاء عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، ومن ولد جعفر بن أبي طالب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القائم

بفارس، وبويع بالكوفة، وأراد بعض شيعة العباسية تحويل الدعوة إليه فمنع أبو مسلم من ذلك وكانت له شيعة ينتظرونه، وساقوا الخلافة إليه من أبي هاشم بن محمد بن الحنفية بالوصية. وكان

فاسقا وكان معاوية ابنه نظير أبيه في الشّر. انتهى الكلام في أنساب الطالبين وأخبارهم فلنرجع الآن إلى أخبار بني أمية بالأندلس، المنازعين للدعوة العبّاسية. ثم نرجع إلى دولة القائميين بالدعوة العبّاسية المستبدّين عليهم من العرب والترك واليمن والجزيرة والشام والعراق والمغرب، والله المستعان.

#### دولة بني أمية بالأندلس

الخبر عن دولة بني أمية بالأندلس من هذه الطبقة المنازعين للدعوة العبّاسية وبداية أمرهم وأخبار ملوك الطوائف من بعدهم

كان هذا القطر الأندلسي من العدو الشمالية عن عدوة البحر الرومي، وبالجانب الغربي منها يسمى عند العرب أندلوش. وتسكنه أمم من إفرنجة المغرب أشدهم وأكثرهم الجلالة. وكان القوط قد تملكوها وغلبوا على أمره لمائتين من السنين قبل الإسلام بعد حروب كانت لهم مع اللطينيين حاصروا فيها رومة. ثم عقدوا معهم السلم على أن تنصرف القوط إلى الأندلس فساروا إليها وملكوها. ولما أخذ الروم واللطينيون لبسلة(1) النصرانية حملوا من وراءهم بالمغرب من أهل إفرنجة والقوط عليها فدانوا بها وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة، وكانت دار ملكهم. وربما انتقلوا ما بينها وبين قرطبة وماردة واشبيلية، واقاموا كذلك نحو أربعمئة سنة إلى أن جاء الله بالإسلام والفتح. وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لزريق وهو سمة لملوكهم كجرجير سمة ملوك صقلية، ونسب القوط وخبر دولتهم قد تقدم. وكانت لهم خطوة وراء البحر في هذه العدو الجنوبية خصوها من فرضة المجاز بطنجة، ومن زقاق البحر إلى بلاد البربر واستعبدوهم. وكان ملك البرابرة بذلك القطر الذي هو اليوم جبال غمارة يسمى بليان(1)، وكان يدين بطاعمهم وبملتهم، وموسى بن نصير أمير العرب إذ ذاك عامل

على أفريقية من قبل الوليد بن عبد الملك، ومنزله بالقيروان. وكان قد أغزى لذلك العهد عساكر المسلمين بلاد المغرب الأقصى ودوّخ أقطاره، وأوغل في جبال طنجة هذه حتى وصل خليج الزقاق، واستنزل بليان لطاعة الإسلام، وخلف موله طارق بن زياد الليثي واليا بطنجة، وكان بليان ينقم على لزريق ملك القوط لعده بالأندلس لفعله بابنته في داره كما زعموا على عادتهم في بنات بطارقتهم فغضب لذلك وأجاز إلى لزريق فأخذ ابنته منه. ثم لحق بطارق فكشف للعرب عورة القوط ودلهم على غرة فيهم أمكنت طارقا فانتهازها لوقته، وأجاز البحر سنة اثنتين وتسعين من الهجرة بإذن أميره موسى بن نصير في نحو ثلاثمائة من العرب، وانتهب معهم من البربر زهاء عشرة آلاف فصيرهم عسكرا (1) و نزل بهم جبل الفتح فسمي به وأداروا الأسوار على أنفسهم للتحصين. وبلغ الخبر لزريق فنهض إليهم يجر أمم الأعاجم، وأهل ملة النصرانية في زهاء أربعين ألفاً فالتقوا بفحص شريش فهزمه إليه ونفلهم أموال أهل الكفر ورقابهم. وكتب طارق إلى موسى بن نصير بالفتح وبالغنائم فحركته الغيرة، وكتب إلى طارق يتوعّده بأنه يتوعّل بغير إذنه، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به، واستخلف على القيروان ولده عبد الله، وخرج معه حسين بن ابي عبد الله المهدي الفهري. ونهض من القيروان سنة ثلاث وتسعين من الهجرة في عسكر ضخم من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر، ووافى خليج الزقاق ما بين طنجة والجزيرة الخضراء فأجاز إلى الأندلس، وتلقاه طارق وانقاد واتبع، وتمم موسى الفتح وتوغل في الأندلس إلى برشلونة في جهة الشرق، وأربونة في الجوف وصنم قادس في الغرب ودوخ أقطارها وجمع غنائمها. وجمع أن يأتي

المشرق على القسطنطينية وبتجاوز إلى الشام ودروب الأندلس(1)، ويخوض ما بينها من بلاد الأعاجم أمم النصرانية مجاهداً فيهم مستلحماً لهم إلى أن يلحق دار الخلافة. ونمى الخبر إلى الوليد فاشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب، ورأى أن ما هم به موسى غرر بالمسلمين فبعث إليه بالتوبيخ والانصراف. وأسر إلى سفيره أن يرجع بالمسلمين أن لم يرجع هو، وكتب له بذلك عهده ففت ذلك في عزم موسى، وقفل عن الأندلس بعد أن أنزل الرابطة والحامية بثغورها، واستعمل ابنه عبد العزيز لغزوها وجهاد أعدائها، وأنزله بقرطبة فاتخذها دار إمارة، واحتل موسى بالقيروان سنة خمس وتسعين، وارتحل إلى الشرق سنة ست بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والأموال على العجل والظهر. يقال: كان من جملتها ثلاثون ألف فارس من السبي وولّى على إفريقية ابنه عبد الله. وقدم على سليمان فسخطه ونكبه. وسارت عساكر الأندلس بابنه عبد العزيز بإغراء سليمان فقتلوه لسنتين من ولايته، وكان خيراً فاضلاً، وافتتح في ولايته مدائن كثيرة. وولي من بعده أيوب بن حبيب اللّخميّ وهو ابن أخت موسى بن نصير فتولى عليها ستة أشهر. ثم تتابعت ولاة العرب على الأندلس فتارة من قبل الخليفة، وتارة من قبل عامله على القيروان، وأثخنوا في أمم الكفر وافتتحوا برشلونة من جهة الشرق، وحصون بشتالة(2) وبسائطها، من جهة الجوف، وانقرضت أمم القوط وأرزا(3) الجلالقة ومن بقي من أمم العجم إلى جبال قشتالة وأربونة وأفواه الدروب فتحصنوا بها، وأجازت عساكر المسلمين ما وراء برشلونة من دروب الجزيرة حتى احتلوا بسائط وراءها، وتوغلوا في بلاد الفرنجة وعصف ربح الإسلام بأمم الكفر من كل جهة، وربما كان بين جنود الأندلس من العرب اختلاف وتنازع، أوجب للعدو بعض الكرة فرجع الفرنج ما كانوا غلبوهم عليه. وكان محمد بن يزيد عامل إفريقية لسليمان بن عبد الملك، لما بلغه مهلك عبد العزيز بن موسى بن نصير، بعث إلى الأندلس الحارث بن عبد الرحمن بن عثمان (4) فقدم

الأندلس وعزل أيوب بن حبيب، وولي سنتين وثمانية أشهر. ثم بعث عمر بن عبد العزيز على الأندلس السمح بن مالك الخولاني على رأس المائة من الهجرة، وأمره أن يخمس أرض الأندلس فخمسها، وبنى قنطرة قرطبة واستشهد غازياً بأرض الفرنجة سنة إثنين ومائة فقدم أهل الأندلس عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، إلى أن قدم عنيسة بن شحيم الكلبي من قبل يزيد بن مسلم عامل إفريقية. وكان أولهم يحيى بن سلمة الكلبي، أنفذه حنظلة بن صفوان الكلبي والي إفريقية، لما استدعى منه أهل الأندلس واليا بعد مقتل عنيسة فقدمها آخر سنة سبع، وأقام في ولايتها سنتين ونصفاً ولم يغز ثم قدم إليها عثمان بن أبي (1) والياً من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب إفريقية، وعزله لخمسة أشهر مجذيفة بن الأحوص العتبي فوافاها سنة عشر، وعزل قريباً يقال لسنة من ولايته، واختلف هل تقدمه عثمان أم هو تقدم عثمان. ثم ولي بعده الهيثم بن عبيد الكلابي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن أيضاً قدم في المحرم سنة إحدى عشرة وغزا أرض مقرشة فافتتحها وأقام عشرة أشهر. وتوفي سنة ثلاث عشرة لسنتين من ولايته، وقدم بعده محمد بن عبيد الله بن الحجاب صاحب إفريقية فدخلها سنة ثلاث عشرة وغزا إفريقية. وكانت له فيهم وقائع وأجبت عسكره في رمضان سنة أربع عشرة فولي سنتين. وقال الواقدي: أربع سنين، وكان ظلوماً جائراً في حكومته وغزا أرض البشكنس سنة خمس عشرة ومائة، وأوقع بهم وغنم، ثم عزل في رمضان سنة ست عشرة وولي عتبة بن الحاج السلولي، من قبل عبيد الله بن الحجاب فقدم سنة سبع عشرة. وأقام خمس سنين محمود السيرة مجاهداً مُطَقَّراً حتى بلغ سكنى المسلمين أرمونة، وصار مساكنهم على نهر ودونة. ثم قام عليه عبد الملك بن قطن الفهري سنة إحدى وعشرين فخلفه وقتله. ويقال أخرج من الأندلس وولي مكانه إلى أن دخل بلخ بن يشر بأهل الشام سنة أربع وعشرين كما مر فغلب عليه، وولي الأندلس سنة أو نحوها. وقال الرازي: ثار أهل الأندلس بعقبة بن الحجاج أميرهم في صفر من سنة ثلاث وعشرين في خلافة هشام بن عبد الملك، وولوا عليهم عبد الملك ابن قطن ولايته

الثانية فكانت ولاية عقبة ستة أعوام وأربعة أشهر. وتوفي بسَرْقُوسَة في صفر سنة ثلاث وعشرين، واستقام الأمر لعبد الملك. ثم

دخل بلخ بن يشر من أهل الشام، ناجياً من وقعة كلثوم بن عيَّاض، مع البربر فثار على عبد الملك وقتله، وانحاز الفهريُّون إلى جانب فامتنعوا عليه وكاشفوه، واجتمع عليهم من نكر فعلته بابن قطن، وقام بأمرهم قطن وأمِّيَّة ابنا عبد الملك بن قطن والتقوا فكانت الدبرة على الفهريِّين، وهلك بلخ من الجراح التي أصابته في حربهم، وذلك سنة أربع وعشرين لسنة أو نحوها من إمارته ثم ولي ثعلبة بن سلامة الجذامي، غلب على إمارة الأندلس بعد مهلك بلخ وانحاز عنه الفهريُّون فلم يطيعوه، وولي سنين أظهر فيها العدل، ودانت له الأندلس عشرة أشهر إلى أن ثار بالعصبة اليمانية فعسر أمره، وهاجت الفتنة. وقدم أبو الخطَّار حسام بن ضرار الكلبي من قبل حنظلة بن صفوان عامل إفريقية، وركب إليها البحر من تونس سنة خمس وعشرين فدانت له أهل الأندلس وأقبل إليه ثعلبة وابن أبي سعد، وإبنا عبد الملك فلقبهم واحسن إليهم واستقام أمره. وكان شجاعاً كريماً ذا رأي وحزم، وكثر أهل الشام عنده، ولم تحملهم قرطبة ففرَّ قههم في البلاد، وأنزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق، وأنزل أهل حمص أشيلية وسماها حمص لشبهها بها، وأهل قنسرين حسان وسماها قنسرين، وأهل الأردن رية وهي مالقة وسماها الأردن، وأهل فلسطين شدونة وهي شريش وسماها فلسطين، وأهل

مصر تدمير وسماها مصر. وقفل ثعلبة إلى الشرق، ولحق بمروان بن محمد وحضر حرابه وكان أبو الخطاب (1) أعرابياً عصبياً أفرط عند ولايته في التعصُّب لقومه من اليمانية وتحامل على المصربيَّة، وأسخط قيساً، وأمر في بعض الأيام بالضميل بن حاكم كبير القيسية، وكان من طوابع بلخ، وهو الضَّميل بن حاكم بن شمر بن ذي الجوشن، ورأس على الحصرية (2) فأمر به يوماً فأقيم من مجلسه، وتقنع فقال له بعض الحجاج وهو خارج من القصر: أقم عمامتك يا أبا الجوشن، فقال أن كان لي قوم فسيقيمونها فسار الضميل بن حاتم زعيمهم يومئذ وألب عليه قومه، واستعان بالمنحرفين عنه

من اليمثية فخلع أبا الخطاب سنة ثمان وعشرين، لأربع سنين وتسعة أشهر من ولايته، وقدم مكانه ثوابه بن سلامة الجذامي وهاجت الحرب المشهورة. وخاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب إفريقية فكتب إلى ثوابه بعهدته على الأندلس، منسلخ



رج 0ب سنة تسع وعشرين فضبط الأندلس، وقام بأمره الضمّيل، واجتمع عليه الفريقان. وهلك لستين من ولايته. ووقع الخلاف بإفريقية، وتلاشت أمور بني أمية بالمشرق وشغلوا عن قاصية المغرب بكثرة الخوارج وعظم أمر المسودة فبقي أهل الأندلس فوضى، ونصبوا للأحكام خاصة عبد الرحمن بن كثير. ثم اتفق جند الأندلس على اقتسام الإمارة بين المضربية واليمينية، وإدالتها بين الجندين سنة لكل دولة. وقدم المضربية على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة تسع وعشرين، واستقر سنة ولايته بقرطبة دار الإمارة. ثم وافقتهم اليمينية لميعاد إدالتهم واثقين بمكان عهدهم وتراضيهم واتفاقهم فبيتهم يوسف بمكان نزلهم من شقندة من قرى قرطبة (1) من الضمّيل بن حاتم والقيسية والمضربية فاستلحموهم، واستبدّ يوسف بما وراء البحرين عدوة الأندلس، وغلب اليمينية على أمرهم فاستكانوا للغلبة، وتربصوا بالدوائر إلى أن جاء عبد الرحمن الداخل، فكان يوسف بن عبد الرحمن قد ولى الضمّيل بن حاتم سرقسطة، فلما ظهر أمر المسودة بالمشرق ثار الحباب بن رواحة الزهري بالأندلس داعياً لهم، وحاصر الضمّيل بسرقسطة، واستمد يوسف فلم يمدّه رجاء هلاكه بما كان يغص به. وأمّدتّه القيسية فأخرج عنه الحباب، وفارق الضمّيل سرقسطة فملكها الحباب وولى يوسف الضمّيل على طليطلة إلى أن كان من أمر عبد الرحمن الداخل ما نذكره.

مسير عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس وتجديده الدولة بها:

لما نزل ما نزل ببني أمية بالمشرق، وغلبهم بنو العباس على الخلافة، وأزالوهم عن كرسيها، وقتل عبد الله بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفائهم سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وتبع بنو مروان بالقتل فطلبوا من بعدها بطن الأرض. وكان ممن أفلت منهم عبد

الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، وكان قومه يتحيتون له ملكاً بالمغرب، ويرون فيه علامات لذلك يؤثرونها عن مسلمة بن عبد الملك، وكان هو قد سمعها منه مشافهة فكان يحدث نفسه بذلك فخلص إلى المغرب، ونزل على أخواله نفرة من برابرة طرابلس. وشعر به عبد الرحمن بن حبيب، وكان قتل ابني الوليد بن عبد الملك لما دخلا إفريقية من قبله فلحق عبد الرحمن بمغيلة ويقال بمكناسة، ويقال نزل على قوم من زناتة فأحسنوا قبوله واطمأنّ فيهم. ثم لحق بمليّة، وبعث بدرّاً موله إلى من بالأندلس من موالي المروانيين وأشياهم فاجتمع بهم، وبتوا له بالأندلس دعوةً، ونشروا له ذكراً. ووافق ذلك ما قدمناه من الفتنة بين اليمانية والمضرية فاجتمعت اليمانية على أمره، ورجع إليه بدر موله بالخبر فأجاز البحر، سنة ثمان وثلاثين في خلافة ابي جعفر المنصور، ونزل بساحل السند، واتاه قوم من أهل إشبيلية فبايعوه. ثم انتقل إلى كورة رحب فبايعه عاملها عيسى بن مسور، ثم رجع إلى شدونة فبايعه عتاب بن علقمة اللخمي. ثم أتى مورور فبايعه ابن الصباح، ونهز(1) إلى قرطبة واجتمعت عليه اليمانية. ونمي خبره إلى والي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري وكان غازياً بجليقة فانفض عسكره، وسار إلى قرطبة، وأشار عليه وزيره الضمير بن حاتم بالتلطف له، والمكر به فلم يتم له مراده. وارتحل عبد الرحمن من المنكب فاحتل بمالقة فبايعه جندها، ثم يرندة فبايعه جندها، ثم بشريش كذلك، ثم بإشبيلية فتوافقت عليه الإمداد والإمصار، وتسايلت المضرية إليه حتى إذا لم يبق مع يوسف بن عبد الرحمن غير الفهرية والقيسية لمكان الضمير منه، زحف إليه حينئذ عبد الرحمن بن معاوية وناجزهم الحرب، بظاهر قرطبة فانكشف، ورجع إلى غرناطة فتحصن بها وأتبعه الأمير عبد الرحمن فنازله. ثم رغب إليه يوسف في الصلح فعقد له على أن يسكن قرطبة، وأقفله معه، ثم نقض يوسف عهده وخرج سنة إحدى وأربعين ولحق بطليطلة، واجتمع إليه زهاء عشرين ألفاً من البربر، وقدم الأمير عبد الرحمن للقاءه عبد الملك بن عمر المرواني، كان وفد عليه من المشرق، وكان أبوه عمر بن مروان بن الحكم، في كفالة أخيه عبد العزيز

بمصر فلما هلك سنة خمس عشرة بقي عبد الملك بمصر فلما دخلت  
المسودّة أرض مصر، خرج عبد الملك يوم

الأندلس في عشرة رجال من بيته مشهورين بالبأس والنجدة، حتى نزل على عبد الرحمن سنة إحدى وأربعين فعقد له على إشبيلية، ولابنه عمر بن عبد الملك على مورور. وسار يوسف إليهما وخرجا إليه فلقياه، وتناجز الفريقان فكانت الدبرة على يوسف، وأبعد العزّ واغتاله بعض أصحابه بناحية طليطلة، واحتز رأسه، وتقدم به إلى الأمير عبد الرحمن فاستقام أمره، واستقر بقرطبة، وبنى القصر والمسجد الجامع. أنفق ثمانين ألف دينار، ومات قبل تمامه. وبنى مساجد، ووفد عليه جماعة من أهل بيته من المشرق، وكان يدعو للمنصور، ثم قطعها لما تم له الملك بالأندلس، ومهد أمرها وخلص لبيبي مروان السلطان بها، وجدّد ما طمس لهم بالمشرق من معالم الخلافة وآثارها. واستلحم الثوار في نواحيها وقطع دعوة العبّاسيين من منابرها وسد المذاهب منهم دونها. وهلك سنة إثنين وسبعين ومائة، وكان يعرف بعبد الرحمن الداخل، لأن أول داخل من ملوك بني مروان هو وكان أبو جعفر المنصور يسميه صقر بني أمية لما رأى ما فعل بالأندلس، وما ركب إليها من الأخطار. وأنه صمد إليها من أنأى ديار المشرق من غير عصابة ولا قوة ولا أنصار فغلب على أهلها، وعلى أميرهم، وتناول الملك من أيديهم بقوة شكيمة ومضاء عزم. ثم تحفى وأطيع، وأورثه عقبه. وكان عبد الرحمن هذا يلقب بالأمير، وعليه جرى بنوه من بعده فلم يدع أحد منهم بأمر المؤمنين، إذ بايع الخلافة بمقر الإسلام ومبتدا العرب، حتى كان عبد الرحمن الناصر وهو الثامن منهم على ما نذكره فتسمّى بأمر المؤمنين، وتوارث ذلك بنوه واحداً بعد واحد. وكان لبني عبد الرحمن الداخل بهذه العدوّة الأندلسية ملك ضخم، ودولة ممتعة (1) اتصلت إلى ما بعد المائة الرابعة كما نذكر. وعندما شغل المسلمون بعبد الرحمن وتمهيد أمره قوي أمر الخلافة، واستفحل سلطانه، وتجهّز فرويلة بن الأدفونش ملكهم، وسار إلى ثغور البلاد فأخرج المسلمين منها وملكها من أيديهم ورد مديزلك وبريغال وسمورة وسلمنقة وقشتالة وسقونية، وصارت للجلاقة حتى افتتحها المنصور بن ابي عامر رئيس الدولة كما نذكر في أخباره. ثم استعادوها بعده من بلاد الأندلس واستولوا على جميعها. وكان عبد الرحمن عندما تمهد له

الأمر بالأندلس، ودعا للسفّاح، ثم خلعه، واستبد بأمره كما ذكرناه، وجد  
هشام بن عبد ربه الفهري

مخالفاً بطليطلة على يوسف من قبله، بقي على خلافه ثم أغزاه عبد الرحمن سنة تسع وأربعين بداراً مولاه وتمام بن علقمة فحاصراه - ومعه حيوة بن الوليد الحصبي، وحمزة بن عبد الله بن عمر - حتى غلباه، وجاءا بهم إلى قُرطبة فصلبوا. وسار من إفريقية سنة تسع وأربعين العلاء بن مغيث اليحصبي، ونزل باجة من بلاد الأندلس داعياً لأبي جعفر المنصور واجتمع إليه خلق فسار عبد الرحمن إليه، ولقيه بنواحي إشبيلية فقاتله أياماً. ثم انهزم العلاء وقتل في سبعة آلاف من أصحابه، وبعث عبد الرحمن برؤوس كثيرة منهم إلى القيروان ومكة فألقيت في أسواقها سراً، ومعها اللواء الأسود. وكاتب المنصور العلاء، ثم ثار سعيد اليحصبي المعروف بالمطري بمدينة لبلة طالباً بثأر من قتل من اليمانية مع العلاء، وملك إشبيلية. وسار إليه عبد الرحمن فامتنع ببعض الحصون فحاصره، وكان عتاب بن علقمة اللخمي بمدينة شدونة فأمدّ المطري، وبعث عبد الرحمن بداراً مولاه فحال دون المدد، ودون المطري. ثم طال عليه الحصار، وقتل في بعض أيامه وولي مكانه بالقلعة خليفة بن مروان. ثم استأمن من بالقلعة إلى عبد الرحمن، وأسلموا إليه الحصن فخربه وقتل عبد الرحمن خليفة ومن معه. ثم سار إلى غياث فحاصره بشدونة حتى استأمنوا فأمهم، وعاد إلى قرطبة فخرج عليه عبد الرحمن بن خراشة الاسدي بكورة جيان. وبعث إليه العساكر فافترق جمعه واستأمن فأمنه ثم خرج عليه سنة خمس غياث بن المستبد الاسدي فجمع عامل باجة العساكر، وسار إليه فهزمه وقتله، وبعث برأسه إلى عبد الرحمن بقرطبة. وفي هذه السنة شرع عبد الرحمن في بناء السور على قرطبة ثم ثار رجل بشرق الأندلس من بربر مكناسة يعرف بشقنا بن عبد الواحد، كان يعلم الصبيان، وادعى أنه من ولد الحسين الشهيد، وتسمى بعبد الله بن محمد، وسكن شنة برية (1)، واجتمع إليه خلق من البربر فسار إليه عبد الرحمن فهرب في الجبال، واعتصم بها فرجع وولى على طليطلة حبيب بن عبد الملك فولى حبيب شنة برية سليمان بن عثمان بن مروان بن عثمان بن مروان بن عثمان بن عقان. فسار إليه سليمان وقتله، وغلب على ناحية فورية فسار إليه عبد الرحمن سنة اثنتين وخمسين ومائة.

وأعياء أمره وصار ينتقل في البلاد ويهزم العساكر وكان سكن بحصن شيطران من جبال بلنسية فسار إليه عبد الرحمن سنة ست وخمسين، واستخلف على قرطبة ابنه سليمان فأتاه الخبر بعصيان أهل أشبيلية، وثورة عبد الغفار، وحيوة بن قلاقس مع اليمانية فرجع عن شقنا، وهاله أمر أشبيلية. وقدم عبد الملك بن عمر لقتالهم فساروا إليه ولقيهم مستميتاً فهزمهم واثخن فيهم. ولحق بعبد الرحمن فشكرها له وجزاه خيراً، ووصله بالصهر وولاه الوزارة ونجا عبد الغفار وحيوة بن قلاقس إلى إشبيلية فسار عبد الرحمن سنة سبع وخمسين إليها فقتلهم وقتل خلقاً ممن كان معهم واستراب من يومئذ بالعرب إلى اصطناع القبائل من سواهم واتخاذ الموالي. ولما كانت سنة إحدى وستين غدر بشقنا رجلاً من أصحابه وجاء برأسه إلى عبد الرحمن. ثم سار عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالقلعي من إفريقية إلى الأندلس مظهراً للدعوة العباسية، ونزل بتدمير، واجتمع إليه البربر. وكان سليمان بن يقظان عاملاً على برشلونة فكتب إليه يدعوه إلى أمره فلم يجبه فسار إليه في البربر، ولقيه سليمان فهزمه وعاد إلى تدمير. وزحف إليه عبد الرحمن من قرطبة فاعتصم بجبل بلنسية فبذل عبد الرحمن فيه الأموال فاغتاله رجل من أصحابه البربر وحمل رأسه إلى عبد الرحمن، وذلك سنة اثنتين وستين. ورجع عبد الرحمن إلى قرطبة. ثم خرج دحية الغساني في بعض حصون البيرة فبعث إليه شهيد بن عيسى فقتله، وخالف البربر وعليهم بحرة بن البرانس، فبعث بدرا مولاه فقتله، وفرق جموعهم. وفر القائد السلمي من قرطبة إلى طليطلة وعصى بها فبعث حبيب بن عبد الملك، وحاصره فهلك في الحصار. وزحف عبد الرحمن سنة أربع وستين إلى سرقسطة، وبها سليمان بن يقظان، والحسين بن عاصي، وقد حاصرها ثعلبة بن عبيد من قواده فامتنت عليه، وقبض سليمان، على ثعلبة، وبعث إلى ملك الفرنج فجاء وقد تنفس عنه الحصار، فدفع إليه ثعلبة. ثم غلب الحسين على سليمان وقتله، وانفرد فحاصره عبد الرحمن حتى صالحه. وسار إلى بلاد الفرنج والبشكنس ومن وراءهم من الملوك، ورجع إلى وطنه. وغدر الحسين بسرقسطة فسار إليه عامله ابن

علقمة فأسر أصحابه ثم سار إليه عبد الرحمن سنة ست وستين وملكها  
عنوة، وقتل الحسين وقت أهل سرقسطة. ثم خرج سنة ثمان وستين أبو  
الأسود محمد بن يوسف بن عبد الرحمن فلقه بقسطلونة وهزمه، وأثخن  
في أصحابه. ثم لقيه ثانية سنة تسع وستين فهزمه. ثم هلك سنة سبعين في



أعمال طليطلة، وقام مكانه أخوه قاسم وغزاه عبد الرحمن فحاصره فجاء بغير أمان فقتله. ثم توفي عبد الرحمن سنة إثننتين وسبعين ومائة لثلاثة وثلاثين سنة من إمارته.

وفاة عبد الرحمن الداخل وولاية ابنه هشام:

ولما هلك عبد الرحمن كان ابنه الأكبر سليمان والياً على طليطلة وكان ابنه هشام على ماردة، وكان قد عهد له بالأمر. وكان ابنه عبد الله المسكين حاضراً بقرطبة فاخذ البيعة لأخيه هشام، وبعث إليه بالخبر فسار إلى قرطبة، وقام بالدولة، وغص بذلك أخوه سليمان فأظهر الخلاف بطليطلة، ولحق به أخوه عبد الله. وبعث هشام في أثره فلم يلحق. وسار هشام في العساكر فحاصره بطليطلة، وخالفه سليمان إلى قرطبة فلم يظفر بشيء منها وبعث هشام بن عبد الملك في أثره فقصد ماردة فحاربه عامله، وهزمه الله بغير أمان ودخل في طاعته فأكرمه. ثم بعث سنة أربع وسبعين ابنه معاوية لحصار أخيه سليمان بتدمير فدّوخ نواحيها، وهرب سليمان إلى جبال بلنسية فاعتصم بها، ورجع معاوية إلى أبيه بقرطبة. ثم طلب سليمان العبور إلى عدوة البربر بأهله وولده فأحازه هشام، وأعطاه ستين ألف دينار صلحا على تركه أبيه. وأقام بعدوة المغرب، وسار معه أخوه عبد الله. ثم خرج على هشام سعيد بن الحسين بن يحيى الانصاري بطرسوسة من شرق الاندلس، وكان قد التجأ إليها حين قتل أبوه. ودعى إلى اليمانية فملكها، وأخرج عاملها يوسف العبسي فعارضه موسى بن فرقوق في المضربة بدعوة هشام، وخرج أيضا مطروح بن سليمان بن يقظان بمدينة برشلونة، وملك مدينة سرقسطة وواشقة، وكان هشام في شغل بأمر أخويه فلما فرغ منهما بعث أبا عثمان عبيد الله بن عثمان بالعساكر إلى مطروح فحاصره بسرقسطة أياماً، ثم أفرج عنه ونزل بطرسوسة قريبا، وأقام بتحيفة، ثم غدر بمطروح بعض أصحابه، وجاء برأسه إلى أبي عثمان فبعث به إلى هشام وسار إلى سرقسطة فملكها. ثم دخل إلى دار الحرب غازيا، وقصد ألبة والقلاع فلقي العدو وظفر بهم، وفتح الله عليه وذلك سنة خمس وسبعين، وبعث هشام العساكر مع يوسف بن نحية إلى جليقة فلقي ملكه ابن مند،

وهزمه، وأثخن في العدو. وفي هذه السنة دخل أهل طليطلة في طاعة  
الأمير هشام بعد منصرف أخويه عنهم فقلبهم، وأمّنهم وبعث عليها ابنه  
الحكم واليا فضبطها وأقام

بها. وفي سنة ست وسبعين بعث هشام وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث لغزاة العدو فبلغ ألبة والقلاع وأثخن في نواحيها. ثم بعثه في العساكر إلى اربوثة وجرنده فأثخن فيهما، ووطىء أرض سلطانية، وتوغل في بلادهم، ورجع بالغنائم التي لا تحصى. واستمد الطاغية بالبشكنس وجيرانه من الملوك فهزمهم عبد الملك، ثم بعث بالعساكر مع عبد الكريم بن عبد الواحد إلى بلاد جليقة فأثخنوا في بلاد العدو، وغنموا ورجعوا. وفي هذه السنة هاجت فتنة بتاكدينا، وهي بلاد رندة من الأندلس، وخلع البربر هنالك الطاعة فبعث إليهم هشام بن عبد القادر بن أبان بن عبد الله مولى معاوية بن ابي سفيان فأبادهم، وخرّب بلادهم، وقر من بقي منهم فدخلوا في القبائل وبقيت تاكدينا قفراء خالية سبع سنين. وفي سنة تسع وسبعين بعث هشام الحاجب عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث في العساكر إلى جليقة فانتهى إلى ميورقة<sup>(2)</sup> فجمع ملك الجلالة واستمد بالملوك ثم خام عن اللقاء ورجع أدراجه، وأتبعه عبد الملك وتوغل في بلادهم. وكان هشام قد بعث الجيوش من ناحية أخرى فالتقوا بعبد الملك، وأثخنوا في البلاد واعرضهم عسكر الأفرنج فنالوا منهم بعض الشيء، ثم خرجوا ظافرين سالمين.

وفاة هشام وولاية ابنه الحكم:

ثم توفي هشام بن عبد الرحمن سنة ثمانين ومائة، لسبع سنين من إمارته وقيل ثمان سنين، وكان من أهل الخير والصلاح، وكان كثير الغزو والجهاد، وهو الذي أكمل بناء الجامع بقُرطبة الذي كان أبوه شرع فيه، وأخرج المصرف لآخذي الصدقة على الكتاب والسنة. ولما مات ولي ابنه الحكم بعده فاستكثر من المماليك وارتباط الخيل، واستفحل ملكه وباشرا أمور بنفسه. ولأول ولايته أجاز ابنه عبد الله البَلَنَسِي من

عدوة المغرب فملك بلنسية، ثم أخوه سليمان من طنجة فحاربهما الحَكَم سنة، ثم ظفر بعَمّه سليمان فقتله سنة أربع وثمانين. وأقام عبد الله بلنسية وكفّ عن الفتنة، وأرسل الحكم في الصلح على يد يحيى بن الفقيه وغيره فصالحه سنة ست وثمانين. وفي خلال الفتنة مع عمّيه سليمان وعبد الله اغتتم الفرنج الفرصة واجتمعوا وقصدوا برشلونة فملكوها سنة خمس وثمانين، وتأخرت عساكر المسلمين إلى ما دونها. وبعث الحَكَم العساكر إلى برشلونة مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد الجلالقة فأثخن فيها، وخالفهم العدو إلى المضايق فرجع إلى التعبيه وظفر بهم، ورجع إلى بلاد الإسلام ظافراً. وفي سنة إحدى وثمانين ثار البهلول بن مرزوق بناحية الثغر، وملك سرقسطة. وفيها جاء عبد الله البلنسيّ عم الحكم كما ذكرناه وفي هذه السنة خالف عبيدة بن عمير بطليطلة، وكان القائد عمروس بن يوسف من قواد الحكم بطليطلة فكتب إلى هشام بحصارهم فحاصرهم. ثم استمال بني مخشي من أهل طليطلة فقتلوا عبيدة وبعثوا برأسه إلى عمروس فبعث به إلى الحَكَم، وأنزل بني مخشي عنده فقتلهم البربر بطليطلة بثار كاتب لهم، وقتل عمروس الباقيين واستقامت تلك الناحية. واستعمل عمروس ابنه يوسف على مدينة طليطلة، ولحق بالفرنج سنة تسع وثمانين بعض أهل الحرابة، وأطمعوا الفرنج في ملك طليطلة فزحفوا إليها، وملكوها وأسروا أميرها يوسف وحبسوه بصخرة قيسر(1) وسار عمروس من فوره إلى سرقسطة ليحميها من العدو وبعث العساكر مع ابن عمه فلقى العدو وهزمهم، وسار إلى صخرة قيسر وقد وهن الفرنج من الهزيمة فافتتحها، وبعث عمروس نائبه وخلص يوسف وعظم صيته.

وقعة الربض:

كان الحَكَم في صدر ولايته قد انهمك في لذّاته، واجتمع أهل العلم والورع بقرطبة مثل يحيى بن يحيى الليثي، وطالوت الفقيه وغيرهما فثاروا به، وامتنع فخلعوه وبايعوا

محمد بن القاسم من عمومة هشام. وكان الربض الغربي من قرطبة محلّة متصلة بقصره، وحصروه سنة تسعين ومائة، وقاتلهم فغلبهم وافترقوا، وهدم دورهم ومساجدهم، ولحقوا بفاس من أرض العدو، إليهم عبد الله بن طاهر صاحب مصر وافتتحها، وأجازهم إلى جزيرة إقريطش كما مرّ. وكان مقدمهم أبا حفص عمر البلوطي فلم يزل رئيسا عليهم، وولده من بعده إلى أن ملكها الفرنج من أيديهم.

وقعة الحفرة بطليطلة:

كان أهل طليطلة يكثرّون الخلاف، ونفوسهم قويّة لحصانة بلدهم فكانت طاعتهم ملتانة فأعيا الحكم أمرهم، واستقدم عمرو بن يوسف من الثغر، وكان أصله من أهل مدينة وشقة من المولّدين، وكان عاملا عليها فداخله في التدبير على أهل طليطلة، وكتب له بولايتها فأنسوا به، واطمأنوا إليه. ثم داخلهم في الخلع وأشار عليهم ببناء مدينة يعتزل فيها مع أصحاب السلطان فوافقوه، وامضى رأيه في ذلك. ثم بعث صاحب الأعلى (1) إلى الحَكَم يستنجده على العدوّ فبعث العساكر مع ابنه عبد الرحمن والوزراء، ومروا بطليطلة ولم يعرض عبد الرحمن لدخولها ثم رجع العدو، وكفى الله شره فاعتزم عبد الرحمن على العود إلى قرطبة، فأشار عمرو بن يوسف عند ذلك على أهل طليطلة بالخروج إلى عبد الرحمن فخرج إليه الوجوه، وأكرمهم، ودس خادم الحكم كتابه إلى عمرو بن يوسف بالحيلة على أهل طليطلة فأشار عليهم عمرو بن يوسف بأن يدخلوا عبد الرحمن البلد، وأنزله بداره واتخذ صنيعاً للناس، واستعد له (2) على موعد لذلك فكان يدخلهم من باب، ويخرجهم من آخر خشية الزحام فيدخلون إلى حفرة في القصر وتضرب رقابهم عليها إلى أن قتل معظمهم، وفطن الباقون فنفروا وحسنت طاعتهم من بعد ذلك إلى أيام الفتنة كما نذكر. ثم عصى اصيغ بن عبد الله

بماردّة، وأخرج عامل الحكم فسار إليه الحكم وحاصره وجاءه الخبر بعضيان أهل قُرطبة فرجع وقتلهم. ثم استنزل أصيغ من بعد ذلك وأنزله قرطبة. وفي سنة اثنتين وتسعين جمع لزريق بن قارله ملك الإفرنج وسار لحصار طرطوسة (1) فبعث الحكم ابنه عبد الرحمن في العساكر فهزمه، وفتح الله على المسلمين. ثم عاود أهل ماردة الخلاف عن الحكم سنة أربع وتسعين فسار إليهم وقتلهم ثلاث سنين. وكثر عيث الفرنج في الثغور فسار إليهم سنة ست وتسعين فافتتح الحصون، وخرّب النواحي وأثخن في القتل والسبي والنهب، وعاد إلى قرطبة ظافرا. وفي سنة مائتين بعث الحكم العساكر مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد الفرنج فسار فيها وخرّبها ونهبها، وهدم عدة من حصونها، وأقبل إليه ملك الجلالقة في جموع عظيمة، وتنازلوا على نهر واقتتلوا عليه أياماً، ونال المسلمون منهم أعظم النيل، وأقاموا على ذلك ثلاث عشرة ليلة، ثم كثرت الأمطار ومدّ النهر، وقفل المسلمون ظافرين.

وفاة الحكم وولاية ابنه عبد الرحمن الأوسط:

ثم توفي الحكم بن هشام آخر سنة ست ومائتين لسبع وعشرين سنة من ولايته، وهو أول من جند بالأندلس الأجناد والمرترقة وجمع الأسلحة والعدد، واستكثر من الحشم والحواشي، وارتبط الخيول على بابه، واتخذ الممالك، وكان يسميهم الخرس لعجمتهم وبلغت عدّتهم خمسة آلاف، وكان يباشر الأمور بنفسه، وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس. وكان يقرب الفقهاء والعلماء والصالحين، وهو الذي وطأ المُلْك لعقبه بالأندلس. ولما مات قام بأمره من بعده ابنه عبد الرحمن فخرج عليه لأول إمارته عبد الله البلنسي عم أبيه، وسار إلى تدمير يريد قرطبة فتجهّز له عبد الرحمن فخام عن اللقاء، ورجع إلى بلنسية ومات أثر ذلك فنمل عبد الرحمن ولده وأهله إلى قرطبة. ثم غزا لأوّل ولايته إلى جليقة فأبعد وأطال الغيبة، وأثخن في أمم

النصرانية هنالك ورجع. وقدم عليه سنة ست ومائتين من العراق زرآب المغنّي مولى المهدي، ومعلم إبراهيم الموصلي، وإسمه علي بن نافع فركب لتلقيه وبالغ في إكرامه، وأقام عنده بخير حال. وأورث صناعة الغناء بالأندلس، وخلف ولده مخلفه كبيرهم عبد الرحمن في صناعته وحظوته. وفي سنة سبع كانت وقعة بالثغر، كان الحكم قد قبض على عاملها ربيع، وصلبه حيّاً لما بلغه من ظلمه. وهلك الحكم أثر ذلك فتوافى المتظلمون من ربيع إلى قرطبة يطلبون ظلاماتهم، ومعظمهم جند البيرة ووقفوا بباب القصر، وشغبوا، وبعث عبد الرحمن من يسكتهم فلم يقبلوا فركبت العساكر إليهم وأوقعوا بهم. ونجا الفل منهم إلى البيرة وبالشر، وتتبعهم عبد الرحمن. وفي هذه السنة نشأت الفتنة بين المضربة واليمانية واقتتلوا، فهلك منهم نحو من ثلاثة آلاف. وبعث عبد الرحمن إليهم يحيى بن عبد الله بن خالد في جيش كثيف، ليكفهم عن الفتنة فكفّوا عن القتال لما أحسوا بوصوله. ثم عاودوا الحرب عند مغيبه، وأقاموا على ذلك سبع سنين.

وفي سنة ثمان أغزا حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى ألبة والقلاع فخرّب كثيراً من البلاد وانتسفها، وفتح كثيراً من حصونهم، وصالح بعضا على الجزية واطلاق أسرى المسلمين، وانصرف ظافراً. وفي سنة ثلاث عشرة انتقض عليه أهل ماردة وقتلوا عامله فبعث إليهم العساكر فافتتحوها، وعاودوا الطاعة، وأخذوا رهائنهم وخرّبوا سورها، ورجعوا عنهم. ثم أمر عبد الرحمن بنقل حجارة السور إلى النهر فعاودوا الخلاف، وأسروا العامل، وأصلحوا سورها فسار إليهم عبد الرحمن سنة أربع عشرة، وحاصرهم فامتنعوا عليه. ثم بعث العساكر سنة سبع عشرة فحاصرها فامتنعوا، ثم حاصرها سنة عشرين وافتتحتها، ونجا فلهم مع محمود بن عبد الجبار منهم إلى ملت شلوط فاعتصم بها سنة عشرين ومائتين، فبعث عبد الرحمن العساكر لحصاره فلحق بدار الحرب، واستولى على حصن من حصونهم، أقام به خمسة أعوام حتى حاصره أدفونش ملك الجلالقة وافتتح الحصن وقتل محمودا وجميع أصحابه سنة خمس وعشرين.

وفي سنة خمس عشرة خرج بمدينة طليطلة هاشم الضراب من أهل واقعة الربض، واشتدَّت شوكته واجتمعت له الخلق، وأوقع بأهل شنت بريّة، فبعث عبد الرحمن العساكر لقتاله فلم يصيبوا منه. ثم بعث عساكر أخرى فقاتلوه بنواحي دورقة فهزموه، وقتل هو وكثير من أصحابه. واستمر أهل طليطلة على الخلاف. وبعث عبد الرحمن ابنه أمية لحصارها فحاصرها مدة، ثم أفرج عنها ونزل قلعة رياح، وبعث معسكراً للاغارة عليها. وكان أهل طليطلة قد خرجوا في أتباعه إلى قلعة رياح فكمّن لهم فأوقعوا به فاغتم لذلك،



وهلك لأيام قليلة. وبعث عبد الرحمن العساكر لحصارها ثانيا فلم يظفروا وكمن المغيرون عليها بقلعة رياح يعاودونها بالحصار كل حين.

ثم بعث عبد الرحمن أخاه الوليد في العساكر سنة إثنين وعشرين لحصارها، وقد أشرفوا على الهلكة، وضعفوا عن المدافعة فاقتحمها عنوة وسكن أهلها، وأقام إلى آخر ثلاث وعشرين، ورجع. وفي سنة أربع وعشرين بعث عبد الرحمن قريبه عبيد الله بن البلنسي لي العساكر لغزو بلاد ألبه والقلاع، ولقي العدو فهزمهم، وكثر السبي والقتل، ثم خرج لزريق ملك الجلالقة، وأغار على مدينة سالم بالثغر، فسار إليه فرنون بن موسى وقاتله فهزمه، وأكثر القتل في العدو والأسر. ثم سار إلى الحصن الذي بناه أهل البه بالثغر نكاية للمسلمين فافتتحه وهدمه. ثم سار عبد الرحمن في الجيوش إلى بلاد جليقة فدوَّحها وافتتح عدة حصون منها، وجال في أرضهم، ورجع بعد طول المقام بالسبي والغنائم. وفي سنة ست وعشرين بعث عبد الرحمن العساكر إلى أرض الفرنجة، وانتهوا إلى أرض سرطانية، وكان على مقدمة المسلمين موسى بن موسى عامل تَطِيلَة، ولقيهم العدو فصبروا حتى هزم الله عدوهم، وكان لموسى في هذه الغزاة مقام محمود، ووقعت بينه وبين بعض قواد عبد الرحمن ملاحاة، وأغلظ له القائد فكان ذلك سبباً لانتفاضه فعصى على عبد الرحمن، وبعث إليه الجيوش مع الحارث بن بزيع فقاتله موسى، وانهزم وقتل ابن عمه. ورجع الحارث إلى سرقسطة. ثم زحف إلى تطيلة، وحاصر بها موسى حتى نزل عنها على الصلح إلى أربط وأقام الحارث بتطيلة أياماً. ثم سار لحصار موسى في أربط فاستنصر موسى بغرسية من ملوك الكفر فجاءه، وزحف الحارث وأكمنوا له فلقبهم على نهر بَلْبَة، فخرجت عليه الكمائن بعد أن أجاز النهر، وأوقعوا به وأسروه، وقد فقئت عينه. واستشاط عبد الرحمن لهذه الواقعة، وبعث ابنه محمداً في العساكر سنة تسع وعشرين. وحاصر موسى بتطيلة حتى صالحه، وتقدم إلى يَنْبُلُوتَة فأوقع بالمشركين عندها، وقتل غرسية صاحبها الذي أنجد موسى على الحارث. ثم عاود موسى الخلاف فزحفت إليه العساكر فرجع إلى المسالمة، ورهن ابنه عند كبد الرحمن على الطاعة، وقبله عبد الرحمن

وولاه تطيلة فسار إليها، واستقرت في عمالته. ثم كان في هذه السنة خروج  
المجوس في أطراف بلاد الأندلس، ظهروا سنة ست وعشرين بساحل  
أشبونة،

فكانت بينهم وبين أهلها الحرب ثلاثة عشر يوماً. ثم تقدموا إلى قادس، ثم إلى أشدونة، فكانت بينهم وبين المسلمين بها وقعة. ثم قصدوا إشبيلية ونزلوا لربيا منها، وقاتلوا أهلها منتصف المحرم من سنة ثمان وعشرين فهزمهم المسلمون وغنموا. ثم مضوا إلى باجة، ثم إلى مدينة أشبونة. ثم أقلعوا من هنالك، وانقطع خبرهم وسكنت البلاد، وذلك سنة ثلاثين. وتقدم عبد الرحمن الأوسط بإصلاح ما خربوه من البلاد، وأكثف الحامية بها. وذكر بعض المؤرخين حادثة المجوس هذه سنة ست وأربعين، ولعلها غيرها والله أعلم. وفي سنة إحدى وثلاثين بعث عبد الرحمن العساكر إلى جليقة فدوخواها وحاصروا مدينة ليون، ورموا سورها فلم يقدرُوا عليه، لأنَّ عرضه سبعة عشر ذراعاً فثلموا فيه ثلثة ورجعوا. ثم اغزى عبد الرحمن حاجبه عبد الكريم بن مغيث في العساكر إلى بلاد برشلونة فجاز في نواحيها، وأجاز الدروب التي تسمى السرب إلى بلاد الفرنجة فدوخوا قتلًا واسراً وسبيًا، وحاصر مدينتهم العُظْمَى وعاث في نواحيها وقفل. وقد كان ملك القسطنطينية توفلس بن توفلس بن نوفيل بعث إلى الأمير عبد الرحمن سنة خمس وعشرين بهدية، ويطلب مواصلته فكافأه عبد الرحمن عن هديته، وبعث إليه يحيى العزال من كبار الدولة. وكان مشهوراً في الشعر والحكمة فأحکم بينهما المواصلة، وارتفع لعبد الرحمن ذكر عند منازعيه من بني العباس. وفي سنة ست وثلاثين هلك نصر الحفي القائم بدولة الأمير عبد الرحمن، وكان يضغن على مولاه، ويماليء ابنه عبد الرحمن على ابنه الآخر وليَّ عهده، بما كانت أم عبد الله قد اصطنعته وكانت حظية عند السلطان، ومنحرفة عن ابنه محمد ولي العهد فداخلت نصرًا هذا في أمرها، وداخل هو طيب الدار في أن يسم محمدًا ولي العهد. ودس الطيب بذلك إلى الأمير مع قهرمانه داره، وأن نصرًا أكرهه على إذابة السمِّ فيه، وباكر نصر القصر ودخل على السلطان يستفهمه عن شراب الدواء فوجده بين يديه، وقال له أن نفسي قد بشعته فاشربه أنت فوجم، فأقسم عليه فلم يسمه خلافه فشربه، وركب مسرعاً إلى داره فهلك لحينه، وحسم السلطان علة ابنه عبد الله، وكان من بعدها مهلكه.

وفاة عبد الرحمن الأوسط وولاية ابنه محمد:

ثم توفى عبد الرحمن الأوسط بن الحكم بن هاشم بن عبد الرحمن الداخل، في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين لإحدى وثلاثين سنة من إمارته، وكان عالماً بعلوم الشريعة والفلسفة، وكانت أيامه هدوءاً وسكوناً. وكثرت الأموال عنده واتخذ القصور والمنتزهات، وجلب إليها الماء، وجعل له مصنعاً اتخذه الناس شريعة. وزاد في جامع قرطبة رواقين، ومات قبل أن يستتمه فأتمه ابنه محمد بعده. وبنى بالأندلس جوامع كثيرة، ورث رسوم المملكة واحتجب عن العامة، ولما مات ولي مكانه ابنه محمد فبعث لأول ولايته العساكر مع أخيه الحكم إلى قلعة رباح لإصلاح أسوارها. وكان أهل طليطلة خربوها فرمّوها وأصلح حالها، وتقدم إلى طليطلة فعات في نواحيها. ثم بعث الجيوش مع موسى بن موسى صاحب تطيلة فعات في نواحي ألبة والقلاع، وفتح بعض حصونها ورجع، وبعث عساكر أخرى إلى نواحي برشلونة وما وراءها فعاتوا فمها، وفتحوا حصون برشلونة ورجعوا. ثم سار محمد سنة أربعين في جيوشه إلى طليطلة فاستمدوا ملك جليقة، وملك البشكنس فساروا لإنجادهم مع أهل طليطلة فلقبهم الأمير محمد على وادي سليط، وقد أكرم لهم فأوقع بهم. وبلغ عدة القتلى من أهل طليطلة والمشركين عشرين ألفاً. ثم سار إليهم سنة ثلاث وأربعين فأوقع بهم ثانية، وأثن فيهم وخرب ضياعهم فصالحوه ثم نكثوا. وفي سنة خمس وأربعين ظهرت مراكب المجوس، ونزلوا بإشبيلية والجزيرة، وأحرقوا مسجدها. ثم عادوا إلى تدمير، ودخلوا قصر اربؤلة وساروا إلى سواحل الفرنجة وعاتوا فيها، وانصرفوا فلقبهم مراكب الأمير محمد فقاتلوهم، وغنموا منهم مركبين، واستشهد جماعة من المسلمين، ومضت مراكب المشركين إلى يبلونة، واشتروا صاحبها غرسية وفدى نفسه منهم بسبعين ألف دينار. وفي سنة سبع وأربعين حاصر طليطلة ثلاثين يوماً. ثم بعث الأمير محمد سنة إحدى وخمسين أخاه المنذر في العساكر إلى نواحي ألبة والقلاع فعاتوا فيها، وجمع لزيق للقائم فلقبهم وانهزم، وأثن المسلمون في المشركين بالقتل والأسر وكان فتحاً لا كفاء له. ثم غزا الأمير محمد بنفسه سنة إحدى وخمسين بلاد الجلالقة فأثن وخرب، وانتقض عليه عبد الرحمن بن مروان

الجليقي فيمن معه من المولدين، وساروا إلى التخم، ووصل يده بأذفونش  
ملك

جليقة فسار إلى الوزير هاشم بن عبد الرحمن في عساكر الأندلس، سنة ثلاث وستين فهزمه عبد الرحمن وحصل هاشم في أسره. ثم وقعت المراودة في الصلح على أن ينزل عبد الرحمن بطليوس (1) ويطلق الوزير هاشماً فتم ذلك سنة خمس وستين، ونزل عبد الرحمن بطليوس، وكانت خربة فشيدها وأطلق هاشماً بعد سنتين ونصف من أمره. ثم تغير أذفونش لعبد الرحمن بن مروان وفارقه، وخرج من دار الحرب بعد أن قاتله ونزل مدينة أُنطانية بجهات ماردة وهي خراب فحَصَّنْها، وملك ما إليها من بلاد اليون وغيرها من بلاد الجلالقة، واستضافها إلى بطليوس. وكان مظفر بن موسى بن ذي النون الهواري عاملاً بشنت برية فانتقض، وأغار على أهل طليطلة فخرجوا إليه في عشرين ألفاً، ولقيهم فهزمهم، وانهمز معهم مطرف بن عبد الرحمن، وقتل من أهل طليطلة خلقاً. وكان مطرف بن موسى فرداً في الشجاعة ومحلاً من النسب، ولقي شنجة صاحب ينبلونة أمير البشكنس فهزمه شنجة وأسرته، وفرّ من الأسر، ورجع إلى شنت برية فلم يزل بها قويم الطاعة إلى أن مات آخر دولة الأمير محمد. وفي سنة إحدى وستين انتقض أسد بن الحارث بن بديع بتاكرتا (2) وهي رندة فبعث إليهم الأمير محمد العساكر، وحاصروهم حتى استقاموا على الطاعة. وفي سنة ثلاث وستين اغزى الأمير محمد ابنه المنذر إلى دار الحرب، وجعل طريقه على ماردة، وكان بها ابن مروان الجليقي، وممرت طائفة من عساكر المنذر بماردة فخرج عليهم ابن مروان، ومعه جمع من المشركين استظهر بهم فقتل تلك الطائفة عن آخرهم وفي سنة أربع وستين بعث ابنه المنذر ثانية إلى بلد ينبلونة، ومر بسرْقُسطة فقاتل أهلها، ثم تقدّم إلى تطيلة وعات في نواحيها وخرب بلاد بني موسى، ثم لوجهه إلى ينبلونة فدوخها ورجع. وفي سنة ست وستين أمر الأمير محمد بإنشاء المراكب بنهر قرطبة ليدخل بها إلى البحر المحيط، ويأتي جليقة من ورائها فلما تمّ إنشاؤها، وجرت في البحر أصابها الريح وتقطعت فلم يسلم منها إلا القليل. وفي سنة سبع وستين انتقض عمر بن حفصون بحصن يشتر من جبال مالقة، وزحف إليه عساكر تلك الناحية فهزمهم، وقوي أمره، وجاءت عساكر الأمير

محمد فصالحهم ابن حفصون واستقام أمر الناحية. وفي سنة ثمان وستين  
بعث الأمير محمد ابنه المنذر لقتال أهل الخلاف

فقصد سرقُسطة، وحاصرها، وعاث في نواحيها، وفتح حصن ربطة. ثم تقدم إلى دير بروجة، وفيه محمد بن لبّ بن موسى (1) ثم قصد مدينة لاردة وقرطاجنة، ثم دخل دار الحرب وعاث في نواحي البة والقلاع، وفتح منها حصونا ورجع. وفي سنة سبعين سار هاشم بن عبد العزيز بالعساكر لحصار عمر بن حفصون بحصن يشتر، واستنزله إلى قرطبة فأقام بها، وفيها شرع إسماعيل بن موسى ببناء مدينة لاردة فجمع صاحب برشلونة لمنعه من ذلك، وسار إليه فهزمه إسماعيل وقتل أكثر رجاله، وفي سنة إحدى وسبعين سار هاشم بن عبد العزيز في العساكر إلى سرقسطة فحاصرها هاشم وافتتحها، ونزلوا جميعا على حكمه. وكان في عسكره عمر بن حفصون واستدعاه من الثغر فحضر معه هذه الغزاة فهرب، ولحق بيشر فامتنع به، وسار هاشم إلى عبد الرحمن بن مروان الجليقي، وحاصره بحصن منت مولن. ثم رجع عنه فأغار ابن مروان على إشبيلية ولقنت (2). ثم نزل منت شلوط فامتنع فيه، وصالح عليه الأمير محمداً، واستقام على طاعته إلى أن هلك الأمير محمد. وكان ملك رومة والفرنجة لعهد اسمه فرليب بن لوزنيق.

وفاة الأمير محمد وولاية ابنه المنذر:

ثم توفي الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل في شهر صفر من سنة ثلاث وسبعين، لخمس وثلاثين سنة من إمارته، وولي بعده ابنه المنذر فقتل لأوّل ولايته هاشم بن عبد العزيز وزير أبيه، وسار في العساكر لحصار ابن حفصون فحاصره بحصن يشتر سنة أربع وسبعين، وافتتح جميع قلاعه وحصونه. وكان منها ربة وهي مالقة، وقبض على واليها من قبله عيشون فقتله. ولما اشتد الحصار على ابن حفصون سأل الصلح فأجاب، وأفرج عنه فنكث فرجع لحصاره، وصالح ثم نكث مرتين فأقام المنذر على حصاره وهلك قريباً فانفرج عن ابن حفصون.



وفاة المنذر وولاية أخيه عبيد الله ابن الأمير محمد:

ثم توفي المنذر محاصراً لابن حفصون بجبل يشتر سنة خمس وسبعين لستين من إمارته (1)، فولي مكانه أخوه عبد الله ابن الأمير محمد، وقفل بالعساكر إلى قرطبة، وقد اضطربت نواحي الأندلس بالثوار. ولما كثر الثوار قلّ الخراج لامتناع أهل النواحي من الأداء. وكان خراج الأندلس قبله ثلاثمائة ألف دينار، مائة ألف منها للجيش، ومائة ألف للنفقة في النوايب وما يعرض، ومائة ألف ذخيرة ووفرا فأنفقوا الوفر في تلك السنين، وقل الخراج.

أخبار الثوار وأولهم ابن مروان بطليوس وأشبونة:

قد تقدّم لنا أن عبد الرحمن بن مروان انتقض على الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة خمس وخمسين في غزاته إلى بلاد الجلالقة، واجتمع إليه المولّدون وصار إلى التخم، ووصل يده بأذفونش ملك الجلالقة فعرف لذلك بالجليقي. وذكرنا كيف سار إليه هاشم بن عبد العزيز سنة ثلاثين في عساكر الأندلس فهزمه ابن مروان، وأسره. ثم وقع الصلح على إطلاق هاشم، وأن ينزل ابن مروان بطليوس فتمّ ذلك سنة خمس، ونزل عبد الرحمن بطليوس فشيّدّها وترسّ بالدولتين. ثم تغيّر له اذفونش وقاتله ففارق دار الحرب، ونزل مدينة أنطانية جهات ماردة فحضّنها، وهي خراب، وملك ما إليها من بلد اليون وغيرها من بلاد الجلالقة، واستضافها إلى بطليوس، واستعجل له الأمير عبد الله على بطليوس وكان معه بدار الحرب سعدون السرساقي وكان من الأبطال الشجعان، وكان دليلاً للغزو، وهو من الخارجين معه. فلما نزل عبد الله بطليوس انتزى سعدون ببعض الحصون ما بين قلنيرة (2)

وباجة(1). ثم ملك قلنيرة وترس(2) بأهل الدولتين إلى أن قتله أذفونش في بعض حروبه معه.

ابن تاكيت بماردة:

كان محمد بن تاكيت من مصمودة، وثار بناحية الثغر أيام الأمير محمد، وزحف إلى ماردة وبها يومئذ جند من العرب وكتامة فأعمل الحية في إخراجهم منها، ونزلها هو وقومه مصمودة.

بقية خبر ابن مروان:

ولما ملك ابن تاكيت ماردة زحفت إليه العساكر من قرطبة وجاء عبد الرحمن مروان من بطليوس مدداً له فحاصروهم اشهرًا، ثم اقلعوا. وكان بماردة جموع من العرب ومصمودة وكتامة فتحيل محمد بن تاكيت على العرب، وكتامة وأقاربهم فأخرجهم واستقل بماردة هو وقومه، وعظمت الفتنة بينه وبين عبد الرحمن بن مروان صاحب بطليوس بسبب مظاهرتة عليه، وحاربه فهزمه أن مروان مراراً كانت إحداها على لقنت، استلحم فيها مصمودة فقصّت من جناح ابن تاكيت واستجاش بسعدون السرساقي صاحب قلنيرة فلم يغنه، وعلا كعب ابن مروان عليهم وتوثق أمره، وطلبه ابن حفصون في الولاية فامتنع ثم هلك أثر ذلك سنة(3) أيام الأمير عبد الله وولي ابنه عبد الرحمن بن مروان، وأثخن في البرابرة المجاورين له، وهلك لشهرين من ولايته فقعد الأمير عبد الله على بطليوس لأميرين من العرب ولحق من بقي من ولد عبد الرحمن بحصن شونة، وكانا إثنين من أعقابه، وهما مروان

وعبد الله ابنا ابنه محمد، وعمّهما مروان. ثم خرجا من حصن شونة ولحقا بآخر من أصحاب جدّهما عبد الرحمن. ثم اضطرب الأميران ببطليوس وتنازعا، وقتل أحدهما الآخر، واستقل ببطليوس، ثم تسور عبد الله منها سنة ست وثمانين فقتله وملك بطليوس، واستفحل أمره، والمعجل له الأمير عبد الله عليها. ونازل حصون البرابرة حتى طاعوا له، وحارب ابن تاكيت صاحب ماردة. ثم اصطلحوا وأقاموا جميعاً طاعة الأمير عبد الله، ثم تحاربوا فاتصلت حروبهم إلى آخر دولته.

ثورة بى بن محمد بسرقسطة وتطيلة:

ثم ثار لب بن محمد بن موسى بسرقسطة سنة ثمان وخمسين ومائتين، أيام الأمير محمد فتردّت إليه الغزوات حتى استقام، وأسجل (1) له الأمير على سرقسطة وتطيلة وطرسونة فأحسن حمايتها، واستفحلت إمارته فيها. ونازله ملك الجلالقة أذفونش في بعض الأيام بطرسونة فنزل إليه وردّه على عقبه منهزماً وقتل نحواً من ثلاثة آلاف من قومه، وانتقض على الأمير عبد الله وحاصر تطيلة.

ثورة مطرف بن موسى بن نبي النون الهواري بشنة بريه:

كان لمطرف صيت من الشجاعة ومحل من النسب والعصبية فثار في شنت بريه، وكانت بينه وبين صاحب ينبلونة سلطان البشكنس من الجلالقة حروب أسرة العدو في بعضها ففر من الأسر، ورجع إلى شنت بريه، واستقامت طاعته إلى آخر دولة الأمير محمد.

ثورة الأمير ابن حفصون في يشتر ومالقة ورندة واليس:

وهو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن دميان بن فرغلوش بن اذفونش القس،

هكذا نسبه ابن حيان، أوّل ثائر كان بالأندلس، وهو الذي افتتح الخلافة بهما وفارق الجماعة أيام محمد بن عبد الرحمن في سني السبعين والمائتين. خرج بجبل يشتر من ناحية رية ومالقة، وانضم إليه الكثير من جند الأندلس ممن في قلبه مرض في الطاعة، وابتنى قلعته المعروفة به هنالك، واستولى على غرب الأندلس إلى رندة وعلى السواحل من الثجة إلى البيرة، وزحف إليه هاشم بن عبد العزيز الوزير فحاصره واستنزله إلى قرطبة سنة سبعين. ثم هرب ورجع إلى حصن يشتر ولما توفي الأمير محمد تغلب على حصن الحامة ورية ورندة والثجة، وغزاه المنذر سنة أربع وسبعين فافتتح جميع قلاعهم وقتل عامله برية، ثم سأل الصلح فعقد له السلمندر. ثم نكث ابن حفصون وعاد إلى الخلافة فحاصره المنذر إلى أن هلك محاصراً له فرجع عنه الأمير عبد الله، واستفحل أمر ابن حفصون والثوار، وتوالت عليه الغزوات والحصار. وكاتب ابن الأغلب صاحب أفريقية، وهاداه وأظهر دعوة العباسية بالأندلس فيما إليه، وتناقل ابن الأغلب على إجابته لاضطراب إفريقية فأمسك وأكثر الاجلاب على قرطبة، وبنى حصن بلاية قريباً منها، وغزاه عبد الله وافتتح بلاية والثجة. ثم قصده في حصنه فحاصره أياماً وانصرف عنه فاتبعه ابن-فصون فكر عليه الأمير عبد الله وهزمه، وأثنى فيه، وافتتح البيرة من أعماله. ووالى عليه الحصار في كل سنة، فلما كانت وثمانين (1) عمر بن حفصون وخالص ملك الجلالقة فنبذ إليه أمراؤه بالحصون عهده، وسار الوزير أحمد بن أبي عبيدة لحصاره في العساكر فاستنجد بإبراهيم بن حجّاج الثائر بإشبيلية، ولقياه فهزمهما وراجع ابن حجّاج الطاعة، وعقد له الأمير عبد الله على إشبيلية وبعث ابن حفصون بطاعته للشيعه عندما تغلبوا على القيروان من يد الأغالبة، وأظهر بالأندلس دعوة عبيد الله. ثم راجع طاعة بني أمية عندما هيا الله للناصر ما هياه من استفحال الملك، واستنزل الثوار، واستقام إلى أن هلك سنة ست وثلاثمائة لسبع وثلاثين سنة من ثورته. وقام مكانه ابنه جعفر فأقره الناصر على أعماله. ثم دسّ إليه أخوه سليمان بن عمر بعض

رجالاتهم فقتله لسنتين أو ثلاثة من ولايته. وكان مع الناصر فسار إلى أهل يشتر، وملكوه مكان أخيه، وذلك سنة ثمان وثلاثمائة، وخاطب الناصر فعقد له كما كان أخوه، ثم نكث وتكرر إنكائه ورجوعه. ثم بعث إليه الناصر وزيره عبد الحميد بن سبيل بالعساكر، ولقيه فهزمه وقتله، وجيء برأسه إلى قرطبة. وقدّم المولّدون أخاه حفص بن عمر فانتكث ومضى على العصيان، وغزاه الناصر، وجهزّ العساكر لحصاره حتى استأمن له، ونزل إلى قرطبة بعد سنة من ولايته. وخرج الناصر إلى يشتر فدخله وجال في أقطاره، ورفع أشلاء عمر وابنه جعفر، وسليمان فصلبهم بقرطبة، وخرّب جميع الكنائس التي كانت في الحصون التي بنواحي رية وأعمال مالقة، ثلاثين حصناً فأكثر، وانقرض أمر بني حفصون، وذلك سنة خمس عشرة وثلاثمائة والبقاء لله.

نوار إشبيلية المتعاقبون:

ابن أبي عبيدة وابن خلدون وابن حجاج وابن مسلمة، وأوّل التّوار كان بإشبيلية أمية بن عبد الله المغافر بن أبي عبيدة، وكان جده أبو عبدة عاملاً عليها من قبل عبد الرحمن الداخل. قال ابن سعيد، ونقله عن مؤرّخي الأندلس: الحجازي ومحمد بن الأشعث. وابن حيّان قال: لما اضطربت الأندلس بالفتن أيام الأمير عبد الله وسما رؤساء البلاد إلى التغلب، وكان رؤساء إشبيلية المرشّحون لهذا الشأن أمية بن عبد الغافر، وكليب بن خلدون الحضرمي وأخوه خالد، وعبد الله بن حجاج. وكان الأمير عبد الله قد بعث على إشبيلية ابنه محمداً، وهو أبو الناصر والنفر المذكورون يحومون على الاستبداد فثاروا بمحمد بن الأمير عبد الله، وحصلوه في القصر مع أمه وانصرف ناجياً إلى أبيه. ثم استبد أمية بولايتها على مداراتهم، ودسّ على عبد الله بن حجاج من قتله فقام أخوه إبراهيم مكانه فثاروا به، وحاصروه في القصر، ولما أحيط به خرج إليهم مستميتاً بعد أن قتل أهله، وأتلف موجودة فقتل، وعاثت العامّة برأسه، وذلك أعوام الثمانين والثلاثمائة. وكتب ابن خلدون وأصحابه بذلك إلى الأمير عبد الله، وأن أمية خلع وقتل فتقبل منهم للضرورة، وبعث عليهم عمّه هشام بن عبد

الرحمن، واستبدوا عليه، وتولى كبر ذلك (1) كريب ابن خلدون، واستبدّ عليهم بالرياسة. قال ابن حيان ونسبهم في حضرموت، وهم بإشبيلية نهاية في النباهة. مقتسمين الرياسة السلطانية والعلمية، وقال ابن حزم إنهم من ولد وائل بن حجر، ونسبهم في كتاب الجماهرة، وكذلك قال ابن حيان في بني حجاج. قال الحجازي: ولما قتل عبد الله بن حجاج قام أخوه إبراهيم مقامه، وظاهر بني خلدون على قتل أمية وأنزل نفسه منهم منزلة الخديم. واستبد كريب، وعسف أهل إشبيلية فنفر عنه الناس وتمكن لإبراهيم الغرض، وصار يظهر الرفق كلما أظهر كريب الغلظة، وينزل نفسه منزلة الشفيق والملاطف. ثم دس للأمير عبد الله بطلب الولاية ليشتد بكتابه على كريب بن خلدون، وكتب له بذلك عهده فاطهر للعامة، وثاروا جميعاً بكريب فقتلوه. واستقام إبراهيم بن حجاج على الطاعة للأمير عبد الله، وحصن مدينة قرمونة (2)، وجعل فيها مرتبط خيوله، وكان يتردد ما بينها وبين إشبيلية. وهلك ابن حجاج، واستبد ابن مسلمة بمكانه. ثم استقرت إشبيلية آخراً بيد الحجاج بن مسلمة، وقرمونة بيد محمد بن إبراهيم بن حجاج، وعقد له الناصر. ثم انتقض، وبعث له الناصر بالعساكر، وجاء ابن حفصون لمظاهرة ابن مسلمة فهزمته العساكر، وبعث ابنه شفيحاً فلم يشفعه فبعث ابن مسلمة بعض أصحابه سراً فدخل الناصر في المكر به وعقد له. وجاء بالعساكر وخرج ابن مسلمة للحديث معه فغدروا به، وملكوا عليه أمره، وحملوه إلى قرطبة. ونزل عامل السلطان إشبيلية، وكان من الثوار على الأمير عبد الله قريبه، وغدر به أصحابه فقتل.

مقتل الأمير محمد ابن الأمير عبد الله ثم مقتل أخيه المطرف:

كان المطرف قد أكثر السعاية في أخيه محمد عند أبيهما، حتى إذا تمكنت سعائته، وظهر سخطه على ابنه محمد لحق حينئذ ببلد ابن حفصون. ثم استأمن ورجع، وبالغ المطرف في السعاية إلى أن حبسه أبوه ببعض حجر القصر وخرج لبعض غزواته، واستخلف

ابنه المطرف على قصره فقتل أخاه في محبسه مفتاتا(1) بذلك على أبيه، وحزن الأمير عبد الله على ابنه محمد، وضم ابنه عبد الرحمن إلى قصره وهو ابن يوم فربي مع ولده. ثم بعث الأمير عبد الله ابنه المطرف بالصائفة سنة ثلاث وثمانين ومائتين، ومعه الوزير عبد الملك بن أمية ففتك المطرف بالوزير لعداوة بينهما وسطا (2) به أبوه الأمير عبد الله، وقتله أسّر قتله ثأر فيها منه بأخيه محمد وبالوزير. وعقد مكان الوزير لابنه أمية فسرح على الفقراء بأنفه، وترفع على الوزراء فمقتوه وسعوا فيه عند الأمير عبد الله بأنه بايع جماعة من سماسرة الشر لأخيه هشام بن محمد، ولفقت بذلك شهادات اعتمد القاضي حينئذ قبولها(3) وأشار للساعين أن يجعلوا في الجماعة للمشهود عليهم بالبيعة بعض أعدائه فتمت الحيلة وقتل هشام أمية الوزير وذلك سنة أربع وثمانين.

وفاة الأمير عبد الله بن محمل وولاية حافده عبد الرحمن الناصر بن محمد:

ثم توفي الأمير عبد الله في شهر ربيع الاول من آخر المائة الثالثة لستٍ وعشرين سنة من إمارته، وولي حافده عبد الرحمن ابن ابنه محمد قتل أخيه المطرف، وكانت ولايته من الغريب لأنه كان شاباً وأعمامه وأعمام أبيه حاضرون فتصدى إليها، وحازها دونهم، ووجد الأندلس مضطربة فسكنها، وقاتل المخالفين حتى أذعنوا، واستنزل الثوار ومحا أثر ابن حفصون كبيرهم، وحمل أهل طليطلة على الطاعة، وكانوا معروفين بالخلاف والانتفاض. واستقامت الأندلس وسائر جهاتها في نيف وعشرين سنة من أيامه ودامت أيامه نحواً من خمسين سنة استفحل فيها ملك بني أمية بتلك النواحي، وهو أول من تسمى بأمر المؤمنين عندما تلاشى أمر الخلافة بالمشرق، واستبد موالى الترك على بني العباس، وبلغه أن المقتدر قتله مؤنس المظفر مولاه سنة سبع

وعشرين وثلاثمائة فتلقَّب باللقاب الخلفاء، وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو إني دار الحرب، إلى أن انهزم عام الخندق سنة ثلاث وعشرين ومحص الله المسلمين ففعد عن الغزو بنفسه، وصار يرُدُّ الصوائف في كل سنة فأوطأ عساكر المسلمين من بلاد الفرنج ما لم يطأه قبل أيام سلفه، ومدت إليه أمم النصرانية من وراء الدروب يد الإذعان، وأوفدوا إليه رسلهم وهداياهم من رومة القسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم، والاحتمال فيما يعنّ من مرضاته. ووصل إلى سدنة ملوك الجلالقة من أهل جزيرة الأندلس المتاخمين لبلاد المسلمين، كجهات قشتالة ونبيلونة وما إليها من الثغور الجوفية فقبلوا يده، والتمسوا رضاه، واحتقبوا جوائزهم وامتطوا مركبه. ثم سما إلى ملك العدو فتناولى سبته من أيدي أهلها سنة سبع عشرة، وأطاعه بنو إدريس أمراء العدو وملوك زناتة البربر، وأجاز إليه الكثير منهم كما نذكر في أخباره وبدأ أمره لأول ولايته بتخفيف المغارم عن الرعايا، واستحجب موسى بن محمد بن يحيى. واستوزر عبد الملك بن جهور بن عبد الملك بن جوهر، وأحمد بن عبد الملك بن سعد، واهدى له هديته المشهورة المتعددة الأصناف. ذكرها ابن حيان وغيره وصب مما نقل من ضخامة الدولة الأموية واتساع أحوالها، وهي خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين، وأربعمائة رطل من التبر، ومصارفه خمسة وأربعين ألف دينار، ومن سبائك الفضة مائتا بكرة وإثنا عشر رطلاً من العود الهندي يختم عليه كالشمع، ومائة وثمانون رطلاً من العود الصمغي المتخير، ومائة رطل من العود الشبه المنقى، ومائة أوقية من المسك الذكي المفصل في جنسه، وخمسمائة أوقية من العنبر الأشهب المفصل في جنسه على خليقته من غير صناعة ومنها قطعة ململمة عجبية الشكل، وزن مائة أوقية، وثلاثمائة أوقية من الكافور المترفع الذكاء. ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير المختم المرقوم بالذهب للباس الخلفاء، مختلفة الألوان والصنائع، وعشرة أفرية (1) من عالي جلود الفنك الخراسانية، وستة من السراذقات العراقية، وثمان وأربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب، وثلاثون شقة الغريون من الملاحف لسروج الهيات، وعشرة قناطير من



السمور فيها مائة جلد، وأربعة آلاف رطل من الحرير المغزول، وألف رطل  
من الحرير المنتقى للاستغزال،

وثلاثون بساطاً من الصوف وعشر مائة منقاة مختلفة، ومائة قطعة مصليات من وجوه الفرش المختلفة، وخمسة عشر من نخاخ الخزّ المقطوع شطرها. ومن السلاح والعدة ثمانمائة من تخافيف الزينة أيام البروز والموكب، وألف ترس سلطانية، ومائة ألف سهم من النبال البارعة الصنعة، ومن الظهر خمسة عشر فرساً من الخيل العراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعوت، وعشرون من بغال الركاب مسرجة ملجمة بمراكب خلافية، ولجم بغال مجالس سروجها خزّ جعفري عراقي، ومائة فرس من عتاق الخيل التي تصلح للركوب في التصرف والغزوات، ومن الرقيق أربعون وصيفاً وعشرون جارية متخيرات بكسوتهن وزينتهن ومن سائر الأصناف ومن الصخر سيات ما أنفق عليه في عام واحد ثمانون ألف دينار، وعشرون ألف عود من الخشب من أجمل الخشب وأصلبه واقدمه، قيمته خمسون ألف دينار. وعرضت الهدية على الناصر سنة سبع وعشرين فشكرها وحسن لديه موقعها.

سطوة الناصر بأخيه القاضي ابن محمد:

كان محمد بن عبد الجبار ابن الأمير محمد، وعبد الجبار هو عمّ أبي الناصر، قد سعى عنده في أخيه القاضي ابن محمد، وأنه يريد الخلاف والبيعة لنفسه. وسعى القاضي في محمد بن عبد الجبار، وأنه يروم الانتقاض، واستطلع على الجلي من أمرهما، وتحقق نقضهما فقتلها سنة ثمان وثلاثمائة.

سطوة الناصر ببني إسحق المروانيين:

وهو إسحق بن محمد بن إسحق بن إبراهيم بن الوليد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مروان، دخل جدهم أوّل الدولة ولن يزالوا في إكرام وعزّ، واستقرت الرياسة في إسحق، وسكن إشبيلية أيام الفتنة عند ابن حجاج. ثم هلك ابن حجاج وولي ابن مسلمة فاتهمه، وقبض عليه وعلى ولده وصهره يحيى بن حكم بن هشام بن خالد بن أبان بن خالد بن عبد الله بن عبد الملك بن الحارث بن مروان فقتل الولد والصهر.

وكان عنده سفير لابن حفصون فشفع في الشيخ إسحق وولده أحمد. ثم ملك الناصر إشبيلية من يد ابن مسلمة فرحل إسحق إلى قرطبة، واستوزره الناصر، واستوزره بنيه أحمد وإبنة ومحمد وعبد الله ففتحوا الفتوحات، وكفوا المهمات، وعلت مقاديرهم في الدولة. وتوفي أبوهم إسحق فورثوا مكانه في كل ربيعة. ثم هلك كبيرهم عبد الله، وكان مقدمهم عند الناصر، واستوزره ثم اتهمه الناصر بالخلاف، وكثرت فيهم السعايات، وصاروا في مجال الظنون فسطا بهم الناصر وغزبهم في النواحي فانزوى أمية منهم في تسترين سنة خمس وعشرين، وخلع الطاعة وقصده الناصر في العساكر فدخل دار الحرب، وأجاره رزمير ملك الجلالة. ثم تغير له فجاء إلى الناصر من غير عهد وعفا عنه، وبقي في غمار الناس إلى أن هلك. وأما أحمد فعزل عن سرقسطة لما نكب أبوه، وبقي خاملاً مغضياً. ثم تكاثرت السعاية فيه فقتل. وأما أحمد فبقي في جملة الناصر، حتى إذا تحرك إلى سرقسطة نمت عنه ففر ولقي في مفره جماعة من أهل سرقسطة فقتلوه.

أخبار الناصر مع الثوار:

كان أول فتحه أبيع له أسجه (1) بعث إليها بداراً مولاه، وحاجبه فافتتحها من يد ابن حفصون سنة ثلاثمائة وغزا في أثرها بنفسه فافتتح أكثر من ثلاثين حصناً من يد ابن حفصون منها البيرة، ودوّخ سائر أقطاره، وضيّق مخنقه بالحصار، واستنزل سعيد بن مزيل من حصن المنتلون، وحصن سمنان. وفي سنة إحدى وثلاثمائة ملك إشبيلية من يد أحمد بن مسلمة كما ذكرناه. ثم سار سنة إثنين في العساكر فنازل حصون ابن حفصون وانتهى إلى الجزيرة الخضراء، وضبط البحر، ونظر في أساطيله واستكثر منها. ومنع ابن حفصون من البحر، وسأله في الصلح على لسان يحيى بن إسحق المرواني فعقد له. ثم أغزى إسحق بن محمد القرشي إلى الثوار بمرسية وبلنسية فأخذ في نواحيها، وفتح أريولة وأغزى بداراً مولاه إلى مدينة لبة فاستنزل منها عثمان بن نصر التائر بها، وساقه مقيداً إلى قرطبة، ثم أغزى إسحق بن محمد سنة خمس وثلثمائة مدينة

قرمونة فملكها من يد حبيب بن سواره، كان تائراً بها. وفتح حصن ستمرية سنة ست، وحصن طرش سنة تسع. وأطاعه أحمد بن أضحى الهمداني التائر بحصن الجامعة، ورهن ابنه على الطاعة. وغزا ابن حفصون سنة أربع عشرة فردته العساكر المجرّرة لحصاره، ورجع وبعث إليه حفص يستأمنه فأمنه وجاء إلى قرطبة، وملك الناصر يشتر كما مر. ثم انتقض سنة خمس وعشرين أمية بن إسحق في تسترين، وقد مر ذكر أوليته ومحمد بن هشام التجيبي في سرقسطة، ومطرّف بن مندف التجيبي في قلعة أيوب فغزاهم الناصر بنفسه، وبدأ بقلعة أيوب فحاصرها، وقتل مطرف في أوّل جولة عليها، وقتل معه يونس بن عبد العزيز. ولجأ أخوه إلى القصبه حتى استأمن وعفا عنه، وقتل من كان معهم من النصرانية أهل ألبه. وافتتح ثلاثين من حصونهم، وبلغه انتقاض طوطة ملكة البشكنس فغزاها في ينبلونة، ودوّخ أرضها واستباحها ورجع. ثم غزا سنة سبع وعشرين غزوة الخندق إلى جليقة فانهمزم، وأصيبت فيها المسلمون وأسر محمد بن هاشم التجيبي، وحاول الناصر إطلاقه فأطلق بعد سنتين وثلاثة أشهر. وقعد الناصر بعدها عن الغزو بنفسه، وصار يردد البعوث والصوائف. وثار سنة ثلاث وأربعين بجهات ماردة تائر، وتوجهت إليه العساكر فجاءوا به وبأصحابه ومثل بهم وقتلوا.

أخبار طليطلة ورجوعها إلى الطاعة:

قال ابن حبان اختطها ديرنيقيوش الجبار، وكان قوّاد رومة ينزلونها دار ملك. ثم ثار بها برباط من نجدانية فملكها، واختلف قوّاد رومة على حصاره. ثم وثب به بعض أصحابه فقتله وملكها. ثم قتل ورجعت إلى قوّاد رومة، ثم انتقض أهلها وولّوا أميراً منهم أسمه أنيش. ثم قتل ورجعت إلى قواد رومة، وقام أولهم شنتيلة، وأطاعه أهل الأندلس، وامتنع على ملوك رومة. ثم غزاهم وحاصر رومة، وفتح كثيرا من بلادها، ورجع إلى طليطلة، وثار عليه البشكنس فظهر عليهم، وأوقع بهم، ولحقوا بالجال. وهلك شنتيلة بعد تسع، وملك مكانه على الغوط بسيلة ست سنين، ولم يغن فيها. ثم ولي منهم حندس، وغزا إفريقية، وولي بعده قتبان وبنى الكنائس، وبلغه خبر المبعث فقال له بليان، وكان من أكابر الغوط، وأعاضمهم: وجدت في كتاب

مطربوس العالم عن دانيال النبيّ أنهم يملكون الأندلس. ثم هلك فتبادر وملك أبنه ، ست عشرة سنة وكان سيء السيرة وليّ بعده لزريق (1). ثم لم تزل طليطلة دار فتنة وعصبية ومنعة، أتعبت عبد الرحمن الداخل سبع سنين، وانتقضت على هشام والحكم، وعلى عبد الرحمن الأوسط، إلى أن جاء الناصر فأدخلهم في الطاعة كرهاً، لما أكمل فتح ماردة وبطليوس وتسترين، سار إليهم في العساكر وحاصرهم، وجاء الطاغية يظاهرهم فدافعه الناصر، وجثم عليها فخرج أميرهم ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث إلى الناصر فاستقال واستأمن فأمنه وعفا عنه، ودخلها الناصر وجال في أقطارها، ورجع عنها فلم يزلوا مستقيمين على الطاعة بعد.

أخبار الناصر مع أهل العدو

ثم سما للناصر أمل في ملك عدوة البربر من بلاد المغرب فافتتح أمره بملك سبتة من بني عصام ولاتها، واستدعى أمراء البربر بالعدوة، وبلغ الخبر إبراهيم بن محمد أمير بني إدريس فبادر إلى سبتة، وحاصرها أنفة من عبور الناصر إليهم. ثم استقال وكاتب الناصر بالولاية. وأمّا إدريس بن إبراهيم صاحب أرشكوك من الأدارسة فبادر بولاية الناصر، وكاتبه وأهدى إليه وتقبل أثره في ذلك محمد بن خزر أمير مغراوة، وموسى بن أبي العافية أمير مكناسة، وهو يومئذ صاحب المغرب بعد أن ملك قواعد المغرب الأوسط، وهي تنس ووهران وشرشال والبطحاء. وأهدوا إلى الناصر فقبل وكافأهم وأحكم ولايتهم، وبادر جماعة من الأدارسة إلى مثل ذلك منهم: القاسم بن إبراهيم، والحسن بن عيسى وأهدى صاحب فاس هدية عظيمة، وعقد له الناصر على أهل بيته. ولما فشلت دعوة الناصر في المغرب الأقصى بعث عبيد الله المهدي قائده ابن يصل أمير مكناسة، وعامل تاهرت فزحف في العساكر إلى المغرب سنة إحدى وعشرين، وكتب موسى بن أبي العافية إلى الناصر يستنجده فأخرج إليه قاسم بن طملس في العساكر، ومعه الأسطول فوصل إلى سبتة، وبلغه الخبر بأنّ موسى بن أبي العافية هزم عساكر حميد فأقصر ورجع حسبما هو مذكور في أخبارهم.

أخبار الناصر مع الفرنجة والجلالقة:

وكان في أوّل المائة الرابعة ملك على الجلالقة أردون بن رذمير بن برمند بن قريولة بن اذفونش بن بيطر. وخرج سنة اثنتين وثلاثمائة إلى الثغر الجوفي لأوّل ولاية الناصر، وعات في جهات ماردة، وأخذ حصن الحنش. وبعث الناصر وزيره أحمد بن عبدة في العساكر إلى بلاده فدوخها. ثم أغزاه ثانية سنة خمس فنكث وقتل. ثم أغزى بداراً مولاه فدوخ ورجع. ثم غزا بنفسه بلاد جليقة سنة ثمان. واستنصر أردون بشانجة ابن غرسية ملك البشكنس وصاحب بنبولة فهزمهم الناصر، ووطىء بلادهم وخربها وفتح حصونها وهدمها وردّ الغزو بعد ذلك في بلد غرسية إلى أن هلك اذفونش وولي بعده ابنه فرويلة. قال ابن حيان: لما ملك فرويلة بن أردون بن رذمير ملك الجلالقة سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ملك أخوه اذفونش، ونازعه أخوه شانجة واستقل غرسية بليون من قواعد ملكهم، وظاهر اذفونش على أمره ابن أخيه، وهو اذفونش بن فرويلة، وصهره شانجة فانهزموا وافتقرت كلمتهم. ثم اجتمعوا ثانية وخلعوا شانجة وأخرجوه عن مدينة ليون فقّر إلى قاصية جليقة، وولّى أخاه رذمير بن أردون على ملكه بغربي جليقة إلى قلنصرية. وهلك شانجة أثر ذلك ولم يعقب. واستقل اذفونش، وخرج على أخيه رذمير، وملك مدينة سنت مادكش. ثم أكثروا عليه العذل في نزوعه عن الرهبانية فرجع إلى رهبانيته. ثم خرج ثانياً وملك مدينة ليون، وكان رذمير أخوه غازيا إلى سمورة فرجع إليه وحاصره بها حتى اقتحمها عليه عنوة سنة عشرين وثلاثمائة فحبسه، ثم سمله في جماعة من ولد أبيه أردون، خافهم على أمره. وكان غرسية بن شانجة ملك البشكنس لما هلك قامت بأمرهم بعده أخته طوطة، وكفلت وُلده. ثم انتقضت سنة خمس وعشرين فغزا الناصر بلادها وخرّب نواحي بليونة، وردد عليها الغزوات. وفي أثناء هذه الغزوات نازل محمد بن هشام التجيبي سرقسطة، حتى أطاع كما مر، وكذا أمية بن إسحق في تسترين. وكان الناصر سنة اثنتين وعشرين قد غزا إلى وحنشمة، واستدعى محمد بن هشام من سرقسطة فامتنع ورجع إليه، وافتتح حصونه، وأخذ أخاه يحيى من حصن روطة. ثم رحل إلى ينبلونة

فجاءته طوطة بنت أنثير بطاعتها، وعقد لابنها غرسية بن شانجة على  
ينبلونة. ثم عدل إلى البلة

وبسائطها فدوّخها وخرّب حصونها. ثم اقتحم جليقة، وملكها يومئذ رزمير بن أردون فخام عن اللقاء، ودخل هو وحشمه فنازله الناصر فيها، وهدم برغث وكثيراً من معقلهم، وهزمهم مراراً ورجع. ثم كانت بعدها غزوة الخندق ولم يغز الناصر بعدها بنفسه. وكان يردّ الصوائف، وهابته أمم النصرانية. ووفدت عليه سنة ست وثلاثين رسل صاحب القسطنطينية وهديته، وهو يومئذ قسطنطين بن ليون بن شل واحتفل الناصر للقائهم في يوم مشهود، وكتب(1) فيه العساكر بالسلاح في أكمل هيئة وزيّن القصر الخلافي بأنواع الزينة وأصناف الستور، وجمل السرير الخلافي بمقاعد الأبناء والأخوة والأعمام والقراية، ورتب الوزراء والخدمة في مواقعهم، ودخل الرسل فهاهم ما رأوا وقربوا حتى أدوا رسالتهم. وأمر يومئذ الاعلام أن يخطبوا في ذلك المحفل، ويعظموا أمر الإسلام والخلافة، ويشكروا نعمة الله على ظهور دينه وإعزازه، وذلة عدوّه فاستعدوا لذلك. ثم بهرهم هول المجلس فرجعوا وشرعوا في الغزل(2) فارتج عليهم، وكان فيهم أبو علي القالي وافد العراق، كان في جملة الحكم ولي العهد، وندبه لذلك استثناراً لفخره، فلما جموا كلهم قام منذر بن سعيد البلوطي من غير استعداد ولا روية، ولا تقدّم له أحد في ذلك بشيء فخطب واستخفر وعى في ذلك القصد، وأنشد آخره شعراً طويلاً ارتجله في ذلك الغرض ففاز بفخر ذلك المجلس، وعجب الناس من شأنه أكثر من كل ما وقع. واعجب الناصر به وولاه القضاء بعدها، وأصبح من رجالات العالم، وأخبره مشهورة، وخطبته في ذلك اليوم منقولة في كتب ابن حيان وغيره. ثم انصرف هؤلاء الرسل، وبعث الناصر معهم هشام بن كليب إلى الجاثليق ليجدد الهدنة، ويؤكد المودة، ويحسن الإجابة. ورجع بعد سنتين وقد أحكم من ذلك ما شاء، وجاءت معه رسل قسطنطين. ثم جاء رسل ملك الصقالبة، وهو يومئذ هوتو، وآخر من ملك اللمان، وآخر من ملك الفرنجة وراء المغرب، وهو يومئذ أفوه. وآخر من ملك الفرنجة بقاصية المشرق، وهو يومئذ كلدة. واحتفل السلطان لقدمهم، وبعث مع رسل الصقالبة ريفاً الأسقف إلى ملكهم هوتو، ورجعوا بعد سنتين. وفي سنة أربع وأربعين جاء رسول أردون بن رزمير، وأبوه رزمير، هو الذي سمل أخاه أذفونش، وقد مرّ ذكره، بعث



يخطب السلم فقعد له. ثم بعث في سنة خمس وأربعين يطلب إدخال قومس قشتيلية فردلند، وقد مرّ ذكره، ومال إلى أردون بن زدمير كما ذكرناه. وكان غرسية بن شانجة حافد الطوطه بنت أسنين، ملكة البشكنس فامتعضت لحل حافدها غرسية، ووفدت على الناصر سنة سبع وأربعين ملقية بنفسها في عقد السلم لها ولولدها شانجة بن زدمير الملك وأعانه حافدها غرسية بن شانجة على ملكه ونصره من عدوة وجاء ملك جليقة فرّد عليه ملكه وخلع الجلالة طاعة أردون، وبعث إلى الناصر يشكوه على فعلته وكتب إلى الأمم في النواحي بذلك، وبما غرتكبه فردلند خمس قشتيلة وعظيم قوامسه في نكسة، ووثبه، ونفر لذلك عند الامم ولم يزل الناصر على موالاته وإعانتته إلى أن هلك. ولما وصل معه رسول كلدة ملك الإفرنجة بالمشرق كما تقدّم، وصل معه رسول مغيرة بن شبير ملك برشلونة وطركونة، راغباً في الصلح فأجابه الناصر، ووصل بعده رسول صاحب رومة يطلب المودّة فأجيب.

سطوة الناصر بابنه عبد الله:

كان الناصر قد وشحه (1) ابنه الحكم وجعله وليّ عهده وآثره على جميع ولده، ودفع إليه كثيراً من التصرف في دولته، وكان أخوه عبد الله يساميه في الرتبة فغص لذلك وأغراه الحسد بالنكثة فنكث، وداخل في قلبه مرض من أهل الدولة فأجابوه، وكان منهم ياسر الفتى وغيره. ونمى الخبر بذلك إلى الناصر فاستكشف أمرهم حتى وقف على الجليّ فيه، وقبض على ابنه عبد الله وعلى ياسر الفتى، وعلى جميع من داخلهم وقتلهم أجمعين سنة ثلاث وتسعين.

مباني الناصر:

ولما استفحل ملك الناصر صرف نظره إلى تشييد المباني والقصور، وكان جده الأمير محمد وأبوه عبد الرحمن الأوسط وجده الحكم قد اختلفوا في ذلك، وبنوا قصورهم

على أكمل الاتفاق والضخامة، وكان منها المجلس الزاهر، والبهو الكامل، والقصر المنيف فبنى هو إلى جانب الزاهر قصره العظيم، وسماه دار الروضة، وجلب الماء إلى قصورهم من الجبل واستدعى عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر، فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية. ثم أخذ في بناء المنتزهات فاتخذ مينا الناعورة خارج القصور، وساق لها الماء من أعلى الجبل على بعد المسافة. ثم اختط مدينة الزهراء، واتخذها منزله وكرسيا لملكه فأنشأ فيها من المباني والقصور والبساتين ما علا على مبانيهم الأولى واتخذ فيها مجالات للوحش فسيحة الفناء، متباعدة السياح ومسارح الطيور، ومظلة بالشباك واتخذ فيها داراً لصناعة آلات السلاح للحرب، والحلي للزينة، وغير ذلك من المهن. وأمر بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس.

وفاة الناصر وولاية ابنه الحكم المستنصر:

ثم توفي الناصر سنة خمسين وثلثمائة أعظم ما كان سلطانه، وأعز ما كان الإسلام بملكه. وكان له قضاة أربعة: مسلم بن عبد العزيز، وأحمد بن بقى بن مخلد، ومحمد بن عبد الله بن أبي عيسى، ومنذر بن سعيد البلوطي. ولما توفي الناصر ولي ابنه الحكم وتلقب المستنصر بالله، وولّى على حجابته جعفر المصحفي، وأهدى له يوم ولايته هدية كان فيها من الأنصاف ما ذكره ابن حيان في المقتبس وهي مائة مملوك من الفرنج ناشئة على خيول صافنة، كاملو الشيكة والأسلحة من السيوف والرماح والدرق والتراس والقلائس الهندويّة، وثلثمائة وئيف وعشرون درعاً مختلفة الأجناس، وثلثمائة خوذة كذلك، ومائة بيضة هندية، وخمسون خوذة حبشية من حبشيات الإفرنجة غير الحبش التي يسمونها الطاشانية، وثلثمائة حربة إفرنجية، ومائة ترس سلطانية الجنس، وعشرة جواشن نقيه مذهبة، وخمسة وعشرون قرناً مذهبة من قرون الجاموس. ولأول وفاة الناصر طمع الجلالقة في الثغور فغزا الحكم بنفسه، واستباحها، وقفل فبادروا إلى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه. ثم أغزى غالباً موله بلاد جليقة،

وسار إلى مدينة سالم قبل الدخول لدار الحرب فجمع له الجلاقة، ولقيهم  
على أشته فهزمهم واستباحهم وأوطأ العساكر بلاد فردلند

القومس، ودوّخها وكان شانجة بن رزمير ملك البشكنس قد انتقض فأغزاه الحكم يحمى بن محمد التجيبي صاحب سرقسطة في العساكر. وجاء ملك الجلالقة لنصره فهزمهم، وامتنعوا في حصونها. وعات في نواحيها، وأغزى الهذيل بن هاشم، ومولاه غالباً فعاثا فيها وقفلا. وعظمت فتوحات الحَكَم وقوَاد الثغور في كل ناحية، وكان من أعظمها فتح قلهرة من بلاد البشكنس على يد غالب فعمرّها الحكم واعتنى بها. ثم فتح قَطْرِبَة على يد قائد وَشَقَّة، وغنم ما فيها من الأموال والسلاح والآلات والأقوات. وغنم ما في بسيطة من الغنم والبقر والرمك والأطعمة والسبي ما لا يحصى. وفي سنة أربع وخمسين سار غالب إلى بلاد ألبه ومعه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون، فأخذ حصن غرماج، ودوّخ بلادهم وانصرف. وظهرت في هذه السنة مراكب المجوس في البحر الكبير، وأفسدوا بسايط أحشبونة وناشبهم الناس القتال، فرجعوا إلى مراكبهم. وأخرج الحكم القوَاد لاحتراس السواحل، وأمر قائد البحر عبد الرحمن بن رماجس بتعجيل حركة الأسطول. ثم وردت الأخبار بأنّ العساكر نالت منهم من كل جهة من السواحل. ثم كانت وفادة اردون بن أذفونش ملك الجلالقة. وذلك أنّ الناصر لما أعان عليه شانجة بن رزمير، وهو ابن عمّه، وهو الملك من قبل أردون وحمل النصرانية. واستظهر أردون بصهره فردلند قومس قشتيلية(1). ثم توقع مظاهرة الحَكَم لشانجة كما ظاهره أبوه الناصر، فبادر بالوفادة علم الحَكَم مستجيراً به فاحتفل لقدمه، وكان يوماً مشهوداً وصفه ابن حيان كما وصف أيام الوفادات قبله. ووصل إلى الحَكَم وأجلسه ووعدته بالنصر على عدوه، وخلع عليه لما جاء ملقياً بنفسه، وعاقده على موالاة الإسلام ومقاطعة فردلند القومس، واعطى على ذلك صفقة يمينه، ورهن وِلْدَه غرسية، ودفعت الصلات والحملات له ولأصحابه. وانصرف معه وجوه نصارى الذمّة بقرطبة ولبد بن مغيث القاضي، وأصَيغ بن عبد الله بن نبيل الجاثليق، وعبد الله بن قاسم مطران طليطلة ليوطوا له الطاعة عند رسميته، ويقبضوا رهنه، وذلك سنة إحدى وخمسين. وعند ذلك بعث ابن عمه شانجة بن رزمير ببيعته وطاعته مع قَوْلِب من أهل جَلْبِقَة وسمورة

وأساقفهم يرغب في قبوله، ويبقي بما فعل أبوه الناصر معه فتقبل بيعتهم  
على شروط.

شرطها كان منها هدم الحصون والأبراج القريبة من ثغور المسلمين. ثم بعث قومس الفرنجة برسلى ومسيرة أثناء سيرملك برشلونة وطركونة وغيرها يسألان تجديد العهد، وإقرارهما على ما كانا عليه، وبعثا بهدية وهي عشرون صبياً من الخصيان الصقالبة، وعشرون قنطاراً من الصوف السمور، وخمسة قناطير من الفرصدس(1)، وعشرة أذراع صقلية ومائتا سيف إفرنجية فقبل هديتهم، وعقد لهم على أن يهدموا الحصون التي بقرب الثغور، وعلى أن لا يظاهروا عليه أهل ملتهم وأن يندروه بما يكون من النصارى في الإجلاب على المسلمين. ثم وصلت رسل غرسية بن شانجة ملك البشكنس في جماعة من الأساقفة والقواميس يسألون الصلح، بعد أن كان توقف فعقد لهم الحَكَم، ورجعوا. وفي سنة خمس وستين وثلاثمائة وردت أم لزريق بن بلاكش القومس بالقرب من جليقة، وهو القومس الأكبر فأخرج الحَكَم لتلقيها، واحتفل لقدمها في يوم مشهود فوصلها وأسعفها، وعقد السلم لابنها كما رغبت وأحبت، ودفع لها مالاً تقسّمه بين وفدها، وحملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقلين بالذهب وملحفة ديباج. ثم عاودت مجلس الحكم للوداع فعاودها بالصلوات لسفرها وانطلقت. ثم أوطأ عساكره من أرض العدو من المغرب الأقصى والأوسط، وتلقى دعوته ملوك زناتة من مَعْرَاوة ومِكْنَّاسَة فبثوها في أعمالهم وخطبوا بها على منابرهم، وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم. ووفد عليه ملوكهم من آل خزر، وبني أبي العافية فأجزل صلّتهم وأكرم وفادتهم وأحسن منصرفهم واستنزل بني إدريس من ملكهم بالعدوة في ناحية الريف وأجازهم البحر إلى قرطبة، ثم أجلاهم إلى الإسكندرية حسبما نشير إلى ذلك كله بعد. وكانم محباً للعلوم مكرماً لأهلها جَمَاعَةً للكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله. قال ابن حزم: أخبرني بُكَيَّة الخِصِيّ وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان - أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعة وأربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير. فأقام للعلم والعلماء سلطاناً نفقت فيها بضائعه من كل قطر. ووفد عليه أبو علي الغالي صاحب كتاب الأمالي من بغداد فأكرم

مثواه، وحسنت منزلته عنده وأورث أهل الأندلس علمه. واختص بالحكم  
المستنصر واستفاد علمه، وكان يبعث في الكتب

إلى الأقطار رجالاً من التجّار، ويسرّب إليهم الأموال لشرائها، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه. وبعث في كتاب الأغاني إلى مصنّفه أبي الفرج الأصفهاني، وكان نسبه في بني أمية، وأرسل إليه فيه ألف دينار من الذهب العين فبعث إليه بنسخة منه، قبل أن يخرج به بالعراق. وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الابهريّ المالكيّ في شرحه لمختصر ابن عبد الحَكَم، وأمثال ذلك. وجمع بداره الحدّاق في صناعة التّسخ، والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد فأوعى من ذلك كلّه، واجتمعت بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده، إلا ما يذكر عن الناصر العبّاسي بن المستضيء. ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة إلى أن بيع أكثرها في حصار البربر، أمر بإخراجها وبيعها الحاجب واضح من موالي المنصور بن أبي عامر. وُهبَ ما بقي منها عند دخول البربر قرطبة، واقتحامهم إيّاها عنوة كما نشير إليه بعد. واتصلت أيام الحَكَم المُستنصر، وأوطأ العساكر أرض العدو من المغرب الأقصى والأوسط، وتلقى دعوته هلك زناة ومغراوة ومكناسة فبّتها في أعمالهم، وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما يليهم ووفد عليه ملوكهم من آل خزر وبني أبي العافية فأجزل صلتهم وأكرم وفادتهم.

وفاة الحكم المستنصر وبيعة ابنه هشام المؤيد:

ثم أصابت الحكم العلة فلزم الفراش إلى أن هلك سنة ست وستين وثلثمائة لست عشرة سنة من خلافته، وولي من بعده ابنه هشام صغيراً مناhez الحُلم، وكان الحَكَم قد استوزر له محمد ابن أبي عامر نقله من خطة القضاء إلى وزارته، وقّوض إليه في أموره فاستقل وحسنت حاله عند الحَكَم، فلما توفي الحَكَم ببيع هشام ولقب المؤيد، بعد أن قتل ليلتئذ أخو الحَكَم المرشّح لأمره، تناول الفتك به محمد بن عامر هذا بممالة جعفر بن عثمان المصحفي حاجب أبيه، وغالب مولى الحكم صاحب مدينة سالم، ومن خصيان القصر ورؤسائهم فائق وجودر فقتل محمد بن أبي عامر المغيرة وبايع لهشام.



أخبار المنصور ابن أبي عامر:

ثم سما محمد بن أبي عامر المتغلب على هشام لمكانه في السن، وثاب له رأي في الاستبداد فمكر بأهل الدولة، وضرب بين رجالها، وقتل بعضها ببعض. وكان من رجال اليمينية من مغافر وإسمه محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المغافري، دخل جدّه عبد الملك مع طارق، وكان عظيماً في قومه، وكان له في الفتح أثر فاستوزره الحكم لابنه هشام كما ذكرنا. فلما مات الحكم حبه محمد، وغلب عليه، ومنع الوزراء من الوصول إليه إلا في النادر من الأيام يسلمون وينصرفون. وأرخص للجند في العطاء وأعلى مراتب العلماء، وقمع أهل البدع، وكان ذا عقل ورأي وشجاعة وبصر بالحروب ودين متين. ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده، وزاحمه فمال عليهم وحطهم عن مراتبهم، وقتل بعضها ببعض. كل ذلك عن أمر هشام وخطه وتوقعيه، حتى استأصل بهم وفرّق جموعهم. وأول ما بدأ بالصقابة الخصيان الخدّام بالقصر، فحمل الحاجب المصحفي على نكبتهم فنكبهم، وأخرجهم من القصر، وكانوا ثمانمائة أو يزيدون ثم اصهر إلى غالب مولى الحكم، وبالغ في خدمته والتنصّح له، واستعان به على المصحفي فنكبه ومحا أثره من الدولة، ثم استعان على غالب بجعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة الفازع إلى الحكم أوّل الدولة بمن كان معه من زناة والبربر. ثم قتل جعفر عماله ابن عبد الودود وابن جوهر وابن ذي النون وأمثالهم من أولياء الدولة من العرب وغيرهم. ثم لما خلا الجو من أولياء الخلافة والمرشحين للرياسة، رجع إلى الجند فاستدعى أهل العدو من رجال زناة والبرابرة فرتب منهم جنداً، واصطنع أولياء، وعرف عرفاء من صنهاجة ومغراوة، وبني يفرن وبني برزال ومكناسة، وغيرهم فتغلّب على هشام وحجره واستولى على الدولة، وملاً الدنيا وهو في جوف بيته، مع تعظيم الخلافة والخضوع لها، وردّ الأمور إليها وترديد الغزو والجهاد، وقدم رجال البرابرة زناة، وأخر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم فتم له ما أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالأمر، وابتنى لنفسه مدينة فنزلها

وسمّاها الزاهرة. ونقل إليها خزائن الأموال والأسلحة، وقعد على سرير  
الملك، وأمر أن يُحيّا بتحيّة الملوك، وتسمى

بالحاجب المنصور، ونفذت الكتب والأوامر والمخاطبات باسمه وأمر بالدعاء له على المنابر، وكتب اسمه في السكة والطرز، وعمر ديوانه بما سوى ذلك وجند البرابرة والمماليك واستكثر من العبيد والعلوج للاستيلاء على تلك الرغبة، وقهر من يطاول إليها من الغلبة فظفر من ذلك بما أراد، وردّ الغزو بنفسه إلى دار الحارث فغزا اثنتين وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه لم ينكسر له فيها راية، ولا فلّ له جيش ولا أصيب له بعث، ولا هلكت سرية وأجاز عساكره إلى العدو وضرب بين ملوك البرابرة بعضهم في بعض فاستوثق ملكه بالمغرب وأذعنت له ملوك زناتة وانقادوا لحكمه وأطاعوا لسلطانه، وأجاز ابنه عبد الملك إلى ملوك مغراوة بفاس من آل خزر لما سخط زيري بن عطية ملكهم لما بلغه من إعلانه بالنيل منه والغض من ملكهم، والتأنف لحجر الخليفة هشام فأوقع به عبد الملك سنة ست وثمانين، ونزل بفاس وملكها، وعقد لملوك زناتة على المغرب وأعماله من سجلماسة وغيرها على ما نشير إليه بعد. وشرّد زيري بن عطية إلى تاهرت، وأبعد المفر، وهلك في مفرّه. ثم قفل عبد الملك إلى قرطبة واستعمل واضحاً على المغرب. وهلك المنصور أعظم ما كان ملكاً وأشد استيلاء سنة أربع وسبعين ثلاثمائة بمدينة سالم منصرفه من بعض غزواته، ودفن هنالك وذلك لسبع وعشرين سنة من ملكه.

المظفر بن المنصور:

ولما هلك المظفر قام بالأمر من بعده أخوه عبد الرحمن، وتلقب بالناصر لدين الله وجرى على سنن أبيه وأخيه في حجر الخليفة هشام، والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه. ثم ثاب له رأي في الاستئثار بما بقي من رسوم الخلافة فطلب من هشام المؤيد أن يوليه عهده فأجابه، وأحضر لذلك الملاء من أرباب الشورى، وأهل الحل والعقد فكان يوماً مشهوداً. وكتب عهده من إنشاء أبي حفص بن برد بما نصه: هذا ما عهد هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين إلى الناس عافة، وعاهد الذي عليه من نفسه خاصة، وأعطى به صفقة يمينه بيعه تامة بعد أن أمعن النظر وأطال الاستخارة، وأهمّه ما جعل الله إليه من الإمامة، ونصب إليه من أمر

المؤمنين واتقى حلول القدر بما لا يؤمن، وخاف نزول القضاء بما لا يصرف،  
وخشي أن هجم محتوم

ذلك عليه، ونزل مقدوره به، ولم يرفع لهذه الأمة علماً تأوي إليه، وملجأً تنعطف إليه، أن يلقى ربه تبارك وتعالى مفراطاً ساهياً عن أداء الحق إليها. وأعتبر عند ذلك من أحياء قريش وغيرها من يستحق أن يستند هذا الأمر إليه، ويعول في القيام به عليه ممن يستوجهه دينه وأمانته وهديه وصيانتها، بعد إطراح الهوى والتخري للحق والتزلف إلى الله عز وجل بما يرضيه. وبعد أن قطع الأقباصي وأسخط الأقارب فلم يجد أحداً يؤييه عهده، ويفوض إليه الخلافة بعده غيره لفضل نسبه، وكرم خيمه، وشرف مرتبته، وعلو منصبه مع تقاه وعفافه ومعرفته وحزمه وتفاوته، المأمون العيب الناصح الحبيب أبي المظفر عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر وفقه الله تعالى، إذ كان أمير المؤمنين قد ابتلاه واختبره، ونظر في شأنه واعتبره فرآه مسارعا في الخيرات، سابقاً إلى الجليات، مستولياً على الغايات، جامعاً للمأثرات. ومن كان المنصور أباه، والمظفر أخاه فلا غرو أن يبلغ من سبل البرمداه، ويحوي من خلال الخير ما حواه. مع أن أمير المؤمنين أيده الله بما طالع من مكنون العلم، ووعاه من مخزون الغيب، رأى أن يكون ولي عهده القحطاني الذي حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو هريرة أن النبي ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه، فلما استوى له الاختيار، وتقابلت عنده الآثار، ولم يجد عنه مذهبا ولا إلى غيره معدلا خرج إليه من تدبير الأمور في حياته، وفوض إليه الخلافة بعد وفاته، طائعا راضيا مجتهدا، وامضى أمير المؤمنين هذا وأجازه وأنفذه، ولم يشترط فيه ثنياً ولا خياراً، وأعطى على الوفاء به في سره وجهره، وقوله وفعله عهد الله وميثاقه وذمة نبيه ﷺ، وذمة الخلفاء الراشدين من آبائه، وذمة نفسه أن لا يبدل ولا يغير ولا يحول ولا يزول. وأشهد على ذلك الله والملائكة وكفى بالله شهيدا، وأشهد من أوقع اسمه في هذا وهو جائر الأمر ماضي القول والفعل بمحضر من ولي عهده المأمون أبي المظفر عبد الرحمن بن المنصور وفقه الله تعالى، وقيد له ما قلده والزمه نفسه ما في الذمة. وذلك في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، وكتب الوزراء والقضاء وسائر الناس شهادتهم بخطوط أيديهم. وتسمى

بعدها بولي العهد ونقم أهل الدولة عليه ذلك فكان فيه حتفه، وانقراض  
دولته ودولة قومه، والله وارث الأرض ومن عليها.

ثورة المهدي ومقتل عبد الرحمن المنصور وانقراض دولتهم:

ولما حصل عبد الرحمن المنصور على ولاية العهد، ونقم ذلك الأمويون والقرشيون وغصوا بأمره، واتفقوا على تحويل الأمر جملة من المضربة إلى اليمنية فاجتمعوا لشأنهم، وتمشيت من بعض إلى بعض رجالاتهم، وأجمعوا أمرهم في غيبة من الحاجب الناصر ببلاد الجلالة في غزاه من صوائف، ووثبوا بصاحب الشرطة ففتكوا به بمقعدة من باب قصر الخلافة بقرطبة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وخلعوا هشاماً المؤيد، وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله من أعياص الملك، وأعقاب الخلفاء، ولقبوه المهدي، وطار الخبر إلى الحاجب بمكانه من الثغر فانفض جمعه، وقفل إلى الحضرة مدلاً بمكانه زعيماً بنفسه، حتى إذا قرب من الحضرة نسل عن الجند ووجوه البربر، ولحقوا بقرطبة وبايعوا المهدي القائم بالأمر، وأغروه بالناصر واعترضه منهم من قبض عليه، واحتز رأسه وحمله إلى المهدي وإلى الجماعة وذهبت دولة العامريين.

ثورة البربر وبيعة المستعين وفرار المهدي:

كان الجند من البرابرة وزناتة قد ظاهروا المنصور على أمره، وأصبحوا شيعة لبنيه من بعده ورؤساؤهم يومئذ زاوي بن مناد الصنهاجي وبنو ماكير ابن أخيه زيري، ومحمد بن عبد الله البرزالي، ونصيل بن حميد المكناسي الفازع أبوه عن العبيديين إلى الناصر، وزيري بن عزانة المتيطي، وأبو زيد بن دوناس اليفرني، وعبد الرحمن بن عطاق اليفرني وأبو نور بن ابي فُرّة اليفرني، وأبو الفتوح بن ناصر وحزرون بن محصن المغراوي، وبكساس بن سيد الناس، ومحمد بن ليلي المغراوي فيمن إليهم من عشائرتهم فلاحقوا بمحمد بن هشام لما رأوا من انتقاض أمر عبد الرحمن وسوء تدبيره. وكانت الأموية تعتد عليهم ما كان من مظاهرتهم العامريين وتنسب إليهم تغلب المنصور وبنيه على أمرهم فسخطتهم القلوب، وخزرتهم العيون، وتنفست

بذلك صدور الغوغاء من أذيال الدولة، ولفظت به ألسنة الدهماء من المدينة. وأمر محمد بن هشام أن لا يركبوا ولا يتسلحوا وردوا في بعض الأيام من باب القصر، وانتهت العائمة يومئذ دورهم، ودخل زاوي وابن أخيه حساسة وأبو الفتوح بن ناصر على المهدي شاكين بما أصابهم فاعتذر إليهم، وقتل من آذاهم من العائمة في أمرهم، وكان مع ذلك مظهراً لبغضهم مجاهراً بسوء الثناء عليهم. وبلغهم أنه سره الفتك بهم فتشمت رجالاتهم، وأسروا نجواهم. واتفقوا على بيعة هشام بن سليمان بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله، وفشا في الخاصة حديثهم فعوجلوا عن أمرهم ذلك، واغرى بهم السواد الأعظم فثاروا بهم وأزعجهم عن المدينة. وتقبض على هشام وأخيه أبي بكر، واحضرا بين يدي المهدي فضرب عنقيهما، ولحق سليمان ابن أخيهما الحكم بجنود البربر وزناته، وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة وتآمروا فبايعوه ولقبوه المستعين بالله، ونهضوا به إلى ثغر طليطلة فاستجاش بابن أذفونش. ثم نهض في جموع البرابرة والنصرانية إلى قرطبة، وبرز إليهم المهدي في كافة أهل البلد وخاصة الدولة، وكانت الدبرة عليهم، واستلحم منهم ما يزيد على عشرين ألفاً، وهلك من خيار الناس وأئمة المساجد وسدنتم ومؤذنيها عالم. ودخل المستعين قرطبة خاتم المائة الرابعة، ولحق ابن عبد الجبار بطليطلة.

رجوع المهدي إلى ملكه بقرطبة:

ولما استولى المستعين على قرطبة خالفه محمد بن هشام المهدي إلى طليطلة، واستجاش بابن أذفونش ثانية فنهض معه إلى قرطبة، وهزم المستعين والبرابرة بعقبة البقر من ظاهرها في آخر باب سبتة، ودخل المهدي قرطبة وملكها.

هزيمة المهدي وبيعته للمؤيد هشام ومقتله:

ولما دخل المهدي إلى قرطبة خرج المستعين إلى البرابرة، وتفرقوا في البسائط والقرى



فينهبون ويقتلون ولا يبقون على أحد. ثم ارتحلوا إلى الجزيرة الخضراء فخرج المهديّ وابن أدفونش، واتبعهم المستعين والبرابرة أثناء ذلك يحاصرونهم، حتى خشي الناس من اقتحام البرابرة عليهم فأغروا أهل القصر وحاجبه المدير بالمهدي، وإن الفتنة إنما جاءت من قبله، وتولّى كبير ذلك واضح العامري فقتلوا المهدي محمد بن هشام، واجتمعت الكافة على تجديد البيعة لهشام المؤيد ليعتصموا به من معزة البرابرة، وما يسومونهم به ملوكهم من سوء العذاب، وعاد هشام إلى خلافته وأقام واضح العامري لحجابه، وهو من موالى المنصور بن أبي عامر.

حصار قرطبة واقتحامها عنوة ومقتل هشام:

واستمر البرابرة على حصار قرطبة والمستعين بينهم ولم يفّر عن أهل قرطبة، تبعه هشام المؤيد، والبرابرة يترددون إليها ذاهبين وجائين بأنواع النهب والفتك، إلى أن هلكت القرى والبساتن، وعمت المرافق، وصافت أحوال أهل قرطبة وجهدهم الحصار. وبعث المستعين البرابرة إلى ابن أدفونش يستقدمونه لمظاهرتهم فبعث إليه هشام المؤيد، وحاجبه واضحاً يكفونه عن ذلك، بأن نزلوا له عن ثغور قشتالة التي كان المنصور اقتحمها فسكن عزمه، وسكن عن مظاهرتهم. ثم اتصل الحصار بمخنق البلد، وصدق البرابرة القتال فتتحموها عنوة سنة ثلاث وأربعمائه، وفتكوا بهشام المؤيد، ودخل المستعين. ولحق بأهل قرطبة من البرابرة في نسائهم ورجالهم وبناتهم وأبنائهم ومنازلهم. وظن المستعين أن قد استحکم أمره، وتوثبت البرابرة العبيد على الأعمال فولوا المدن العظيمة، وتقلدوا الأعمال الواسعة مثل باديس بن حبوس في غرناطة، ومحمد بن عبد الله البرزالي في قرمونة وابوثور بن ابي شبل \* بالأندلس، وصار الملك صوائف في آخرين من أهل الدولة، مثل ابن عباد باشيلية، وابن الأفطس ببطليوس وابن ذي النون بطليطلة، وابن ابي عامر ببلنسية ومرسية، وابن هود بسرقسطة، ومجاهد العامري بدانية والجزائر منذ عهد هذه الفتنة كما نذكر في أخبارهم.

ثورة ابن حمود واستيلاؤه وقومه علي ملك قرطبة:

ولما افترق شمل جماعة قرطبة وتغلب البرابرة على الأمر، وكان علي بن حمود وأخوه قاسم من عقب إدريس قد أجازوا معهم من العدو فدعوا لأنفسهم، وتعصب معهم الكثير من البربر، وملكوا قرطبة سنة سبع وأربعمائه، وقتلوا المستعين ومحووا ملك بني أمية. واتصل ذلك في خلق منهم سبع سنين. ثم رجع الملك في بني أمية، وفي ولد الناصر نحواً من سبع سنين. ثم خرج عنهم وافترق الأمر في رؤساء الدولة من العرب والموالي والبربر، واقتسموا الأندلس أممات ودولاً، وتلقبوا بألقاب الخلفاء كما نذكر ذلك كله مستوفى في أخبارهم.

عود الملك إلي بني أمية وأولاد المستظهر:

لما قطع أهل قرطبة دعوة المحموديين يعد سبع من ملكهم، وزحف إليهم قاسم بن حمود في جموع من البربر فهزمهم أهل قرطبة، ثم اجتمعوا واتفقوا على ردّ الأمر إلى بني أمية، واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار أخا المهدي، وبايعوه في رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائه، ولقبوه المستظهر. وقام بأمره المستكفي. ثم ثار على المستظهر لشهرين من خلافة محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر أمير المؤمنين. كان المنصور بن أبي عامر قتل أباه عبد الرحمن لسعيه في الخلاف فثار الآن محمد هذا وتبعه الغوغاء وفتك بالمستظهر واستقلّ بأمر قرطبة، وتلقب بالمستكفي.

عود الأمر إلى بني حمود:

وبعد ستة عشر شهراً من بيعة المستكفي رجع الأمر إلى يحيى ابن علي بن حمود، وهو المعتلي كما يذكر في أخبارهم، وفرّ المستكفي إلى ناحية الثغر ومات في مفرّه.

المعتمد من بني أمية:

ثم خلع أهل قرطبة المعتلي بن حمود ثانياً سنة سبع عشرة، وباع الوزير أبو محمد جهور ابن محمد بن جهور عميد الجماعة، وكبير قرطبة لهشام بن محمد أخي المرتضى، وكان بالثغر في لاردة عند ابن هود. ولما بلغه خبر البيعة له انتقل إلى البرنث، واستقرّ عند التغلب عليها محمد بن عبد الله بن قاسم، وكانت البيعة له انتقل سنة ثمان عشرة وأربعمائه، وتلقب المعتمد بالله، وأقام متردداً في الثغر ثلاثة أعوام، واشتدت الفتن بين رؤساء الطوائف، واتفقوا على أن ينزل دار الخلافة بقرطبة فاستقدمه ابن جهور والجماعة، ونزلها آخر سنة عشرين وأقام يسيراً. ثم خلع الجند سنة اثنتين وعشرين، وفر إلى لاردة فهلك بها سنة ثمان وعشرين، وانقطعت دولة الأموية والله غالب على أمره

بنو حمود

الخبر عن دولة بني حمود التي أدالت من دولة بني أمية

بالأندلس وأولية ملكهم وتصاريف أمورهم إلي آخرها

كان في جملة المستعين مع البربر والمغاربة أخوان من ولد عمر بن إدريس، وهما القاسم وعلي ابنا حمود بن ميمون بن أحمد بن عبيد الله بن عمر، كانوا في ليف البرابرة فكانت للبربر إليهم صاغية بسبب ذلك وخلطة. وبقي الفخر منهم بتاز غدره من غمارة فأجازوا مع البربر، وصاروا في جملة المستعين مع أمراء العدو من البربر فعقد لهما المستعين فيمن عقد له من المغاربة عقد لعلي منهما على طنجة وعملها، وللقاسم - وكان الأسن - على الجزيرة الخضراء. وكان في نفوس المغاربة والبرابرة تشيع لأولاد إدريس متوارث من دولتهم بالعدوة كما ذكرناه. واستقام أمر علي بن حمود، وتمكن سلطانه، واتصلت دولته عامين إلى أن قتله صقالبته بالحمام سنة ثمان

وأربعمائه، فولى مكانه أخوه القاسم بن حمود، وتلقب بالمأمون. ونازعه في الأمر بعد أربع سنين من خلافته يحيى ابن أخيه عليّ بسبته، وكان أمير الغرب ووليّ عهد أبيه فبعث إليه أشياعهم من البربر مالاّ مع جند الأندلس سنة عشرة، واحتل بمالقة، وكان أخوه إدريس بها منذ عهد أبيهما فبعث إلى سبته، ووصل إلى يحيى بن علي زاوى بن زيري من غرناطة، وهو عميد البرابرة ثانية يومئذ فزحف إلى قرطبة فملكها سنة اثنتي عشرة، وتلقب المعتلي، واستوزر أبا بكر بن ذكوان، وفرّ المأمون إلى إشبيلية، وباع له القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد. واستمال بعضا من البرابرة ثانية، واستجاشهم على ابن أخيه ورجع إلى قرطبة سنة ثلاث عشرة. ولحق المعتلي بمكانه من مالقة وتغلب أخوه على الجزيرة الخضراء عمل المأمون من لدن عهد المستعين، وتغلب أخوه إدريس على طنجة من وراء البحر، وكان المأمون يعتدها حصناً لنفسه وبنيه، ويستودع بها ذخيرته، وبلغ الخبر إلى قرطبة بتغلبه على قواعده وحصونه مع ما كان يتشدد على بني أمية فاضطرب أمر المأمون، وثار عليه أهل قرطبة ونقضوا طاعته، وبايعوا للمستظهر، ثم للمستكفي من بني أمية كما ذكرناه. وتحيز المأمون وبرابرتة إلى الأرياض فاعتصموا به، وقاتلوا دونه وحاصروا المدينة خمسين يوماً. ثم صمم أهل قرطبة لمدافعهم فأخرجوا عن الأرياض وانفضت جموعهم سنة عشرة. ولحق المأمون بإشبيلية وبها ابنه محمد، ومحمد بن زيري من رجالات البربر فأطمعه القاضي محمد بن إسماعيل بن عبّاد في الملك، وأن يمتنعوا من القاسم فمنعوه، وأخرجوا إليه ابنه وضبطوا بلدهم. ثم اشتد ابن عباد وأخرج محمد بن زيري، ولحق المأمون تحريش، ورجع عنه البربر إلى يحيى المعتلي ابن أخيه فبايعوه سنة خمس عشرة. وزحف إلى عمه المأمون بشريش فتغلب عليه، ولم يزل في حبسه سنة سبع وعشرين وأربعمائه، واستقل يحيى المعتلي بالأمور، واعتقل محمداً والحسن ابني عمه القاسم المأمون بالجزيرة، ووكل بهما أبا الحجاج من المغاربة، وأقاما كذلك. ثم خلع أهل قرطبة المستكفي، وصاروا إلى طاعة المعتلي، واستعمل عليهم عبد الرحمن بن عطاف اليفرني من رجالات البربر، وفر

المستكفي إلى ناحية الثغر فهلك بمدينة سالم. ثم نقض أهل قرطبة طاعة  
المعتلي سنة

سبع عشرة، وصرفوا عامله عليهم ابن عطاف وبايعوا للمعتمد أخي المرتضى. ثم خلعه كما ذكرنا في خبره، واستبد بأمر قرطبة الوزير ابن جهور بن محمد كما نذكره في أخبار ملوك الطوائف وأقام يحيى بن المعتلي يتخيفهم ويردد العساكر لحصارهم إلى أن اتفقت الكافة على إسلام المدائن والحصون له فلا سلطانه، واشتد أمره وظاهره محمد بن عبد الله البرزالي على أمره فنزل عنده بقرمونة يحاصر فيها ابن عباد باشيلية، إلى أن هلك سنة ست وعشرين بمداخلة ابن عباد للبرزالي في اغتياله فركب المعتلي لخيال أغارت على معسكره بقرمونة من جند ابن عباد، وقد أكمنا له فكبا به فرسه وقتل. وتولى قتله محمد بن عبد الله البرزالي، وانقطعت دولة بني حمود بقرطبة. وكان أحمد بن موسى بن بقية والخادم نجى الصقلي وزير دولة الحموديين عند أولها فرجعا إلى مالقة دار ملكهم، واستدعوا أخاه إدريس بن علي بن حمود من سبتة وطنجة وبايعوه على أن يولي سبتة حسن ابن أخيه يحيى فتم أمره بمالقة، وتلقب المتأيد بالله، وبايعه المرية وأعمالها ورندة والجزيرة، وعقد لحسن ابن أخيه يحيى على سبتة، ونهض معه نجى الخادم. وكان له ظهور على ملوك الطوائف، وكان أبوه القاسم بن عباد قد استفحل ملكه لذلك العهد، ومد يده إلى انتزاع البلاد من أيدي الثوار، وملك اشبونة وأستجة من يد محمد بن عبد الله البرزالي وبعث العساكر مع ابنه إسماعيل لحصار قزمونة فاستصرخ محمد بن عبد الله بالقائد هذا وبزاوي فجاء زاوي بنفسه، وبعث القائد هذا عساكره مع ابن بقية فكانت بينهم وبين ابن عباد حروب شديدة، هزم فيها ابن عباد وقتل، وحمل رأسه إلى إدريس المتأيد، وهلك ليرمين بعدها سنة إحدى وثلاثين وأربعمائه. واعتزم ابن بقية على بيعة ابنه يحيى الملقب حيون فأعجله عن ذلك نجى الخادم، وبادر إليه من سبتة، ومعه حسن بن يحيى المعتلي فبايعه البربر، ولقب المستنصر، وقتل ابن بقية، وفرّ يحيى بن إدريس إلى قمارش فهلك بها سنة أربع

وثلاثين، ويقال بل قتله نجى، ورجع نجى إلى سبتة ليحفظ ثغرها، ومعه ولد حسن بن يحيى صبيبا، وترك السطيفي على وزارة حسن لثقتة به، وبايعته غرناطة وجملة من بلاد الأندلس. وهلك حسن مسموماً بيد ابنة عمه إدريس، ثارت بأخيها حسن سنة ثمان وثلاثين فاعتقل السطيفي أخاه إدريس بن يحيى، وكتب إلى نجى وابن حسن المستنصر الذي كان عنده بسبتة ليعقد له. واغتاله نجى وأجاز إلى مالقة، ودعى لنفسه. ووافقه البربر والجند ثم نهض إلى الجزيرة ليستأصل حسناً ومحمداً ابني قاسم بن حمود، ورجع خاسئاً فاغتاله في طريقه بعض عبيد القاسم وقتلوه. وبلغ الخبر إلى مالقة فثارت العامة بالسطيفي، وقتل وأخرج إدريس بن يحيى المعتلى من معتقله، وبويع له سنة أربع وثلاثين، وأطاعته غرناطة وقرمونة وما بينهما ولقب العالي، وولى على سبتة سكوت ورزق الله من عبيد أبيه. ثم قتل محمداً وحسناً ابني عمه إدريس فثار السودان بدعوة أخيهما محمد بمالقة، وامتنعوا بالقصبة، وكانت العامة مع إدريس، ثم أسلموه. وبويع محمد بمالقة سنة ثمان وثلاثين وتلقب المهدي، وولى أخاه عهده ولقبه الساني. ثم نكر منه بعض النزعات ونفاه إلى العدو فأقام بين غمارة، ولحق العالي بقمارش فامتنع بها وأقام يحاصر مالقة، وزحف بإدريس من غرناطة منكرأ على المهدي فعله فامتنع عليه، فبايع له وانصرف وأقام المهدي في ملكه بمالقة، وأطاعته غرناطة وحيان وأعمالها إلى أن مات بمالقة سنة أربع وأربعين. وبويع إدريس المخلوع ابن يحيى المعتلي من مكانه بقمارش، وبويع له بمالقة، وأطلق ايدي عبيده عليها لحقده عليهم ففرّ كثير منهم إلى أن هلك سن سبع وأربعين، وبويع محمد الأصغر ابن إدريس المتأيد وتلقبه، وخطب له بمالقة والمربة ورندة. ثم سار إليه باديس فتغلب على مالقة سنة تسع وأربعين وأربعمائه، وسار محمد المستعلي إلى المربة مخلوعاً، واستدعاه أهل مليلة فأجاز إليهم وبايعوه سنة تسع وخمسين، وبايعه بنو ورقدي وقلوع جارة ونواحيها. وهلك سنة (1) وأربعمائه. وأما محمد بن القاسم المعتقل بمالقة ففرّ هو من ذلك الاعتقال سنة أربع عشرة، ولحق بالجزيرة الخضراء فملكها، وتلقب المعتصم إلى أن مات سنة أربعين. ثم

ملكها بعده ابنه القاسم الواثق إلى أن هلك سنة خمسين، وصارت الجزيرة  
للمعتضد بن عباد



وكان سكوت البرغواطي الحاجب مولى القاسم الواثق محمد بن المعتصم، ويقال مولى يحمى المعتلي واليا على سبته من قبلهم، فلما غلب ابن عباد على الجزيرة طلبه في الطاعة، وطلب هو ملك الجزيرة فامتعت عليه، واتصلت الفتنة بينهما إلى أن كان من أمر المرابطين وتغلبهم على سبته وعلى الأندلس ما سنذكره والبقاء لله وحده سبحانه وتعالى.

الخبر عن ملوك الطوائف بالأندلس بعد الدولة الأموية:

كان ابتداء أمرهم وتصاريق أحوالهم لما انتشر ملك الخلافة العربية بالأندلس، وافترق الجماعة بالجهات، وصار ملكها في طوائف من الموالي والوزراء وأب ص الخلافة وكبار العرب والبربر، واقتسموا خططها، وقام كل واحد بأمر ناحية منها. وتغلب بعض على بعض استقل أخيراً بأمرها ملوك منهم استفحل شأنهم، ولاذوا بالجزيرة للطاغية أو يظاهرون عليهم أو ينتزعونهم ملكهم، حتى أجاز إليهم يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، وغلبهم جميعاً على أمرهم فلنذكر أخبارهم واحداً بعد واحد.

بنو عباد

الخبر عن بني عباد ملوك إشبيلية وغربي

الأندلس وعمن تغلبوا عليه من أمراء الطوائف

كان أولهم القاضي أبو القاسم محمد بن ذي الوزارتين أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمر بن أسلم بن عمر بن عطف بن نعيم اللخمي، وعطف هو الداخل إلى الأندلس في طوابع لخم وأصلهم من جند حمص، ونزل عطف قرية طنشانة بشرق إشبيلية، ونسل بنيه بها. وكان محمد بن إسماعيل بن قريش صاحب الصلاة بطنشانة. ثم ولي ابنه إسماعيل الوزارة بإشبيلية سنة ثلاث عشرة وأربعمائه، وولي ابنه أبو القاسم القضاء بها والوزارة من سنة أربع عشرة وأربعمائه إلى أن هلك سنة ثلاث وثلاثين. وكان أصل رياسته أنه كان له اختصاص بالقاسم بن حمود وهو الذي أحكم عقد ولايته، وكان محمد بن زيري من أقبال البرابرة والياً

على إشبيلية، فلما فَرَّ القاسم من نرطبة، وقصده داخل بن عباد محمد بن زيري في غرناطة ا ففعل وطرردوا القاسم، وطرردوا بعده ابن زيري، وصار الأمر شورى بينه وبين أبي بكر الزبيدي معلم هشام، وصاحب مختصر العين في اللغة، ومحمد بن برمخ الألهاني. ثم استبد عليهم وجند الجند، ولم يزل على القضاء. ولما منع القاسم من إشبيلية عدل عنها إلى قرمونه ونزل على محمد بن عبد الله البرزالي، وكان ولي قرمونة أيام هشام والمهدي من بعده. ثم استبد بها سنة أربع وأربعمائه أزمان الفتنة فداخله ابن عباد في خلع القاسم والاستبداد بها. ثم تنصح للقاسم فتحول إلى شريش واستبد محمد بن البرزالي بقرمونة. واستبد أبو القاسم إلى أن هلك سنة ثلاث وثلاثين كما قلناه، وقام بأمره ابنه عباد وتلقب المعتضد، واستولى على سلطانه واشتدت حروبه وأيامه. وتناول طائفة من الممالك بعد بالأندلس وانفسح أمده وأول ما افتتح أمره بمداخلة محمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة في إفساد ما بينه وبين القاسم بن حمود حتى تحول عنه إلى شريش. ثم تحارب مع عبد الله بن الأفطس صاحب بطليوس، وغزاه ابنه إسمعيل في عساكره ومعه محمد بن عبد الله البرزالي فلقبه المظفر بن الأفطس فهزمهما، وأسر المظفر بن البرزالي إلى أن أطلقه بعد حين. ثم فسد ما بينه وبين البرزالي واتصلت الفتنة بينهما إلى أن قتله ابنه إسمعيل، خرج إليه في سرية فأغار على قرمونة، وأكمن الكمائن فركب محمد البرزالي في أصحابه، واستطرد له إسمعيل إلى أن بلغ به الكمين فخرجوا عليه فقتلوه، وذلك سنة أربع وثلاثين. ثم خالف عليه ابنه إسمعيل، وأغراه العبيد والبرابرة بالملك فأخذ ما قدر عليه من المال والذخيرة، وفر إلى جهة الجزيرة للتوثب بها، وكان أبوه ليلتئذ بحصن الفرج فأنفذ الخيالة في طلبه فمال إلى قلعة الورد فتقبض واليها عليه، وأنفذه إلى أبيه فقتله وقتل كاتبه، وكل من كان معه. ثم رجع إلى مطالبة البربر المتزين بالثغور، وأول من نذكر منهم صاحب قرمونة وكان بها المستظهر العزيز بن محمد بن عبد الله البرزالي، وليها بعد أبيه كما ذكرناه. وكانت له معها أستجة والمروز، وكان نموز ورواركش للوزير نوح الرموي من برابرة العدو وشيعة المنصور،

واستبَدَّ بها سنة أربع، ومات سنة ثلاث وثلاثين. وولي ابنه عز الدولة الحاجب  
أبو مياد محمد بن نوح ومات سنة (1).

وكان يزيد أبو ثور بن أبي قُرّة اليفرني استبَدَّ بها أيام الفتنة سنة خمسين، من يد عامر بن فتوح من صنائع العلويين، ولم يزل المعتضد يضايقه، واستدعاه بعض الأيام لولاية فحبسه وكاده في ابنه بكتاب على لسان جاريته برندة أنه ارتكب منها محرماً، ثم أطلقه فقتل ابنه وشعر بالمكيدة فمات أسفاً سنة خمسين، وولي ابنه أبو نصر إلى أن غدر به في الحصن بعض أجناده فسقط من السور، ومات سنة تسع وخمسين. وكان بشريش خزرون بن عبدون ثار بها سنة اثنتين وأربعمائه فتقبض عليه ابن عباد وطالبهم، وطاف على حصونهم وصار يهاديهم، وأسجل لهم بالبلاد التي بأيديهم فاسجل لابن نوح باركش، ولابن خزرون بشريش، ولابن أبي قُرّة برندة؟ وصاروا في حزبه ووثقوا به. ثم استدعاهم لوليمة وغدر بهم في حمام استعمله لهم على سبيل الكرامة، وأطبقه عليهم فهلكوا جميعاً إلا ابن نوح فإنه سالمه من بينهم لليد التي كانت له عنده في مثلها. ثم بعث من تسلم معاقلهم وصارت في أعماله. وخرج باديس لطلب ثأرهم منه، واجتمعت إليه عشائره فنازلوه مدة ثم انصرفوا، وأجازوا إلى العدو فاحتلوا بسبته وطردهم سكوت فهلكوا في المجاعة التي صادفوا وأحلوا بالمغرب لذلك العهد. واستقل ابن عباد، وكان بأونية وشلطليش عبد العزيز البكري، وكانت عساكر المعتضد ابن عباد تحاصره فشجع فيه ابن جهور للمعتضد فسالمه مدة. ثم هلك ابن جهور فعاد إلى مطالبته إلى أن تخلى له عنها سنة ثلاث وأربعين فولى عليها ابنه المعتمد. ثم سار إلى شلب وبها المظفر أبو الأصغ عيسى بن القاضي أبي بكر محمد بن سيد بن مزين ثار بها سنة تسع عشرة، ومات سنة اثنتين وأربعين فسار إليها المعتضد وملكها من يد ابنه، ونقل إليها المعتمد فنزلها واتخذها دار إماره. ثم سار إلى شنت بريه، وبها المعتصم محمد بن سعيد بن هارون فانخلع له عنها سنة تسع وثلاثين، وأضافها للمعتمد. وكان بلبله تاج الدين أبو العباس أحمد بن يحيى التحصيني ثار بها سنة أربع عشرة، وخطب له بأونية وشلطليش، ومات سنة ثلاث وثلاثين، وأوصى إلى أخيه محمد، وضايقه المعتضد فهرب إلى قرطبة واستبد بها ابن أخيه فتح بن خلف بن يحيى. وانخلع للمعتضد سنة خمس وأربعين وصارت هذه كلها من ممالك بني عباد. وتملك المعتضد أيضاً

مرسية، وثار بها عليه ابن رشيق البناء، وتسمى خاصة الدولة، وبقي ثمان سنين. ثم ثاروا عليه سنة خمس وخمسين ورجعوا لابن عباد. وتملك المعتضد مرثلة من يد ابن طيفور سنة ست وثلاثين، وكان

تملكها من يد عيسى بن نسب الجيش الثائر بها، وصارت هذه الممالك كلها في ملك ابن عباد، وكانت بينه وبين باديس ابن حبوس صاحب غرناطة حروب إلى أن هلك سنة إحدى وستين وولي من بعده ابنه المعتمد بن المعتضد بن إسماعيل أبو القاسم بن عباد، وجرى على سنن أبيه، واستولى على دار الخلافة قرطبة من يد ابن جهور، وفرّق أبناءه على قواعد الملك، أنزلهم بها، واستفحل ملكه بغرب الأندلس، وعلت يده على من كان هنالك من ملوك الطوائف، مثل ابن باديس بن حبوس بغرناطة، وابن الأفطس ببطليوس، وابن صمادح بالمرية وغيرهم. وكانوا يطلبون سلمه ويعملون في مرضاته وكلهم يدارون الطاغية ويتقون بالجزى إلى أن ظهر بالعدوة ملك المرابطين، واستفحل أمر يوسف بن تاشفين، وتعلقت آمال المسلمين في الأندلس بإعانتهم، وضايقهم الطاغية في طلب الجزية فقتل ابن عباد ثقته اليهودي الذي كان يتردد إليه لأخذ الجزية، بسبب كلمة أسف بها. ثم أجاز البحر صريخاً إلى يوسف بن تاشفين، وكان من إجازته إليه، ومظاهرتة إياه ما يأتي ذكره في أخباره. ثم طلب الفقهاء بالأندلس من يوسف بن تاشفين، رفع المكوس والظلمات عنهم، فتقدم بذلك إلى ملوك الطوائف فأجازوه بالامتسك، حتى إذا رجع من بلادهم رجعوا إلى حالهم، وهو خلال ذلك يردّ العساكر للجهاد. ثم أجاز إليهم وخلع جميعهم، ونقلهم إلى العدو، واستولى على الأندلس كما يأتي ذكره في أخباره. وصار ابن عباد في قبضة حكمه بعد حروب نذكرها. ونقله إلى أعماق قرية مراکش سنة أربع وثمانين وأربعمائة، واعتقله هنالك إلى أن هلك سنة ثمان وثمانين. وكانت بالأندلس ثغور أخرى دون هذه، ولم يستول عليها ابن عباد، فمنها بلد السهلة استبد بها هذيل بن خلف بن رزين أول المائة الخامسة بدعوة هشام، تسمى مؤيد الدولة. وهلك شهيداً سنة خمسين وأربعمائة، وملك بعده أخوه حسام الدولة عبد الملك بن خلف. ولم يزل أميراً عليها إلى أن ملكها المرابطون من يده عند تغلبهم على الأندلس. ومنها بلد البونت واللج تغلب عليها عبد الله بن قاسم الفهري، أزمان الفتنة، وتسمى نظام الدولة وهو الذي كان المعتمد عنده عندما ولاه الجماعة بقرطبة ومن عنده جاء إليها، وهلك سنة إحدى وعشرين وولي ابنه محمد يمين الدولة،

وكانت بينه وبين مجاهد حروب. وملك بعده إبنه أحمد عقد الدولة، وهلك سنة أربعين. وملك أخوه عبد الله جناح الدولة، إلى أن خلعه المرابطون سنة خمس وثمانين. ولترجع إلى ذكر بقية الملوك الأكبر من الطوائف، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

أخبار ابن جهور:

كان رئيس الجماعة أيام الفتنة بقرطبة أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور ابن عبد الله بن محمد بن المعمر بن يحيى بن أبي المغافر بن أبي عبيدة الكلبي، هكذا نسبه ابن بشكوال. وأبو عبيدة هو الداخل إلى الأندلس، وكانت لهم وزارة الدولة العامرية بقرطبة، واستبد جهور هذا سنة إثنين وعشرين وأربعمائه، لما خلع الجند المعتز آخر خلفاء بني أمية، ولم يدخل في أمور الفتنة، فاستولى على المملكة ورتب الأمور، ولم يتحول عن داره إلى قصر الخلافة. وكان على سنن أهل الفضل، يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويؤذن عند مسجدهم بالربض الشرقي، ويصلي التراويح ولا يحتجب عن الناس فأسندوا أمرهم إليه إلى أن يوجد خليفة إلى أن خاطبهم محمد بن إسماعيل بن عباد يعرفهم أن هشاماً المؤيد عنده بإشبيلية، وأكثر في ذلك فخطب له بقرطبة بعد مراوضات. ثم أتى به إلى قرطبة فمنعوه الدخول وأضربوا عن ذكره في الخطبة، وانفرد ابن جهور بأمرهم إلى أن هلك في محرم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ودفن بداره وولي إبنه أبو الوليد محمد بن جهور باتفاق من الكافة فجرى على سنن أبيه. وكان قد قرأ على مكى ابن أبي طالب المكى وغيره فكان مكرماً لأهله. واستوزر ثقته إبراهيم بن يحيى فكفاه، وهلك كما هو معروف ففوض التدبير إلى إبنه عبد الملك فأساء السيرة، وتكره إلى الناس. وحاصره ابن ذي النون بقرطبة فاستغاث بمحمد بن عباد فأمدّه بالجيش، ووصى عسكره بذلك فدخلوا أهل قرطبة، وخلعوه سنة إحدى وستين وأخرجوه عن قرطبة. واعتقل بشلطليس إلى أن هلك سنة إثنين وسبعين. وولى ابن عباد على قرطبة إبنه سراج الدولة، وقدمها من بلنسية ودخلها إلى

أن قتل بها مسموماً، وحمل إلى طليطلة فدفن بها. وزحف المعتمد بن عباد بعد مهلكه إلى قرطبة فملكها سنة تسع وستين. وقتل ابن عكاشة واستخلف ابنه المأمون الفتح بن محمد، وصار غرب الأندلس كله في ملكه إلى أن دخل المرابطون الأندلس، وغلبوا عليهم سنة أربع وثمانين وأربعمائة فقتل الفتح وحمل أباه المعتمد إلى أغمات كما ذكرناه ونذكره. والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

أخبار ابن الأفتس صاحب بطليوس من غرب الأندلس ومصاير أمره:

ملك بطليوس من غرب الأندلس عند الفتنة واهتياجها أبو محمد عبد الله بن مسلمة التجيبي المعروف بابن الأفتس، واستبد بها سنة إحدى وستين وأربعمائة فهلك، وولي من بعده ابنه المظفر أبو بكر، واستفحل ملكه، وكان من أعظم ملوك الطوائف. وكانت بينه وبين ابن ذي النون حروب مذكورة، وكذا مع ابن عباد بسبب ابن يحيى صاحب مليلة، أعانه ابن عباد عليه فاستولى بسبب ذلك على كثير من ثغوره ومعاقله. واعتصم المظفر ببطليوس بعد هزيمتين هلك فيهما خلق كثير، وذلك سنة ثلاث وأربعين. ثم أصلح بينهما ابن جهور، وهلك المظفر سنة ستين وأربعمائة. وتولى بعده ابنه المتوكل أبو حفص عمر بن محمد المعروف بساجه، ولم يزل سلطاناً بها إلى أن قتله يوسف بن تاشفين أمير المرابطين سنة تسع وثمانين وأربعمائة، وقتل معه أولاده. أغراه به ابن عباد فلما تمكنت الاسترابة من المتوكل، خاطب الطاغية واستراح إليه مما دهمه. وشعر به ابن عباد فكاتب يوسف بن تاشفين واستحثه لمعاجلته قبل أن يتصل بالطاغية، ويتصل بالثغر فأغذ إليه السير ووافاه سنة (1) فقبض عليه، وعلى بنيه وقتلهم يوم الأضحى حسبما نذكر في أخبارهم. ورثاه ابن عبدون بقصيدته المشهورة وهي:

فما البكاء على الأشباح

# الدهر يفجع بعد العين بالأثر

والصور



عدد فيها أهل النكبات ومن عثر به الزمان بما يبكي الجماد، وسنذكر قصتهم في أخبار لمتونة وفتحهم الأندلس، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

أخبار باديس بن حسون ملك غرناطة والبيرة:

كان عميد صنهاجة في الفتنة البربرية زاوي بن زيري بن مناد. أجاز إلى الأندلس على عهد المنصور، فلما هاجت الفتنة البربرية، وانحل نظام الخلافة، كان فحل ذلك الشول، وكبش تلك الكتائب، وعمد إلى البيرة، ونزل غرناطة، واتخذها داراً لملكه. ولما باع الموالي العامريون للمرتضى المرواني، وتولّى كبير ذلك مجاهد العامري، ومنذر بن يحيى بن هاشم التجيبي، وعمد إلى غرناطة فلقبهم زاوي بن زيري في جموع صنهاجة، وهزمهم سنة عشرين وأربعمائه، وقتل المرتضى. وأصاب زاوي من ذخائرهم وأموالهم وعددهم ما لم يقنته ملك. ثم وقع في نفسه سوء آثار البربر بالأندلس أيام هذه الفتنة، وحدّر مغبة ذلك فارتحل إلى سلطان قومه بالقيروان، واستخلف على غرناطة ابنه فدبّر القبض على ابن رصين ومشيخة غرناطة إذا رجعوا عن أبيه، وشعروا بذلك فبعثوا إلى ابن أخيه ماكس بن زيري من بعض الحصون فوصل، وملك غرناطة واستبد بها إلى أن هلك سنة تسع وعشرين وأربعمائة ووليّ ابنه باديس، وكانت بينه وبين ذي النون وابن عبّاد حروب. واستولى على سلطانه كاتبه وكاتب أبيه إسماعيل بن نعزلة الذمّي. ثم نكبه وقتله سنة تسع وخمسين، وقتل معه خلقاً من اليهود. وتوفي سنة سبع وستين وأربعمائة وولي حافده المظفر أبو محمد عبد الله بن بلكين بن باديس، وولّى أخاه تميماً بمالقة بعهدده جده. وخلعهما المرابطون سنة ثلاث وثمانين وأربعمائه، وحملوا إلى أعماط ووريكة، واستقرّوا هنالك حسبما يذكر بعد في أخبارهم مع يوسف بن تاشفين، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

الخبر عن بني زي النون ملوك طليطلة من الثغر

الجوفي وتصاريح أمورهم ومصاير أحوالهم:

جدهم إسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون، أصله  
من قبائل هوارة،

ورأس سلفه في الدولة المروانية. وكانت لهم رياسة في شنترية. ثم تغلب على حصن أفلنتين أزمان الفتنة سنة تسع وأربعمائه. وكانت طليطلة ليعيش بن محمد بن يعيش، واليه منذ أول الفتنة فلما هلك سنة سبع وعشرين، استدعاه إسمعيل الظافر من حصن أفلنتين مع بعض أجناد طليطلة فمضى إليها، وملكها. وامتد ملكه إلى جنجاله من عمل مرسية ولم يزل أميراً بها إلى أن هلك سنة تسع وعشرين. وولي ابنه المأمون أبو الحسن يحيى، واستفحل ملكه وعظم بين ملوك الطوائف سلطانه، وكانت بينه وبين الطاغية مواقف مشهورة. وفي سنة خمس وثلاثين غزى بلنسية وغلب على صاحبها المظفر ذي السابقين من ولد المنصور بن أبي عامر. ثم غلب على قرطبة وملكها من يد ابن عبّاد، وقتل ابنه أبا عمر بعد أن كان ملكها وهلك الظافر بها مسموماً سنة سبع وستين كما ذكرناه. وولي بعده على طليطلة حافده القادر يحيى بن إسمعيل بن المأمون يحيى بن ذي النون، وكان الطاغية ابن أدفونش قد استفحل أمره لما خلا الجو من مكان الدولة الخلافية، وخفّ ما كان على كاهله من أمره العرب فألتهم البسائط، وضايق ابن ذي النون حتى غلب على طليطلة فخرج له القادر عنها سنة ثمان وسبعين وأربعمائه، وشرط عليه أن يظاهره على أخذ بلنسية، وعليها عثمان القاضي بن أبي بكر بن عبد العزيز، من وزراء ابن أبي عامر فخلعه أهلها خوفاً من القادر أن يمكن منهم ألفنش فدخلها القادر، وأقام بها سنتين، وقتل سنة إحدى وثمانين على ما نذكر بعد إن شاء الله تعالى.

الخبر عن أبي عامر صاحب شرق الأندلس من بني ملوك الطوائف وأخبار الموالي العامريين الذين كانوا قبله وابن صمادح قائده بالمرية وتصاريف أحوالهم ومصايرها:

بوع للمنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر بن أبي عامر بشاطبة سنة إحدى عشرة وأربعمائه، أقامه الموالي العامريون عند الفتنة البربرية فاستبدّ بها. ثم ثار عليه أهل شاطبة فأفلت، ولحق ببلنسية فملكها وفوّض أمره للموالي. وكان من وزرائه ابن

عبد العزيز وكان خيران العامريّ من مواليهم، تغلّب من قبل ذلك على أربولة سنة أربع. ثم ملك مرسية سنة سبع، ثم حيّان ثم المرية سنة تسع، وبايعوا جميعاً للمنصور عبد العزيز. ثم انتفض خيران على المنصور، وسار من المرية إلى مرسية، وأقام بها ابن عمّه أبا عامر محمد بن المظفر بن المنصور بن أبي عامر، خرج إليه من قرطبة من حجر القاسم بن حمود، وخلص إلى خيران بأموال جليلة، فجمع الموالي فأخذوا ماله وطرده. ثم ولّاه خيران وسمّاه المؤتمن ثم المعتصم. ثم تنكّر عليه وأخرجه من مرسية ولحق بالمرية وأغرى به الموالي فأخذوا ماله وطرده، ولحق بغرب الأندلس إلى أن مات. ثم هلك خيران بالمرية سنة تسع عشرة، وقام بالأمر بعده الأمير عميد الدولة أبو قاسم زهير العامريّ، وزحف إلى غرناطة فبرز إليه باديس بن جبّوس وهزمه، وقتل بظاهرها سنة تسع وعشرين فصار ملكه للمنصور عبد العزيز صاحب بلنسية، وملكها من يده سنة سبع وخمسين. ولما هلك المأمون بن ذي النون وولى حافده القادر، ولى على بلنسية أبا بكر بن عبد العزيز بقية وزراء ابن أبي عامر، فدخله ابن هود في الانتقاض على القدر ففعل واستبّد بها، وضبطها سنة ثمان وستين حين تغلّب المقتدر على دانية. ثم هلك سنة ثمان وسبعين لعشر سنين من ولايته. وولي إبنه القاضي عثمان فلما سلم القادر بن ذي النون طليطلة زحف إلى بلنسية ومعه ألفنش كما قلناه، وخلع أهل بلنسية عثمان بن أبي بكر، وأمکنوا منها القادر خوفاً من استيلاء النصرانيّ وذلك سنة ثمان وسبعين وأربعمائه. ثم ثار القادر سنة ثلاث وثمانين القاضي جعفر بن عبد الله بن حجاب، وقتله واستبّد بها. ثم تغلّب النصارى عليها سنة تسع وثمانين وقتلوه. ثم تغلّب المرابطون على الأندلس، وزحف ابن ذي النون قائدهم إلى بلنسية فاسترجعها من أيديهم سنة خمس وتسعين وأربعمائه. وأمّا معن بن صالح قائد الوزير ابن أبي عامر فأقام بالمرية لما ولّاه المنصور سنة ثمان وثمانين، وتسمّى ذا الوزارتين. ثم خلعه وولى ابنه المعتصم أبو يحيى محمد بن معن بن صُمادح، واستبّد بها أربعاً وأربعين سنة، وثار عليه صاحب لورقة ابن شبيب، وكان أبوه معزولاً عليها فجّهز إليه المعتصم جيشاً، واستمد ابن شبيب المنصور بن أبي عامر صاحب بلنسية ومرسية بالعدوّ، واستمدّ

المعتصم بباديس، ونهض عمّه صُمّادح بن باديس بن صمادح فقاتلوا حصوناً  
من حصون لورقة، واستولوا عليها، ورجعوا ولم يزل المعتصم أميراً بالمرية  
إلى أن هلك سنة ثمانين وولي ابنه، وخلعه يوسف بن تاشفين أمير

المرابطين سنة أربع وثمانين، وأجاز إلى العدو ونزل على آل حمّاد بالقلعة، وبها مات ولده، والله وارث الأرض ومن عليها.

بنو هود

الخبر عن بني هود ملوك سرقسطة من الطوائف صارت

إليهم من بني هاشم وما كان من أوليتهم ومصاير أموالهم:

كان منذر بن مطرف بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن هاشم التجيبي صاحب الثغر الأعلى، وكان بين المنصور وعبد الرحمن منافسة على الإمارة والرياسة، وكانت دار إمارته سرقسطة ولما بوع المهدي بن عبد الجبّار، وانقرض أمر العامريين، وجاءت فتنة البربر كان مع المستعين حتى قتل هشام مولاه فامتعض لذلك، وفارقه وباع المرواني للمرتضى مع مجاهد، ومن اجتمع إليه من الموالي والعامريين، وزحفوا إلى غرناطة فلقبهم زاوي بن زيري وهزمهم. ثم ارتابوا بالمرتضى ووضعوا عليه من قتله مع خيران بالمرية، واستبدّ منذر هذا بسرقسطة والثغر وتلقّب بالمنصور، وعقدها بين طاغية جليقة وبرشلونة وبنيه، وهلك سنة أربع عشرة، ووليّ ابنه وتقلب المظفر. وكان أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي من أهل نسبهم مستبدّاً بمدينة تطيلة، ولأها منذ أوّل الفتنة، وجدّهم هود هو الداخل للأندلس، ونسبه الأزدي إلى سالم مولى أبي حذيفة. قال هود بن عبد الله بن موسى بن سالم: وقيل هود من ولد روح بن زباغ فتغلّب سليمان على المظفر يحيى بن المنذر، وقتله سنة إحدى وثلاثين، وملك سرقسطة والثغر الأعلى، وإبنه يوسف المظفر لاردة. ثم نشأت الفتنة بينهما، وانتصر المقتدر بالإفرنج والبشكنس فجاءوا لميعاده فوعدت الفتنة بين المسلمين وبينهم ثائرة، وانصرفوا إلى يوسف صاحب لاردة فحاصرها بسرقسطة، وذلك سنة ثلاث وأربعين. وهلك أحمد المقتدر سنة أربع وسبعين لتسع وثلاثين سنة من ملكه فولي بعده إبنه يوسف المؤمن، وكان قائماً على العلوم الرياضية، وله فيها تأليف مثل الاستهلال والمناظر ومات سنة ثمان وسبعين، وهي السنة التي استولى فيها النصارى على طليطلة من يد القادر بن ذي النون. وولي بعده المستعين، وعلى يده كانت وقعة وشقة، زحف سنة تسع وثمانين

في آلف لا تحصى من المسلمين، وهلك فيهما خلق نحو عشرة آلف، ولم  
يزل أميراً بسرقسطة إلى أن هلك شهيداً سنة ثلاث وخمسمائة

بظاهر سرقسطة في زحف الطاغية إليها. وولي بعده ابنه عبد الملك، وتلقب عماد الدولة، وأخرجه الطاغية من سرقسطة سنة اثنتي عشرة فنزل روطة من حصونها وأقام بها إلى أن هلك سنة ثلاث عشرة. وولي ابنه أحمد، وتلقب سيف والمستنصر، وبالغ النكاية في الطاغية ثم سلم له روطة على أن يملكه بلاد الأندلس فانتقل معه إلى طليطلة بحشمه وآلته، وهناك هلك سنة ست وثلاثين وخمسمائة. وكان من ممالك بني هود هؤلاء مدينة طرطوشة، وقد كان بقايا من الموالي العامريين فملكها سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائه. ثم هلك سنة خمس وأربعين وملكها بعده يعلى العامري، ولم تطل مدته. وملكها بعده شبيل إلى أن نزل عنها لعماد الدولة أحمد بن المستعين سنة ثلاث وخمسين، فلم تزل في يده وفي يد بنيه من بعده إلى أن غلب عليها العدو فيما غلب عليه من شرق الأندلس. والله وارث الأرض ومن عليهما وهو خير الوارثين.

الخبر عن مجاهد العامري صاحب دانية والجزائر الشرقية

وأخبار بنية ومواليهم من بعدهم ومصائر أمورهم

كان فتح ميورقة سنة تسعين ومائتين على يد عصام الخولاني، وذلك أنه خرج حاجا في

سفينة اتخذها لنفسه فعصفت بهم الريح فأرسلوا بجزيرة ميورقة، وطال مقامهم هنالك، واختبروا من أحوالهم ما أطمعهم في فتحها فلما رجع بعد فرضه أخبر الأمير بما رأى فيها، وكان من أهل الغناء عنده في مثلها فبعث معه القطائع في البحر. ونفر الناس معه إلى الجهاد فحاصرها أياما وفتحوها حصناً حصناً إلى أن كمل فتحها. وكتب عصام بالفتح إلى الأمير عبد الله فكتب له بولايتها فوليتها فوليها عشر سنين، وبنى فيها المساجد والفنادق والحمامات. ولما هلك قدم أهل الجزيرة عليهم ابنه عبد الله، وكتب له الأمير بالولاية. ثم زهد وترهب وركب إلى الشرق حاجا وانقطع خبره، وذلك سنة خمسين وثلاثمائة. وبعث الناصر المرواني إليها الموفق من



الموالي فأنشأ الأساطيل وغزا بلاد الإفرنج، وهلك سنة تسع وخمسين أيام الحكم المستنصر، وولي بعده كوثر من مواليه فجرى على سنن الموفق في جهاده. وهلك سنة تسع وثمانين أيام المنصور فولّي عليها مقاتل من مواليه، وكان كثير الغزو والجهاد. وكان المنصور وابنه المؤيد يمدّانه في جهاده. وهلك سنة ثلاث وأربعمائة أزمان الفتنة. وكان مجاهد بن يوسف بن عليّ من فحول الموالي العامريين. وكان المنصور قد ربّاه وعلمه مع مواليه القرآت والحديث والعربية فكان مجيداً في ذلك. وخرج من قرطبة يوم قتل المهدي سنة أربعمائة، وباع هو والموالي العامريين وكثير من جند الأندلس للمرتضى كما قدّمناه. ولقيهم زاوي بفحص غرناطة فهزمهم وبددّ شملهم. ثم قتل المرتضى كما تقدّم، وسار مجاهد إلى طرطوشة فملكها. ثم تركها وانتقل إلى دانية واستقلّ بها، وملك ميورقة ومنورقة ويابسة واستبدّ سنة ثلاث عشرة. ونصّب العيطي كما مر فأراد الاستبداد، ومنع طاعة مجاهد، ومنعه أهل ميورقة من ذلك فبعث عنه، مجاهد، وقدّم على ميورقة عبد الله ابن أخيه فولّي خمس عشرة سنة. ثم هلك وكان غزا سردانية في الأساطيل فاقتحمها وأخرج النصارى منها، وتقبضوا على ابنه أسيراً ففدّاه بعد حين، وولّي مجاهد على ميورقة بعد ابن أخيه مولاه الأغلب سنة ثمان وعشرين وكان بين مجاهد صاحب دانية وبين خيران صاحب مرسية وابن أبي عامر صاحب بلنسية حروب إلى أن هلك مجاهد سنة ست وثلاثين. وولي ابنه عليّ وتسمى إقبال الدولة، وأصهر إلى المقتدر بن هود، وأخرجه من دانية سنة ثمان وستين ونقله إلى سرقسطة، ولحق ابنه سراج الدولة بالإفرنجة، وأمدّوه على شروط شرطها لهم فتغلب على بعض حصونه. ثم مات فيما زعموا مسموماً بحيلة من المقتدر سنة تسع. ومات عليّ قريباً من وفاة المقتدر سنة أربع وسبعين. ويقال بل فرّ أمام المقتدر إلى بجاية، ونزل على صاحبها يحيى بن حمّاد، ومات هنالك. وأمّا الأغلب مولى مجاهد صاحب ميورقة فكان صاحب غزو وجهاد في البحر. ولما هلك مجاهد استأذن ابنه عليّاً في الزيارة فأذن له، وقدم على الجزيرة صهره ابن سليمان بن مشكيان نائباً عنه. وبعث على آل الأغلب فاستعفاه وأقام سليمان خمس سنين. ثم مات فولّي على مكانه مبشراً وتسمى ناصر الدولة وكان أصله

من شرق الأندلس أسر صغيراً وَّجَّبه العدو وأقام بدانية محبوباً يجاهد في  
أسرى دانية وسردانية، واصطفاه فولاًه بعد مهلك سليمان فولى خمس  
سنين، وانقرض ملك علي، وتغلَّب عليه المقتدر بن هود

فاستبد مبشر بميورقة، والفتنة يومئذ تموج بين ملوك الطوائف. وبعث إلى دانية في تسليم أهل سيده فبعثوا إليه بهم، وأولادهم جميلاً ولم يزل يرّد الغزو إلى أرض العدو إلى أن جمع طاغية برشلونة الجموع، ونازله بميورقة عشرة أشهر. ثم افتتحها واستباحها \* سنة من ولايته. وكان بعث بالصريخ إلى عليّ بن يوسف صاحب المغرب من لمتونة فلم يوافقهم الأسطول بالمدد إلا بعد استيلاء العدو. فلما وصل الأسطول دفعوا العدو عنها وولّى علي بن يوسف من قبله أنور بن أبي بكر اللمتوني فعسف بهم، وأرادهم على بناء مدينة أخرى بعيدة من البحر فثاروا به وصدوه. وبعثوا إلى علي بن يوسف فردهم إلى ولاية محمد بن عليّ بن إسحق بن غانية المستولي صاحب غرب الأندلس فبعث إليها أخاه محمد بن علي من قرطبة، كان والياً عليها فوصل إلى ميورقة فصفد أنور، وبعث به إلى مراكش، وأقام في ولايتها عشر سنين إلى أن هلك أخوه يحيى وسلطانهم عليّ بن يوسف. واستقرّت ميورقة في ملك بني غانية هؤلاء وسلطانهم. وكانت لهم في زمن عليّ بن يوسف بها دولة. وخرج منها علي ويحيى إلى بجاية وملكوها من الموحّدين، وكانت لهم معهم حروب بإفريقية كما نذكر في أخبارهم بعد أخبار لمتونة. وملك الأفرنج ميورقة من أيدي الموحّدين آخر دولتهم. والبقاء لله والملك يؤتبه من يشاء، وهو العزيز الحكيم.

الخبر عن ثوار الأندلس آخر الدولة اللمتونية واستبداد بني مردنيس ببلنسية ومزاحمتهم لدولة بني عبد المؤمن من أولها إلى آخرها ومصائر أحوالهم وتصاريقهم :

لما شغل لمتونة بالعدوّ، وبحرب الموحّدين بعد عليهم الأندلس، وعادت إلى الفرقة بعض الشيء فثار ببلنسية سنة سبع وثلاثين وخمسمائة القاضي مروان بن عبد الله بن مروان ابن حضاب، وخلعوه لثلاثة أشهر من ملكه، ونزل بالمرية. ثم حمل إلى ابن غانية بميورقة فسجن بها، وثار بمرسية أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن ظاهر.

ثم خلع، وقتل لأربعة أشهر من ولايته، وولي حافد المستعين بن هود شهرين. ثم ولي ابن عياض، وبايع أهل بلنسية بعد ابن حضاب للأمير أبي محمد عبد الله بن سعيد بن مردنيش الجذامي. وأقام مجاهداً إلى أن استشهد في بعض أيامه مع النصارى سنة أربع وخمسمائة، فبوع لعبد الله بن عياض كان ثائراً بمرسية كما قدمناه. وهلك سنة إثنين وأربعين فبوع إلى ابن أخيه محمد بن أحمد بن سعيد بن مردنيش، وملك شاطبة ومدينة شقر ومرسية. وكان إبراهيم ابن همشك من قواده فعبث في أقطار الأندلس وأغار على قرطبة وتملك بها. ثم استرجعت منه. ثم غدر بغرناطة وملكها من أيدي الموحدين وحصرهم بالقصبة هو وابن مردنيش. ثم استخلصها عبد المؤمن من أيديهم بعد حروب شديدة دارت بينهم بفحص غرناطة، لقيه فيها ابن همشك وابن مردنيش وجيوش من أمم النصرانية استعانوا بهم في المدافعة عن غرناطة فهزمهم عبد المؤمن، وقتلهم أبرح قتل. وحاصر يوسف بلنسية فخطب للخليفة العباسي المستنجد، وكاتبه فكتب له بالعهد والولاية. ثم بايع للموحدين سنة ست وستين. وكان المظفر عيسى بن المنصور بن عبد العزيز الناصر بن أبي عامر عندما انصرف إلى ملك شاطبة ومرسية تغلب على بلنسية مدة. ثم هلك سنة خمس وخمسين وخمسمائة، ورجعت إلى ابن مردنيش وكان أحمد بن عيسى تغلب على حصن مزيلة، ثائراً بالمرابطين من أتباعه فغلب منذر بن أبي وزير عليه، فأجاز سنة أربعين وخمسمائة إلى عبد المؤمن، ورغبه في ملك الأندلس فبعث معه البعوث، وتغلبوا على بني غانية أمراء المرابطين بالأندلس وكان بميورقة أيضاً منذ اضطراب أمر لمتونة محمد بن علي بن غانية المستوفي، وليها سنة عشرين وخمسمائة، واستشهد بها. ورحل عنها سنة سبع وثلاثين إلى زيارة أخيه يحيى بلنسية. واستخلف على ميورقة عبد الله بن تيماء فلما مكث ثار عليه ثوار فرجع محمد بن غانية، وأصلح شأنها إلى أن هلك سنة سبع وستين وولي ابنه إبراهيم أبو إسحق، وتوفي سنة إحدى وثمانين. وأوفد عليهم أهل ميورقة فبعثوا معهم علي بن البربربر فلما وصل إلى ميورقة ثار على طلحة بنو أخيه إسحق وهم علي ويحيى ويعفر بن البربربر وخلعوا طلحة. ثم بلغهم موت يوسف بن عبد المؤمن فخرجوا إلى إفريقية حسبما

نذكر في أخبار دولتهم. فانقرضت دولة المرابطين بالمغرب والأندلس، وأدال الله منهم بالموحدّين وقتلوهم في كل وجه. واستفحل أمرهم بالأندلس، واستعملوا فيها القرابة من بني عبد المؤمن وكانوا يسمّونهم السادة، واقتسموا ولايتها بينهم. وأجاز يعقوب المنصور منهم غازياً بعد أن إستقرّ أهل العدو كافة، من زناتة فأوقع العرب بابن أدفونش ملك الجلالقة بالأركة من نواحي بطليوس الواقعة المذكورة سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وأجاز ابنه الناصر من بعده سنة تسع فمحص الله المسلمين واستشهد منهم عدة ثم تلاشت إمارة الموحدّين من بعده، وانتزى بالسادة بنواحي الأندلس في كلّ عمله، وضعف بمراكش فصاروا إلى الاستجاشة بالطاغية بقص، واستسلام حصون المسلمين إليه في ذلك فسمت رجالات الأندلس، وأعقاب العرب من دولة الأموية، وأجمعوا أخراجهم فثاروا بهم لحين وأخرجوهم. وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامي الثائر بالأندلس. وقام بلنسية زيّان بن أبي الحملات مدافع بن يوسف بن سعد، من أعقاب دولة بني مردنيش وثوار آخرون. ثم خرج عليّ بن هود في دولته من أعقاب دولة العرب أيضاً وأهل نسبهم محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر، وتلقب محمد هذا بالشيخ فحاربه أهل الجبل، وكانت لكل منهما دولة أورثها بنيه. فأما زيد بن مردنيش فكان مع عشرة من بني مردنيش رؤساء بلنسية، واستظهر الموحدّون على إمارتها. ولما وليها السيد أبو زيد بن محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن بعد مهلك المستنصر كما نذكر في أخبارهم وذلك سنة عشرين وستمائة، كان زيّاد هذا بطانته وصاح أمره. ثم انتقض عليه سنة ست وعشرين عندما بوع ابن هود بمرسية، وخرج إلى أبداه فخشيته السيد أبو زيد وبعث إليه يلاطفه في الرجوع فامتنع، ولحق السيد أبو زيد بطاغية برشلونه ودخل في دين النصرانية. وملك زيّان بلنسية، واتصلت الفتنة بينه وبين ابن هود، وخالف عليه بنو عمه عزيز بن يوسف بن سعد في جزيرة سقم، وصاروا إلى طاعة بن هود وزحف زيّان للقاءه على شريش فانهزم وتبعه ابن هود، ونازله في بلنسية أياماً وامتنعت عليه فأقلع، وتكالب الطاغية على ثغور المسلمين، ونازل صاحب برشلونه أنيشة وملكها،

وزحف زيّان إليها بجميع من معه من المسلمين سنة أربع وثلاثين، ونفر معه أهل شاطبة وجزيرة شقر فكانت عليهم الواقعة العظيمة التي استشهد فيها أبو الربيع سليمان، وأخذ الناس في الانتقال عن بلنسية فبعث إليهم يحيى بن أبي زكريا صاحب إفريقية بالمدد، من الأموال والأسلحة والطعام مع قريبه يحيى عندما نبذ دعوة بني عبد المؤمن وأوفد عليه أعيان بلنسية وهي محصورة فرجع إلى دانية. ثم أخذ الطاغية بلنسية سنة ست وثلاثين، وخرج زيّان إلى جزيرة شقر وأقام بدعوة الأمير أبي زكريا وبعث إليه بيعتها مع كاتبه الحافظ أبي عبد الله محمد بن الأنباري فوصل إلى تونس، وأنشده قصيدته المشهورة على رويّ السين بلغ فيها من الإجادة حيث شاء، وهي معروفة وسيأتي ذكرها في دولة بني حفص بإفريقية من الموحدين. ثم هلك ابن هود، وانتقض أهل مرسية على ابنه أبي بكر الوراق، وكان واليه بها أبو بكر بن خطاب فبعثوا إلى زيّان واستدعوه فدخلها، وانتهب قصرها، وحملهم على البيعة للأمير أبي زكريا على ولاية شرق الأندلس كله، وذلك سنة سبع وثلاثين. ثم انتقض عليه ابن عصام باريولة، ولحق به قرابة زيّان بمدينة لقنت فلم يزل بها إلى أن أخذها منه طاغية برشلونة سنة أربع وأربعين فأجاز إلى تونس، وبها مات سنة ثمان وستين. وأما ابن هود فسيأتي الخبر عن دولته، وأما ابن الأحمر فلم تزل الدولة في أعقابه لهذا العهد. ونحن ذاكرون أخبارهم لأنهم من بقايا دولة العرب، والله خير الوراثين.

الخبر عن ثورة ابن هود عليّ الموحدين بالأندلس

ول ولته وأولية أمره وتصاريف أحواله:

هو محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العظيم بن أحمد بن سليمان المستعين بن محمد بن هود، ثار بالصخيرات من عمل مرسية مما يلي رقوط عند فشل دولة الموحدين، واختلاف السادة الذين كانوا أمراء بلنسية. وذلك عندما هلك المستنصر سنة عشرين. وباع الموحدون بمراكش لعمّه المخلوع عبد الواحد بن أمير المؤمنين

يوسف. ثار العادل ابن أخيه المنصور بمرسية، ودخل في طاعة صاحب حيّان أبو محمد عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن، وخالفهما في ذلك السيد أبو زيد أخوه ابن محمد بن أبي حفص. وتفاقت الفتنة، واستظهر كل على أمره بالطاغية، ونزلوا له عن كثير من الثغور. وتلقت من ذلك ضمائر أهل الأندلس فتصدر ابن هود هذا للثورة، وهو من أعقاب بني هود من ملوك الطوائف، وكان يؤمل لها. وربما امتحنه الموحدون لذلك مرّات فخرج في نفر من الأجناد سنة خمس وعشرين، وجّهز إليه والي مرسية يومئذ السيد أبو العباس بن أبي عمران موسى بن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن عسكرياً فهزمهم. وزحف إلى مرسية فدخلها واعتقل السيد، وخطب للمستنصر صاحب بغداد لذلك العهد من بني العباس. وزحف إليه السيد أبو زيد بن محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن من شاطبة، وكان واليه بها فهزمه ابن هود ورجع إلى شاطبة واستجاش بالمأمون وهو يومئذ بإشبيلية بعد أخيه العادل فخرج في العساكر، ولقيه ابن هود فانهزم وأتبعه إلى مرسية فحاصره مدّة، وامتنعت عليه فأقلع عنه ورجع إلى إشبيلية. ثم انتقض على السيد أبي زيد ببلنسية زيّان ابن أبي الحملات مدافع ابن حجّاج بن سعد بن مردنيش، وخرج عنه إلى أبادّة وذلك سنة ست وعشرين. وكان بنو مردنيش هؤلاء أهل عصابة، وأولي بأس وقوة فتوقّع أبو زيد اختلال أمره، وبعث إليه ولاحظه في الرجوع فامتنع فخرج أبو زيد من بلنسية، ولحق بطاغية برشلونة، ودخل في دين النصرانية. وبايعت أهل شاطبة لابن هود. ثم تابعه أهل جزيرة شقر، حملهم عليها ولاتهم بنو عزيز بن يوسف عم زيّان بن مردنيش. ثم بايعه أهل خبيان وأهل قرطبة، تسمّى بأمر المسلمين، وبايعه أهل إشبيلية عند رحيل المأمون عنها إلى مراکش، وولّى عليهم أخاه. ونازعه زيّان بن مردنيش، وكانت بينهما ملاقة انهزم فيها زيّان سنة تسع وعشرين. وحاصره ابن هود ببلنسية، ثم أقلع. ولقي الطاغية على ماردة فانهزم ومحص الله المسلمين، وانهزم بعدها أخرى على الكوس. ولم تزل غزواته مترددة في بلاد العدو

كل سنة، وحره معهم سجلاً، والطاغية يلتقم الثغور والقواعد. ثم استولى ابن هود على الجزيرة الخضراء، وجبل الفتح فرضتي المجاز على سبته، من يد السيد أبي عمران موسى لما انتقض على أخيه المأمون، ونازله بسبته فبايع هو لابن هود وأمكنه منها. ثم ثار بها إلباشتي على ما يذكر. ثم بوع للسلطان محمد بن يوسف بن نصر سنة تسع وعشرين بأرجونة، ودخلت قرطبة في طاعته، ثم قرفونة. ثم انتقض أهل إشبيلية واخرجوا سالم بن هود، وبايعوا لابن مروان أحمد بن محمد الباجي وجّهز عسكرياً للقاء ابن الأحمر فانهزموا وأسر قائده. ثم اتفق الباجي مع ابن الأحمر على فتنة ابن هود. وصالح ابن هود الفنش على فعلتهم على ألف دينار في كل يوم. ثم صارت قرطبة إلى ابن هود، وزحف إلى الباجي وابن الأحمر فانهزم، ونزل ابن الأحمر ظاهر إشبيلية. ثم غدر الباجي فقتله وتولّى ذلك صهره واشقيلولة، وزحف سالم بن هود إلى إشبيلية فنازلها وامتنعت عليه. ووصل خطاب الخليفة المستنصر العباسي إلى ابن هود من بغداد سنة إحدى وثلاثين وفد أبو علي حسن بن علي بن حسن بن الحسين الكردي الملقب بالكمال. وجاء بالراية والخلع والعهد، ولقبه المتوكل. وقدم عليه بذلك في غرناطة في يوم مشهود، وبايع له ابن الأحمر. وعندما غدر ابن الأحمر بالباجي فرّ من إشبيلية شعيب بن محمد إلى البلد فاعتصم بها، وتسمّى المعتصم فحاصره ابن هود وأخذها من يده. ثم خرج العدو من كل جهة ونازلوا ثغور المسلمين وأحاطوا بهم، وانتهت محلاتهم على الثغور، إلى سبع. ثم حاصر الطاغية مدينة قرطبة، وغلب عليها سنة ثلاث وثلاثين، وبايع أهل إشبيلية للرشيد من بني عبد المؤمن. ثم زحف ابن الأحمر إلى غرناطة وملكها كما يذكر، وبوع للرشيد سنة سبع وثلاثين. وكان عبد الله أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك الأموي الرميمي وزير ابن هود، وكان يدعو دا الوزارتين ولأه المرية من عمله فلم يزل بها، وقدم عليه المتوكل سنة خمس وثلاثين وستمائة فهلك بالحمام ودفن بمرسية، ويقال إنه قتله. ثم استبدّ من بعده المؤيد، واستنزل عنها ابن الأحمر سنة ثلاث وأربعين. ولما هلك المتوكل ولي من بعده بمرسية ابنه أبو بكر محمد بعده إليه، وتلقب بالواثق وثار عليه عزيز بن عبد الملك بن خطاب سنة ست وثلاثين



لأشهر من ولايته فاعتقله، وكان يلقَّب ضياء الدولة. ثم تغلَّب زيَّان بن مردنيش على مرسية، وقتل ابن خطاب لأشهر من ولايته. وأطلق الواثق بن هود من اعتقاله. ثم ثار عليه بمدينة مرسية محمد بن هود عم

المتوكل سنة ثمان وثلاثين، وأخرج منها زيّان بن مردنيش، وتلقّب بهاء الدولة. وهلك سنة سبع وخمسين وستمئة. وولي ابنه الأمير أبو جعفر. ثم ثار عليه سنة اثنتين وستين أبو بكر الواثق الذي كان ابن خطّاب خلعه، وهو المتوكل أمير المسلمين وبقي بها أميراً إلى أن ضايقه الفنش والبرشلوئي فبعث إليه عبد الله بن علي بن أشقيلولة، وتسلم مرسية منه. وخطب بها لابن الأحمر. ثم خرج منها راجعاً إلى ابن الأحمر فأوقع به البصريّ في طريقه، ورجع الواثق إلى مرسية ثالثة فلم يزل بها إلى أن ملكها العدو من يده سنة ثمان وستين، وعوّضه منها حصناً من عملها يسمّى يسّ إلى أن هلك، والله خير الوارثين.

#### دولة بني الأحمر

الخبر عن دولة بني الأحمر ملوك الأندلس

لهذا العهد ومبدأ أمورهم وتصاريح أحوالهم

أصلهم من أرجونة من حصون قرطبة، ولهم فيها سلف في أبناء الجند، ويعرفون ببني نصر وينسبون إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج. وكان كبيرهم لآخر دولة الموحّدين محمد بن يوسف بن نصر، ويعرف بالشيخ وأخوه إسمعيل. وكانت لهم وجهة في ناحيتهم. ولما فشل ربح الموحّدين وضعف أمرهم، وكثر الثوّار بالأندلس، وأعطى حصونها للطاغية، واستقل بأمر الجماعة محمد بن يوسف بن هود الثائر بمرسية فأقام بدعوته العبّاسيّة، وتغلّب على شرق الأندلس أجمع فتصدى محمد بن يوسف هذا للثورة على ابن هود، وبوع له سنة تسع وعشرين وستمئة على الدعاء للأمير ابي زكريا صاحب إفريقية، وإطاعته حيّان وشريش سنة ثلاثين بعدها، وكان يعرف بالشيخ ويلقب بابي دبوس. واستظهر على أمره أوّلاً بقرايته من بني نصر وأصهاره ببني اشميلولة عبد الله وعلي. ثم بايع لابن هود سنة إحدى وثلاثين عندما وصله خطاب الخليفة من بغداد. ثم ثار باشبيلية أبو مروان الباجي عند خروج ابن هود عنها، ورجوعه إلى مرسية فداخله محمد بن الأحمر في الصلح على أن يزوّجه إبنته فأطاعه، ودخل إشبيلية سنة اثنتين وثلاثين. ثم فتك بابن الباجي وقتله، وتناول

الفتك به علي بن أشقيلولة. ثم راجع أهل إشبيلية بعدها لشهر دعوة ابن هود، وأخرجوا ابن الأحمر. ثم تغلب على غرناطة سنة خمس وثلاثين بمداخلة أهلها ثم ثار ابن أبي خالد بدعوته في لحيان ووصلته بيعتها فقدم إليها أبا الحسن بن إشقيلولة. ثم جاء على أثره ونزلها واستقر بها بعد مهلك ابن هود، وباع للرشيد سنة تسع وثلاثين. ثم تناول المؤيد من يد محمد بن الرميمي فخلعه أهل البلد سنة ثلاث وستين وبايعوا لابن الأحمر. ثم ثار أبو عمرو بن الجد، واسمه يحيى بن عبد الملك بن محمد الحافظ أبي بكر وملك أشبيلية، وباع للأمير ابي زكريا بن حفص صاحب إفريقية سنة ثلاث وأربعين، وولي عليهم أبو زكريا أميراً، وقام بأمرهم القائد شغاف، والعدو أثناء ذلك يلتقم بلاد المسلمين وحصونهم من لدن عام عشرين أو قبله، وصاحب برشلونة من ولد البطريق الذي استعمله الافرنجة عليها الأول استرجاعهم لها من أيدي العرب فتغلب عليها، وبعد عن الفرنجة، وضعف لعهد سلطانهم. ووصلوا وراء الدروب، وعجزوا فكانوا عن برشلونة وجماعتها أعجز فسما أهل طاغيتها منهم لذلك العهد، وإسمه حاقمة، إلى التغلب على ثغور المسلمين. واستولى على ماردة سنة ست وعشرين وستمائة، ثم ميورقة سنة سبع وعشرين وستمائة. ثم أجاز إلى سرقسطة وشاطبة، كان تملكها منذ مائة وخمسين من السنين قبلها. ثم بلنسية سنة ست وثلاثين وستمائة بعد حصار طويل، وطوى ما بين ذلك من المحصون والقرى حتى انتهى إلى المرية حصوناً، وابن أدفونش أيضاً ملك الجلالقة هو ابن الأدفونش، "الملقب بالحكيم" وآبؤه من قبله يتقري الفرستيرة حصناً حصناً، ومدينة مدينة إلى أن طواها. واستعبد ابن الأحمر هذا لأول أمره بما كان بينه وبين الثوار بالأندلس من المنازعة فوصل يده بالطاغية، في سبيل الاستظهار على أمره فوصله وشد عضده. وصار ابن الأحمر في جملته وأعطاه ابن هود ثلاثين من الحصون أو نحوها في كف غربه عن ابن الأحمر، وأن يعينه على ملك قرطبة فتسلمها. ثم تغلب على قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وأعاد إليها خيرة الله كلمة الكفر. ثم نازل إشبيلية سنة ست وأربعين، وابن الأحمر معه مظهر الامتعاظ لابن الجد وحاصرها سنتين. ثم دخلها صلحاً وانتظم معها حصونها وثغورها، وأخذ طليطلة من يد ابن

كماشة، وغلب بعد ذلك ابن محفوظ على شلب وطلبيره سنة تسع وخمسين. ثم ملك مرسية سنة خمس وستين. ولم يزل الطاغية يقتطع ممالك الأندلس كورة كورة،

وثغراً ثغراً، إلى أن ألجأ المسلمين إلى سيف البحر ما بين رندة من الغرب، وإلبيرة من شرق الأندلس، نحو عشر مراحل من الغرب إلى الشرق. وفي مقدار مرحلة أو ما دونها في العرض ما بين البحر والجوف. ثم سخط بعد ذلك الشيخ ابن الأحمر، وطمع في الاستيلاء على كافة الجزيرة فامتنتع عليه، وتلاحق بالأندلس غزاة من زناتة الثائرين يومئذ من بني عبد الواد وتوجين ومغراوة وبني مرين، وكان أعلاهم كعباً في ذلك، وأكثرهم غزى بنو مرين فأجاز أولاد إدريس بن عبد الحق، وأولاد رحو بن عبد الله بن عبد الحق أعياص الملك منهم سنة ستين أو نحوها، عقد لهم عمهم يعقوب بن عبد الحق سلطان المغرب، وأجازوا في ثلاثة آلاف أو نحوها فنقبل ابن الأحمر إجازتها، ودفع بهم في نحر عدوّه ورجعوا. ثم تهائلوا إليه من بعد ذلك من كل بيت من بيوت بني مرين، ومعظمهم الأعياص من بني عبد الحق لما تزاحمهم مناكب السلطان في قومهم، وتغص بهم الدولة فينزعون إلى الأندلس مغنين بها من بأسهم وشوكتهم في المدافعة عن المسلمين، ويخلصون من ذلك على حظ من الدولة بمكان. ولم يزل الشأن هذا إلى أن هلك محمد بن يوسف بن الأحمر سنة إحدى وسبعين وستمائة، وقام بأمره من بعده ابنه محمد، وكان يعرف بالفقيه لما كان يقرأ الكتاب من بين أهل بيته، ويطالع كتب العلم. وكان أبوه الشيخ أوصاه باستصراخ ملوك زناتة من بني مرين الدائلين بالمغرب من الموحدّين، وأن يوثق عهده بهم، ويحكم أراضى سلطانه بمدخلتهم فأجاز محمد الفقيه ابن الأحمر إلى يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين سنة إثنين وسبعين وستمائة، عندما تم استيلاؤه على بلاد المغرب، وتغلبه على مراكش، وافتقاده سرير ملك الموحدّين بها فأجاب صريخه، وأجاز عساكر المسلمين من بني مرين وغيرهم إلى الجهاد مع ابنه منديل. ثم جاء على أثرهم وأمكته ابن هشام من الجزيرة الخضراء كان ثائراً بها فتسلّمها منه ونزل بها، وجعلها ركاباً لجهاده ينزل بها جيش الغزو. ولما أجاز سنة إثنين وسبعين كما قلناه هزم زعيم النصرانية ثم حدّره ابن الأحمر على ملكه فداخل الطاغية. ثم حذر الطاغية فراجعوه وهو مع ذلك يده في نحره بشوكة الأعياص الذين نزعوا إليه من بني مرين بما شاركوا صاحب المغرب من نسب ملكه وقاسموه في يعسوبية

قبيلته فكان له بذلك مدفع عن نفسه ومرض في طاعة قرابته من بني  
إشقيولة، كان عبد الله منهم بمالقة وعلي بوادي آش وإبراهيم بحصن  
قمارش فالتاثوا عليه، وداخلوا يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين في  
المظاهرة عليه فكان له معهم فتنة، وأمكنوا يعقوب من الثغور التي

بأيديهم مالقة ووادي آش حتى استخلصها هذا السلطان الفقيه من بعد ذلك كما نذكره في أخبار بني مرين مع بني الأحمر. وصار بنو إشقيلولة آخرًا وقرابتهم بني الزرقاء إلى المغرب ونزلوا على يعقوب بن عبد الحق وأكرم مثواهم وأقطعهم واستعملهم في كبير الخطط للدولة حسبما يذكر. واستبدَّ السلطان الفقيه ابن الأحمر بملك ما بقي من الأندلس وأورثه عقبه من غير قبيل ولا كثير عصبية ولا استكثار من الحامية إلا من يأخذه الجلاء من فحول زناته وأعياص الملك فينزلون بهم غزى، ولهم عليهم عزة وتغلب، وسبب ذلك ما قدّمناه في الكتاب الأوّل من افقاد القبائل والعصائب بأرض الأندلس جملة فلا تحتاج الدولة هنالك إلى كبير عصبية. وكان للسلطان ابن الأحمر في أوّل أمره عصبية من قرابته بني نصر، وأصهارهم بني إشقيلولة وبني المولى ومن تبعهم من الموالي والمصطنعين كانت كافية في الأمر من أوّله مع معاضدة الطاغية على ابن هود وثوار الأندلس، ومعاضدة ملك المغرب على الطاغية والإستظهار بالأعياص على ملك المغرب فكان لهم بذلك كله أقدار على بلوغ أمرهم وتمهيده، وربما يفهم في مدافعة الطاغية اجتماع الخاصّة والعامة في عداوته، والرهب منه بما هو عدوّ للدين فتستوي القلوب في مدافعته ومخافته فينزل ذلك بعض الشيء منزلة العصبية. وكانت إجازة السلطان يعقوب بن عبد الحق إليه أربع مرات، وأجاز ابنه يوسف إليهم بعد أبيه. ثم شغلته الفتنة مع بني يغمراسن، إلى أن هلك السلطان الفقيه سنة إحدى وسبعمائة، وهو الذي أعان الطاغية على منزلة طريف وأخذها، وكان يميز عسكره مدة حصاره إياها إلى أن فتحها سنة أربع وسبعمائة لما كانت ركابا لصاحب المغرب، متى همّ بالجواز لقرب مسافة الزقاق. فلما ملكها الطاغية صارت عيناً على من يروم الجواز من الغزاة فصعب أمره عليهم، وولي من بعده ابنه محمد المخلوع، واستبد عليه وزيره محمد بن محمد بن الحكم اللخمي، من مشيخة رندة ووزرائها فحجره واستولى على أمره، إلى أن ثار به أخوه أبو الجيوش نصر بن محمد فقتل الوزير، واعتقل أخاه سنة ثمان وسبعمائة، وكان أبوهما السلطان الفقيه استعمل على مالقة الرئيس أبا سعيد بن عمه إسماعيل بن نصر، وطالت فيها إمارته. وهو الذي تملك سبتة، وغدر بني الغرقي بها على عهد المخلوع

وبدعوته كما يذكر في أخبار سبته، ودولة بني مرين. وكان أصهر إليه في إبنته وكان له منها ابنه أبو الوليد إسماعيل، فلما تملك الجيوش نصر غرناطة، واستولى على سلطانهم بها ساءت سيرته، وسيرة وزيره ابن الحاج، وأحقد الأعياص من بني مرين، واستظهر الرعية بالقهر والعسف. وكان بنو إدريس بن عبد الله بن الحق أمراء على الغزاة بمالقة، وكان كبيرهم عثمان بن أبي المعلّى فدخل أبا الوليد في الخروج على السلطان نصر، وتناول الأمر من يده لضعفه، وسعفه بطانته وأقرباؤه فاعتزموا على ذلك، ولم يتم لهم إلا باعتقال أبيه أبي الجيوش فاعتقلوه، وبايعوا أبا الوليد. وثار بمالقة سنة سبع عشرة الرئيس أبو سعيد، وزحفوا إلى غرناطة فهزموا عساكر أبي الجيوش، وثار به الدهماء من أهل المدينة، وأحيط به. وصالحهم على الخروج إلى وادي آش فلحق بها، وجدّ بها ملكاً إلى أن مات سنة إثنين وعشرين، ودخل أبو الوليد إلى غرناطة فاصل بها لنفسه وبنيه ملكاً جديداً وسلطاناً فسيحاً. ونازله ملك النصارى الفنش بغرناطة سنة ثمان عشرة وأبلى فيها بني أبي العلا. ثم كان من تكيف الله تعالى في قتله وقتل رديفه، واستلحام جيوش النصرانية بظاهر غرناطة ما ظهرت فيه معجزة من معجزات الله. وتردّد إلى أرض النصرانية بنفسه غازياً مرات مع عساكر المسلمين من زناتة والأندلس. وكانت زناتة أعظم غناء في ذلك لقرب عهدهم بالتقشّف والبدواة التي ليست للناس. وبلغ أبو الوليد من العزّ والشوكة إلى أن غدر به بعض قرابته من بني نصر سنة سبع وعشرين وسبعمائة، طعنه غدراً عندما انفض مجلسه بباب داره فأنفذه، وحمل إلى فراشه، ولحق القادر بدار عثمان بن أبي العلى فقتله لحينه، وقتل الموالي المجاهدين فخرج عليهم، ولحق بانديس فتملكها، واستدعى محمد بن الرئيس أبي سعيد في معتقله بسلوباشة. ونصّب له للملك فلم يتم له مراده من ذلك. ورجعوا آخراً للمهادنة، وقتل السلطان محمد وزيره ابن المحروق بداره غدراً سنة تسع وعشرين، استدعاه للحديث على لسان عمته المتغلبة عليه مع ابن المحروق، وتناوله مع علوجه طعناً بالخناجر إلى أن مات. وقام السلطان بأعباء ملكه، ورجع عثمان بن أبي العلى إلى مكانه من يعسوية الغزاة وزناتة، حتى إذا هلك قدم عليهم مكانه ابنه أبا ثابت. وأجاز السلطان



محمد إلى المغرب صريخا للسلطان أبي الحسن على الطاغية فوجده مشغولا بفتنة أخيه محمد. ومع ذلك جهّز له العساكر، وعقد عليها سنة ثلاث وثلاثين. واستراب بنو أبي العلى بمداخلة

السلطان أبي الحسن فتشاوروا في أمره، وغدروا به يوم رحيله عن الجبل إلى غرناطة فتقاصفوه بالرماح، وقدّموا أخاه أبا الحجاج يوسف فقام بالأمر، وشمّر عن ساعده في الأخذ بثار أخيه فنكب بني العلى وغزّبهم إلى تونس، وقدّم على الغزاة مكان أبي ثابت بن عثمان قرثية من بني رحو بن عبد الله بن عبد الحق، وهو يحيى بن عمر بن رحو فقام قامرهم وطال أمر رياسته. واستدعى السلطان أبو الحجاج السلطان أبا الحسن صاحب المغرب فأجاز ابنه عندما تم له الفتح بتلمسان، وعقد له على عساكر جمة من زناتة والمطوّعة فغزاهم، وغنم وقفل راجعاً. وتلاحقت به جموع النصارى وبيّتوه على حدود أرضهم فاستشهد كثير من الغزاة، وأجاز السلطان أبو الحسن سنة إحدى وأربعين بكافة أهل المغرب من زناتة ومغراوة والمرتزقة والمتطوعة فنازل طريف، وزحف إليه الطاغية فلقية بظاهرها فانكشف المسلمون، واستشهد الكثير منهم، وهلك فيها نساء السلطان وحریمه وفسطاطة من معسكره وكان يوم ابتلاء وتمحيص. وتغلّب الطاغية أثرها على القلعة ثغر غرناطة، ونازل الجزيرة الخضراء وأخذها صلحا سنة ثلاث وأربعين. ولم يزل أبو الحجاج في سلطانه إلى أن هلك يوم الفطر سنة خمس وخمسين، طعنه في سجوده من صلاة العيد وغد من صفاعفة البلد كان مجتمعاً. وتولّى ابنه، واستبدّ عليه مولاهم رضوان حاجب أبيه وعمه فقام بأمره وغلبه عليه وحجبه. وكان إسماعيل أخوه ببعض قصور الحمراء قلعة الملك، وكانت له ذمّة وصهر من محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن محمد ابن الرئيس أبي سعيد، بما كان أبوه أنكحه شقيقة إسماعيل هذا. وكان أبو يحيى هذا يدعى بالرئيس، وجدّه محمد هذا هو الذي قدّمنا أنّ عثمان بن أبي العلى دعا من مكان اعتقاله للملك فداخل محمد هذا الرئيس بعض الزعالقة من الغوغاء، وبيت حصن الحمراء وتسوّره وولج على الحاجب رضوان في داره فقتله، وأخرج صهره إسماعيل ونصبه للملك ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة ستين وسبعمائة. وكان السلطان محمد هذا المخلوع بروضه خارج الحمراء فلحق بوادي آش وأجاز منها إلى العدو، ونزل على ملك المغرب السلطان أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن فرعى له ذمته، وأحمد نزوله. وارتاب شيخ الغزاة يحيى بن

عمرو بالدولة ففرّ إلى دار الحرب، ولحق منها بالمغرب. ونزل على السلطان أبي سالم فأحمد نزوله، وولى مكانه على الغزاة بغرناطة من جهة إدريس بن عثمان بن أبي العلى. فقام الرئيس بأمر

إسماعيل أخيه ودبر ملكه. ثم ترددت السعايات وأنذر الرئيس بالنكبة فغدر بإسماعيل، وقتله وإخوته جميعاً سنة إحدى وستين. وقام بملك الأندلس، ونبذ إلى الطاغية عهده ومنعه ما كان سلفه يعطونه من الجزية على بلاد المسلمين فشمر الطاغية لحربه، وجهز العساكر إليه فأوقع المسلمون بهم بوادي آش، وعليهم بعض الرؤساء من قرابة السلطان فعظمت النكابة. وأرسل ملك المغرب إلى الطاغية في شأن محمد المخلوع، وردّه إلى ملكه فأركب الأساطيل، وأجازه إلى الطاغية فلقية ووعدته المظاهرة على أمره، وشرط له الاستئثار بما يفتح من حصون المسلمين. ثم نقض فيما افتتح منها ففارقه السلطان وأوى إلى الثغر المغربي في ملكة بني مرين وأمكن من ثغور رندة فزحف منها إلى مالقة سنة خمس وستين فافتتحها. وفرّ الرئيس محمد بن إسماعيل من غرناطة، ولحق بالطاغية. وكان معه إدريس بن عثمان شيخ الغزاة بحبسه إلى أن فرّ من محبسه بعد حين، كما يذكر في أخبارهم. وزحف السلطان محمد فيمن معه وأتوه بحاجب الرئيس وقتله، واستلحم معه الرجال من الزعالقة الذين لتلوا الحاجب، وتسوّروا قصور الملك. ودخل السلطان محمد غرناطة، واستولى على ملكه. وقدم على الغزاة شيخهم يحيى بن عمر، واختصّ ابنه عثمان، ثم نكبهما لسنة وحبسهما بالمطبق بالمرية، ثم غربهما بعد أعوام. وقدم على الغزاة قريبيهما علي بن بدر الدين بن محمد بن رحو. ثم مات فقدّم مكانه عبد الرحمن بن أبي يغلوسن وترفع على السلطان أبي علي بن محمد ملك المغرب، وتملاً هذا السلطان محمد المخلوع أريكة ملكه بالحمراء ممتنعاً بالظهور والترف والعزة على الطاغية والجلالقة، وعلى ملوك المغرب بالعدوة بما نال دولتهم جميعاً من الهرم الذي يلحق الدول. وأما الجلالقة فانتقضوا على ملكهم بطرة بن أدفونش سنة ثمان وستين من لدن مهلك أبيهما، ووقعت بين بطرة وبين ملك برشلونة بسبب إجارته عليه فتن وحروب حجر منها الجلالقة، وكانت سبباً لانتقاضهم على بطرة، واستدعائهم لأخيه الفنش فجاء وبايعوه، وانحرفوا إليه جميعاً عن بطره فتحيّر ناحية بلاد المسلمين. واستدعى هذا السلطان محمداً صاحب غرناطة لنصره من عدوه، وأغزاه ببلاد الفنش ففتح كثيرا من معاقلها

وخربها مثل حيان وأبدة وأثر وغيرها. وعاث في بسائطها، ونزل قرطبة،  
وخرّب نواحيها ورجع ظافراً غانماً. ولحق

ببطرة سلطان الافرنجة الأعظم في ناحية الشمال من وراء جزيرة الأندلس، وهو صاحب جزيرة أركبلطرة، وتسمّى بنسر غالس، وقد عليه صريحاً وزوّجه بنته فبعث ابنه لنصره في أمم الافرنج. وانهزم الفنش أمامهم، وارتجع بطرة البلاد حتى إذا رجعت عساكر الافرنجة، رجع الفنش فارتجع البلاد ثانياً وحاصر أخاه بطرة في بعض حصون جليقة، حتى أخذه وقتله، واستولى على ملكهم. واغتنم السلطان صاحب غرناطة شغلهم بهذه الفتنة فأعتزّ عليهم، ومنع الجزية التي كانوا يأخذونها من المسلمين منذ عهد سلفه فأقاموا من لدن سنة اثنتين وسبعين لا يعطونهم شيئاً. واستمر على ذلك، وسما إلى مطالبتهم بنسر غالس ملك الافرنجة من ورائهم الذي جاء لنصر بطرة، وأنكحه بطرة إبنته، وولدت له ولداً فزعم أبوه هذا الملك أنه أحق بالملك من الفنش وغيره، على عادة العجم في تمليك الاسباط من ولد البطن. وطالت الحرب بينهما، ونزل بالجلالقة من ذلك شغل شاغل، واقتطع الكثير من ثغورهم وبلادهم فمنعهم ابن الأحمر الجزية، واعتزّ عليهم كما ذكرناه، والحال على ذلك لهذا العهد. وأما ملوك المغرب فإن السلطان عبد العزيز ابن السلطان ابي الحسن لما استبد بملكه، واستفحل أمره، وكان عبد الرحمن بن أبي يغلوسن مقدماً على الغزاة بالأندلس كما قلناه، وهو قسيمه في النسب، ومرادفه في الترشيح للملك فعثر السلطان عبد العزيز على مكاتبة بينه وبين أهل دولته، فارتاب وبعث إلى ابن الأحمر في حبسه فحبسه، وحبس معه الأمير مسعود بن ماسي لكثرة خوضه في الفتنة، ومكاتبته لأهل الدولة. فلما توفي السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين، وبويع ابنه محمد السعيد يافعاً وكفله وزير أبيه أبو بكر بن غازي الثائر أطلق ابن الأحمر عبد الرحمن ابن يغلوسن من محبسه فنقم ذلك عليه الوزير أبو بكر كافل الدولة بالمغرب، واعتزم على بعث الرؤساء من قرابة ابن الأحمر إلى الأندلس لمنازعته، ومدّه بالمال والجيش. وبلغ ذلك ابن الأحمر فعاجله عنه وسار في العساكر إلى فرضة المجاز، ونازل جبل الفتح، ومعه ابن يغلوسن واغ ماسي، واركبهما السفن فنزلوا ببلاد بطرة فاضطرب المغرب، واشتد الحصار على أهل جبل الفتح، واستأمنوا لابن الأحمر وأطاعوه. وكان بسبته محمد بن عثمان بن الكاس صهر أبي بكر بن غازي وقريبه بعثه

لضبط المراسي عندما نزل ابن الأحمر على الجبل، وبطنجة يومئذ جماعة من ولد السلطان أبي الحسن المرشحين محبوسون منذ عهد عبد العزيز ف وقعت المراسلة من السلطان ابن الأحمر، ومحمد ابن عثمان، ونكر عليه مبايعتهم لولدٍ صغير لم يراهق. وأشار بيعة واحد من أولئك المرشحين المحبوسين بطنجة، ووعد بالمشاهدة والمدد بالمال والجيش، ووقع اختيار محمد بن عثمان على السلطان أبي العباس أحمد فاخرجه وباع له. وقد كان أولئك الفتية تعاهدوا في محبسهم أن من استولى منهم على الملك أطلق الباقيين منهم فوفى لهم السلطان أبو العباس لأوّل بيعته، وأطلقهم من المحبس، وبعثهم إلى الأندلس، ونزلوا على السلطان ابن الأحمر فأكرمهم وجعلهم لنظره. وبعث بالأموال والعساكر للسلطان أبي العباس ولوزيره محمد بن عثمان، وكتب إلى عبد الرحمن بن يغلوسن بموافقتهما واجتماعهما على الأمر فساروا جميعاً، ونزلوا دار الملك بفاس حتى استأمن أبو بكر بن غازي للسلطان أبي العباس، وامكنه من البلد الجديد دار الملك فدخلها في محرم سنة ست وسبعين. وشيّع عبد الرحمن بن يغلوسن إلى مراكش وأعمالها وسوّغ له ملكها كما كان الوفاق بينهما من قبل. وبعث بالسعيد بن عبد العزيز المنصوب، واتصلت الموالة والمهاداة بينه وبين عبد الرحمن صاحب مراكش، ونهض مرارا، وحاصره وابن الأحمر يمدّه تارة، ويسعى بينهما في الصلح أخرى، إلى أن نهض إليه سنة أربع وثمانين وحاصره شهراً، واقتحم عليه حصنه عنوة، وقتله ورجع إلى فاس. ثم نهض إلى تلمسان وهرب صاحبها أبو أحمد سلطان بني عبد الواد، ودخل السلطان أبو العباس تلمسان. وكان جماعة من سماسة الفتن قد سعوا ما بينه وبين السلطان ابن الأحمر بالفساد حتى أوغروا صدره، وحملوه على نقض دولة السلطان أبي العباس ببعض الأعياص الذين عنده فاختر من أولئك الفتية الذين نزلوا عليه من طنجة، موسى ابن السلطان أبي عثمان، واستوزر له مسعود بن ماسي، وركب السفن معه إلى سبتة فبادر أهلها بطاعة موسى، وأتوه ببيعتهم، وارتحل عنهم إلى فاس. وملك السلطان ابن الأحمر سبتة، وصارت في دعوته، وعمد السلطان موسى إلى دار الملك بفاس فوقف عليها يوما، واستأمنوا له آخر النهار فدخلها سنة ست وثمانين،

وأصبح جالساً على سرير ملكه. وطار الخبر إلى السلطان أبي العباس، وقد ارتحل من تلمسان لقصد أبي حمو وبني عبد الواد بمكانهم من دار الملك فكثر راجعاً،



وأغذَّ السير إلى فاس فلما تجاوز تازي وتوسَّط ما بينها وبين فاس افترق عنه بنو مرين وسائر عساكره وساروا على راياتهم إلى السلطان موسى، ونهب معسكره، ورجع هو إلى تازي فتوتَّق منه عاملها حتى جاءه يريد السلطان من فاس فتقبض عليه، وحمله إلى فاس وأزعجه السلطان موسى إلى الأندلس ونزل على ابن الأحمر كما كان هو. واستولى السلطان موسى على المغرب، واستبد عليه وزيره مسعود، وطالب ابن الأحمر بالنزول على سبتة فامتنع، ونشأت بينهما الفتنة، ودسَّ ابن ماسي لأهل بيته بالثورة على حامية السلطان ابن الأحمر عندهم فثاروا عليهم، وامتنعوا بالقصبة حتى جاءهم المدد في أساطيل ابن الأحمر فسكن أهل بيته واطمأنت الحال، ونزع إلى السلطان ابن الأحمر جماعة من أهل الدولة، وسألوه أن يبعث لهم ملكاً من الأعياص الذين عنده فبعث إليهم الواثق محمد بن الأمير أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن. وشيَّعه في الأسطول إلى سبتة، وخرج إلى غمارة. وبلغ الخبر إلى مسعود بن ماسي فخرج إليه في العسكر، وحاصره بتلك الجبال. ثم جاءه الخبر بموت سلطانه موسى ابن السلطان أبي عنان بفاس فارتحل راجعاً. ولما وصل إلى دار الملك نصب على الكرسي صبياً من ولد السلطان أبي العباس كان تركه بفاس. جاء السلطان أبو عنان ابن الأمير أبي الفضل، ونزل بجبل زرهون قبالة فاس. وخرج ابن ماسي في العساكر فنزل قبائله. وكان متولى أمره أحمد بن يعقوب الصبيحي، وقد غص به أصحابه فذبوا عنه، وقتلوه أمام خيمة السلطان. وامتنع السلطان لذلك ووقعت المراسلة بينه وبين ابن ماسي على أن يبايع بشرط الاستبداد عليه، واتفقا على ذلك. ولحق السلطان بابن ماسي ورجع به إلى دار الملك فبايع له وأخذ له البيعة من الناس. وكانت معه حصة من جند السلطان ابن الأحمر مع مولى من مواليه فحبسهم جميعاً. وامتنع لذلك السلطان فأركب أبا العباس البحر، وجاء معه بنفسه فدخلها وعساكر ابن ماسي عليها يحاصرونها فبايعوا جميعاً للسلطان أبي العباس. ورجع ابن الأحمر إلى غرناطة، وسار السلطان أبو العباس إلى فاس، واعترضه ابن ماسي في العساكر فحاصره بالصفحة من

جبلى غمارة، وتحدث أهل عسكره في اللحاق بالسلطان أبي العباس  
ففزعوا إليه، وهرب ابن ماسي، وحاصره السلطان شهراً حتى

نزلوا على حكمه فقطع ابن ماسي بعد أن قتله ومثّل به. وقتل سلطانه، واستلحم سائر بني ماسي بالتنكيل والقتل والعذاب. واستولى على المغرب واستبّد بملكه، وأفرج السلطان ابن الأحمر عن سبته وأعادها إليه. واتصلت الموالاتة بينهما. وأقام ابن الأحمر في اعتزازه، ولم تطرقه نكبة ولا حادثة سائر أيامه، إلا ما بلغنا أنه نمى له عن ابنه ولي عهده ابي الحجاج يوسف أنه يروم التوثّب به، وكان على سفر في بعض نواحي الأندلس فقبض على ولده لحينه، ورجع إلى غرناطة. ثم استكشف حاله فظهرت براءته فأطلقه وأعادته إلى أحسن أحواله. وإلا ما بلغنا أيضاً أنه لمّا سار من غرناطة إلى جبل الفتح شارباً لأحوال السلطان أبي العباس، وهو بالصفحة من جبال غمارة، وابن ماسي يحاصره فنمي إليه أن بعض حاشيته من أولاد الوزراء وهو ابن مسعود البلنسي ابن الوزير أبي القاسم بن حكيم وقد اتفقوا على اغتياله، وأن ابن ماسي دسّ إليهم بذلك ونصبت له على ذلك العلامات التي عرفتها فقبض عليهم لحينه، ولم يمهلهم وقتلهم وجميع من داخلهم في ذلك، ورجع إلى غرناطة، وأقام ممتنعاً بملكه إلى أن هلك سنة ثلاث وتسعين. فولي مكانه ابنه أبو الحجاج، وبايعه الناس، وقام بأمره خالد مولى أبيه، وتقبّض على أخوته سعد ومحمد ونصر فهلكوا في حبسهم، ولم يوقف لهم على خير. ثم سعى عنده في خالد القائم بدولته أنه أعد السمّ لقتله، وأن يحيى بن الصائغ اليهودي طيب دارهم داخله في ذلك ففتك بخالد، وقتل بين يديه صبراً بالسيوف لسنة أو نحوها من ملكه. وحبس الطيب فذبح في محبسه. ثم هلك سنة أربع وتسعين لسنتين أو نحوها من ملكه. وبويع ابنه محمد، وقام بأمره محمد الخصاصي القائد من صنائع أبيه، والحال على ذلك لهذا العهد، والله غالب على أمره. وقد انقضى ذكر الدولة الأموية المنازعين لبني العباس ومن تبعهم من الملوك بالأندلس، فلنذكر الآن شيئاً من أخبار ملوك النصرانية الذين يجاورون المسلمين بجزيرة الأندلس، من سائر نواحيهم، ونلم بطرف من أنسابهم ودولهم.

الخبر عن ملوك بني أدفونش من الجلالقة ملوك الأندلس بعد الغوط ولعهد المسلمين وأخبار من جاورهم من الفرنجة والبشكنس والبرتغال والامام ببعض أخبارهم:

والملوك لهذا العهد من النصرانية أربعة في أربعة من العملات محيطة بعمالة المسلمين، قد ظهر إعجاز الملة في مقامهم معهم وراء البحر، بعدما استرجعوا من أيديهم ما نظمه الفتح الإسلامي أوّل الأمر. وأعظم هؤلاء الملوك الأربعة: قشتالة؟ وعمالاته عظيمة متسعة، مشتملة على أعمال جليقية كلها، مثل قشتالة وجليسية. والقرنتيرة، وهي بسيط قرطبة وإشبيلية وطليطلة وجيان أخذة في جوف الجزيرة من المغرب إلى المشرق. ويليه من جانب الغرب ملك البرتغال وعمالاته صغيرة، وهي اشبونة، ولا أدري نسبه فيمن هو من الأمم. ويغلب على الظنّ أنه من أعقاب القواميس الذين تغلبوا على عمالات بني أدفونش في العصور الماضية كما نلى كر بعد، ولعله سن اسباطهم وأولي نسبهم والله أعلم. ويلى ملك قشتالة هذا من جهة الشرق ملك نبرة، وهو ملك البشكنس، وعمالاته صغيرة فاصلة بين عمالات قشتالة وعمالة ملك برشلونة وقاعدة ملك نجرة، وهي مدينة ينبلونة. وملك برشلونة وما وراءها. ونحن الآن نذكر أخبار هذه الأمم من عهد الفتح بما يظهر لك منه تفصيل أخبارهم، وذلك أن النصرانية لما تغلب عليهم المسلمون عند الفتح سنة تسعين من الهجرة وقتلوا لزريق ملك الغوط، وانساحوا في نواحي جزيرة الأندلس، واجفلت أمم النصرانية كلها أمامهم إلى سيف البحر من جانب الجوف، وتجاوزوا الدروب وراء قشتالة، واجتمعوا بجليقة وملكوا عليهم ثلاثة: ابن ناقلة فأقام ملكاً تسع عشرة سنة، وهلك سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وولي ابنه قافلة سنتين. ثم هلك فولوا عليهم بعدهما أدفونش بن بطرة، وهو الذي اتصل ملكه في عقبه لهذا العهد. ونجهم في الجلالقة من العجم كما تقدم. ويزعم ابن حيان أنهم ما أعقاب الغوط، وعندني أن ذلك ليس بصحيح فإن أمة الغوط قد دثرت وغبرت

وهلكت، وقل أن يرجع أمر بعد إداره. وإنما هو ملك مستجد في أمة أخرى، والله أعلم. فجمعهم أدفونش بن بطرة على حماية ما بقي من أرضهم بعد أن ملك المسلمون عامتها. وانتهوا إلى جليقة واقصروا عن الفتح بعدها حتى فشلت الدولة الإسلامية بالأندلس، وارتجع النصارى الكثير مما غلبوا عليه وكان مهلك أدفونش بن بطرة سنة اثنتين وأربعين ومائة لثمان عشرة سنة من ملكه، وولي بعده ابنه فرويلة إحدى عشرة سنة قوي فيها سلطانه، وقارنه فيها شغل عبد الرحمن الداخل بتمهيد أمره فاسترجع مدينة بك، وبرتغال وسمورة، وسلمنقة، وشقرنية، وقشتالة بعد أن كانت انتظمت للمسلمين في الفتح. وهلك سنة ثمان وخمسين، وولي ابنه شيلون عضرة سنين. وهلك سنة ثمان وستين فولوا مكانه أدفونش منهم، ووثب عليه سمول ماط فقتله وملك مكانه سبع سنين. وعلى عقب ذلك استفحل ملك عبد الرحمن بالأندلس، وأغزى جيوشه أرض جليقية ففتح وغنم وأسر. ثم ولي منهم أدفونش آخر سنة اثنتين وخمسين، وهلك سنة ثمان وستين فولوا مكانه أدفونش منهم، ووثب أحد ملوكهم المستبدين بأمرهم. قال ابن حيان: كانت ولاية رذمير هذا عند ترهب أخيه أدفونش الملك قبله، وذلك سنة تسع عشرة وثلاثمائة على عهد الناصر، وتهياً للناصر الظهور عليه إلى أن كان التمحيص على المسلمين في غزوة الخندق وذلك سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وكانت الواقعة بالخندق وقريباً من مدينة شنت ماكس كما ذكر في أخباره. ثم هلك رذمير سنة تسع وثلاثين وولي أخوه شانجة وكان تياً معجباً بطالاً فانتقض سلطانه، ووهن ملك قومه، وانتزى عليه قوامس دولته فلم يتم لبني أدفونش بعدها ملك مستبد في الجلالة إلا من بعد أزمان الطوائف وملوكهم كما ذكرناه. وكان اضطراب ملكهم كما نقل ابن حيان على يد فردلند بن عبد شلب قومس البة والقلاع فكان أعظم القوامس، وهم ولاة الأعمال من قبل الملك الأعظم فانتقض على شانجة البة وظاهرهم ملك البشكنس على شانجة، وورد شانجة على الناصر بقرطبة صريخاً فأمده، واستولى بذلك الإمداد على سمورة فملكها، وأنزل المسلمين بها، واتصلت الحرب بين شانجة وبين فردلند إلى أن أسر فردلند في بعض أيام حروبهم، وحصل في أسر ملك البشكنس على أن ينفذ إليه

أسيره فردلند بن عبد شلب قومس البة والقلاع فأبى من ذلك، وأطلقه.  
ووفد على المنتصر أزدون بن أدفونش

المقارع لشانجة صريحاً سنة إحدى وخمسين فأجابه، وأنفذ غالباً مولاة في مدده. ثم هلك شانجة ملك بني أدفونش بببليوس، وقام بأمرهم بعده ابنه رذمير، وهلك أيضاً فردلند بن عبد شلب قومس ألبه، وولي بعده ابنه غرسية، ولقي رذمير المسلمين بالثغر في بعض صوائفهم، وعظمت نكايته بعد مهلك الحكم المستنصر إلى أن قيص الله لهم المنصور بن أبي عامر حاجب ابنه هشام فأثنى في عمل رذمير، وغزاه مراراً وحاصره في سمورة، ثم في ليون بعد أن زحف إلى غرسية بن فردلند صاحب ألبه، وظاهر معه ملك البشكنس فغلبهما. ثم ظاهروا مع رذمير وزحفوا جميعاً للقاءه بشنت ماكس فهزمهم، واقتحمها عليهم وخرّبها. وتشاءم الجلالقة برذمير، وخرج عليهم عمه بزمند بن أردون، وافترق أمرهم. ثم رجع رذمير طاعة المنصور سنة أربع وسبعين، وهلك على أثرها فأطاعت أمه، واتفقت الجلالقة على بزمند بن أردون، وعقد له المنصور على سمورة والعيون وما اتصل بهما من أعمال غليسية إلى البحر الأخضر واشترط عليه فقبل. ثم امتعض بزمند لما نزل بالجلالقة عيث المنصور سنة ثمان وسبعين فافتتح حيون، وحاصره في سمورة ففرعنها، وأسلمها أهلها إلى المنصور فاستباحها، ولم يبق لملك الجلالقة إلا حصون يسيرة بالجيل الحاجز بين بلدهم وبين البحر الأخضر. ثم اختلف حال بزمند في الطاعة والإنتقاض، والمنصور يرّدد إليه الغزو حتى أذعن واخفر ذمته (1) الخارج على المنصور فأسلمه إليه سنة خمس وثمانين، وضرب عليه الجزية. وأوطن المسلمين مدينة سمورة سنة تسع وثمانين، وولي عليها أبا الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي. ثم سار إلى كرسية بن فردلند صاحب ألبه، وكان أعان المخالفين على المنصور، وكان فيمن أعان عليه حين خرج عليه فنازل المنصور مدينة أشبونة، قاعدة غليسية فملكها وخرّبها. وهلك غرسية هذا فولي ابنه شانجة، وضرب المنصور عليهم الجزية، وصار أهل جليقة جميعاً في طاعته، وكانوا كالعمال له إلا بزمند بن أردون، ومسد بن عبد شلب قومس غليسية فإنهما كانا أملك لأمرهما. على أنّ مسداً بعث بنته للمنصور سنة ثلاث وثمانين وصيرّها جارية له فأعتقها وتزوّجها. ثم انتقض بزمند وغزاه المنصور فبلغ

شنت ياقب، موضع حج النصرانية ومدفن يعقوب الحواري من أقصى  
غليسية، وأصابها خالية فهدمها ونقل



أبوها إلى قرطبة فجعلها في سمت الزيادة التي أضافها إلى المسجد الأعظم. ثم تطارح بزمنذ بن أرذون في السلم وأنفذ ابنه يلانة مع معن بن عبد العزيز صاحب جليقة فوصل به إلى قرطبة، وعقد له السلم وانصرف إلى أبيه. وألح المنصور على أرغومس من القوامس، وكانوا في طرت جليقية بين سمورة وقشتالة، وقاعدتهم شنت برية فافتتحها سنة خمس وثمانين. ثم هلك بزمنذ بن أرذون ملك بني أدفونش، وولي ابنه أدفونش وهو صاحب بسيط غرسية، واحتكما إلى عبد الملك بن المنصور فخرج أصغ بن سلمة قاضي النصارى للفصل بينهما فقضى به لمسد بن عبد شلب. فلم يزل أدفونش بزمنذ في كفاله إلى أن قتل غيلة سنة ثمان فاستبد أدفونش بأمره وطلب القواميس المقتدرين على أبيه وعلى من سلف من قومه برسوم الملك فحاز ذلك منهم لنفسه وبعث على نواحيهم من عنده، وأذعنوا له وسقط ذكرهم في وقته مثل بني أرغومس وبني فردلند الذين قدّمنا ذكرهم، وقد كان قيامهم أيام شانجة بن رذمير من بني أدفونش كما قدّمناه. جمعهم أدفونش للقاء عبد الملك المظفر بن المنصور فظاهرهم ملك البشكنس ولقيهم بظاهر فلونية فهزمهم وافتتح الحصن صلحاً. ثم انقرض أمر المنصور وبنيه، وجاءت الفتنة البربرية على رأس المائة الرابعة فانتهز الفرصة في المسلمين صاحب ألبية، وهر شانجة بن غرسية وصار يظاهر الفرقة الخارجة على الأخرى إلى أن أدرك بعض الأمل، وقتل ملك البشكنس سنة ست وأربعمائه وتغلب النصارى على ما كان عليه بقشتالة وجليقية. ولم يزل أدفونش ملكاً على جليقية وأعمالها. واتصل الملك في عقبه إلى أن كان شأن الطوائف. تغلب المرابطون ملوك المغرب من لمتونة على ملوك الطوائف، واستولوا على الأندلس وانقرض منها ملك العرب أجمع. وفي تواريخ لمتونة وأخبارهم أن ملك قشتالة الذي ضرب الجزية على ملوك الطوائف سنة خمسين وأربعمائه هو البيطيين، ويظهر أنه كان متغلباً على شانجة ابن أيرك الملك يومئذ من بني أدفونش، وهو مذكور في أخبارهم، وأنه لما هلك قام بأمره بنوه فردلند وغرسية ورذمير، وولي أمرهم فردلند، واحتوى على شنت برية وعلى كثير من عمل ابن الأفضس. ثم هلك وخلف شانجة وغرسية والفرنش فتنازعوا ثم خلص الملك لألفنش،

وعلى عهدہ مات الظاهر إسمعیل بن ذی النون سنة سبع وستین وأربعمائه  
وهو المستولي على طلیطلة سنة ثمان وسبعین، وهو يومئذ اعتزاز  
النصرانية بجزيرة الأندلس، وكان من بطارقتہ وقوامیس دولته البرهانس  
فكان یلقب

الانبيذور، ومعناه ملك الملوك. وهو الذي لقي يوسف بن تاشفين بالزلاقة، وكانت الدائرة عليه، وذلك سنة إحدى وثمانين. وحاصر ابن هود في سرقسطة، وكان ابن عمه رذمير منازعا له فزحف إلى طليطلة وحاصرها فامتعت عليه، وحاصر القسريلية وخرسية المرية والبرهانس مرسية وقسطون شاطبة وسرقسطة. ثم استولى على بلنسية سنة تسع وثمانين، وارتجعها المرابطون من يده بعد أن غلبوا ملوك الطوائف على أمرهم. ثم مات الفنش سنة إحدى وخمسمائة، وقام بأمر الجلالة زوجته، وتزوجت رذمير ثم فارقت، وتزوجت بعده قمطاً من أقماطها، وجاءت منه بولد كانوا يسمونه السليطين، وأوقع ابن رذمير بابن هود سنة ثلاث وخمسمائة الواقعة المشهورة التي استشهد فيها. وملك ابن رذمير سرقسطة وفر عماد الدولة وابنه إلى روضة فأقام إلى أن استنزل السليطين، ونقله إلى قشتالة. ثم كانت بين رذمير وأهل قشتالة حرب هلك فيها البرهانس سنة سبع وخمسمائة وذلك لآخر أيام المرابطون بلمتونة. ثم انقرض أمرهم على يد الموحدين. وكان أمر النصارى لعهد المنصور يعقوب ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن، كان دائراً بين ثلاثة من ملوكهم الفنش والبيوح وابن الرند، وكبيرهم الفنش، وهو أميرهم يوم الأرك الذي كان للمنصور عليهم سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، والبيوح صاحب ليون هو الذي مكر بالناصر عام العقاب فداخله وقدم عليه، وأظهر له التنصيح فبذل له أموالاً ثم غدر به وكر عليه الهزيمة يوم العقاب. ثم هلك الناصر وولي المستنصر، وفشل ريح بني عبد المؤمن، واستولى الفنش على جميع ما افتتحه المسلمون من معقل الأندلس وارتجعها. ثم هلك الفنش وولي ابنه هراندة، وكان أحول، وكان يلقب بذلك وهو الذي ارتجع قرطبة واشبيلية من أيدي بني هود، وعلى عهده زحف ملك أرغون فارتجع شرق الأندلس كله شاطبة ودانية وبلنسية وسرقسطة، وسائر الثغور والقواعد الشرقية. وانحاز المسلمون إلى سيف البحر، وملكوا عليهم ابن الأحمر بعد وياه ابن هود. ثم هلك هراندة وولي ابنه، ثم هلك ابنه وولي ابنه هراندة وأجاز بنو مرين إلى الأندلس صريحاً لابن الأحمر، وسلطانهم يومئذ يعقوب بن عبد الحق فلقيته جموع النصرانية بوادلك، وعليهم ذنبة من أقباط بني أدفونش وزعمائهم

فهزمهم يعقوب بن عبد الحق، وبقيت فتن متصلة، ولم يلقه يعقوب، وإنما كان يغزو بلادهم ويكثر فيها العيث إلى أن القوه بالسلم، وخالف على هراندة ملك قشتالة هذا إبنه شانجة فوفد هراندة على يعقوب بن عبد الحق صريحاً،

وقبل يده فقبل وفادته وأمده بالمال والجيش ورهن في المال التاج المعروف من ذخائر سلفهم فلم يزل بدار بني عبد الحق من بني مرين لهذا العهد. ثم هلك هراندة ثلاث وثمانين، واستقل ابنه شانجة بالملك، ووفد على يوسف بن يعقوب بالجزيرة الخضراء بعد مهلك أبيه يعقوب، وعقد معه السلم. ثم انتقض وحاصر طريف وملكها، وهلك سنة ثلاث وتسعين فولي ابنه هراندة. ثم هلك سنة إثنى عشرة وسبعمئة فولي ابنه بطرة صغيراً، وكفله عمه جران، وكان نزلها جميعاً على غرناطة عند زحفهما إليها سنة ثمان عشرة وسبعمئة، فولي ابنه الهنشة بن بطرة صغيراً، وكفله زعماء دولتهم. ثم استبد بأمره وزحف إلى السلطان أبي الحسن وهو محاصر لطريف سنة إحدى وخمسين فهلك في الطاعون الجارف، وملك ابنه بطرة وقرابته القمط برشلونة فأجاره ملكها وزحف إليه بطرة مراراً وتغلب على كثير من أعماله. وحاصر بلنسية مراراً. ثم أتيح الغلب للقمط سنة ثمان وسبعين وسبعمئة فاستولى على بلاد قشتالة. وزحفت إليه أمم النصرانية لما كانوا سئموا من عنف بطرة وسوء ملكته، ولحق بطرة باسم الفرنجة الذين وراء قشتالة في الجوف بجهات الليمانية وفرطانية إلى سيف البحر الأخضر وجزيرة قدوح شنت مزين ملكهم الأعظم، وهو البلنس غالس. وجاء معه مدداً بأمم لا تحصى حتى ملك قشتالة والقرنتيرة ورجعوا عنه إلى بلادهم بعد أن أصابهم وباء هلك الكثير منهم. ثم اتصلت الحرب بين بطرة وأخيه القمط إلى أن غلبه القمط، واعتصم منه بطرة ببعض الحصون، ونازله القمط، حتى إذا أشرف على أخذه بعث بطرة إلى بعض الزعماء سراً لنيل النزول في جواره فأجابه، ووشى به لأخيه القمط فكسبه في بيت ذلك الزعيم وقتله سنة إثنين وسبعين وسبعمئة. واستولى على ملك بني أدفونش أجمع، واستنزل ابن أخيه بطرة من قرمونة. وقد كان اعتصم بها بعد مهلك أبيه مع وزيره مرتين لابس هو. واستقام له ملك قشتالة، ونازعه إبلنس غالس ملك الأفرنجة بالابن الذي هو من بنت بطرة، على عادة العجم في تمليك ابن البنت محتجاً بأن القمط لم يكن لرشدة. واتصلت الحرب بينهما، وشغله ذلك عن المسلمين فامتنعوا من الجزية التي كانت عليهم لمن قبله. وهلك هذا القمط سنة إحدى وثمانين وسبعمئة فملك ابنه

شانجة، وفرّ ابنه الآخر غرمس إلى غرناطة. ثم رجع إلى نواحي قشتالة،  
والأمر على ذلك لهذا العهد، وفتنتهم مع الفنش ملك الفرنج موصولة،  
وعاديتهم لذلك عن المسلمين مرفوعة، والله من ورائهم محيط. وأما ملك

البرتغال بجهة أشبونة غرب الأندلس، ومملكته صغيرة، وهي من أعمال جليقية، وصاحبها لهذا العهد متميز بسمته. وملكه مشارك لابن أدفونش في نسبه. ولا أدري كيف يتصل نسبه معهم. وأمّا ملك برشلونة بجهة شرق الأندلس فعمالتهم واسعة، ومملكتهم كبيرة تشتمل على برشلونة بجهة وارغون وشاطبة وسرقسطة وبلنسية وجزيرة دانية وميورقة وبنورقة، ونسبهم في الفرنج، وسياق الخبر عن ملكهم ما نقل ابن حيان أن الغوط الذين كانوا بالأندلس كانوا قديماً في ملك الفرنج، ثم اعتزموا عليهم وامتنعوا ونبذوا إليهم عهدهم وكانت برشلونة من ممالك الفرنج وعمالاتهم فلما جاء الله بالإسلام، وكان الفتح، قعد الفرنج عن نصر الغوط لتلك العداوة فلما انقضى أمر الغوط، زحف المسلمون إلى الفرنج فأزعجهم عن برشلونة وملكوها. ثم تجاوزوا الدروب من ورائها إلى البسائط بالبر الكبير فملكوا من قواعدها جزيرة أربونة وما إليها من تلك البسائط. ثم كانت فترة عند انقراض الدولة الأموية بالمشرق، وبداية الدولة العباسية افتتن فيها العرب بالأندلس، وانتهاز الفرنج فرصتهم فارتجعوا بلادهم إلى برشلونة فملكوها لهذا العهد مائتين من الهجرة، وولّوا عليهم من قبلهم، وصار أمرها راجعا إلى ملك رومة من الفرنجة، وهو قارله الأكبر، وكان من الجبابرة. ثم ركبهم من الخلاف والمنافسة في أوقات ضعفهم واختلاف ملوكهم كالذي ركبهم المسلمون من ضعفته يده من الملوك فاقتطع الأمراء نواحيهم بكل جهة، فكان ملوك برشلونة هؤلاء ممن اقتطع عمله، وكان ملوك بني أمية لأول دولتهم يتراضون بمهادنة هؤلاء الملوك أهل برشلونة حذراً من مدد صاحب رومة، ثم صاحب القسطنطينية من ورائه. فلما كانت دولة المنصور بن أبي عامر بين إقطاع برشلونة عن ملك الفرنج، شمر المنصور لغزوهم، واستباح بلادهم، وأتخن في أعمالهم، وافتتح برشلونة وخربها، وانزلى بهم النقمات. وملكهم لعده بردويل بن سير وكانت حالة الظهور عليه كحاله مع سائر الملوك النصارى ولما هلك بردويل ترك من الولد فلية وريند وأومنقود. ثم انتقض أومنقود على عبد الملك بن المنصور فغزاه وأخذه في بعض ثغوره صلحاً. ثم كانت الفتنة البربرية وحضرها أومنقود فهلك في الواقعة مع البربر سنة أربعمائه، وانفرد بيمند بملك

برشلونة إلى أن هلك بعد عشر وأربعمائه، وملك ابنه يلتنغير وكفلته أمه  
وحاربت



يحيى بن منذر من ملوك الطوائف، وهي التي تغلبت على ثغر طرشوشة، واتصل الملك في عقب بيمند. وكان الملك منهم لآخر دولة الموحدين جامعة بن بطرة بن أدفونش بن ريند، وهو الذي ارتجع بلنسية وملكهم بهذا العهد إسمه بطرة. ولم يبلغني كيف اتصال نسبه بقومه. وملك بعد العشرين من هذه المائة وهو حيّ لهذا العهد، وابنه غالب عليه لكبر سنه. والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

أخبار القائمين بالدولة العباسية من العرب المستبدين بالنواحي ونبد أ منهم بينى الأغلب ولاة إفريقية واولية أمرهم ومصائر أحوالهم:

قد ذكرنا في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه شأن فتح إفريقية على يد عبد الله بن أبي سرح، وكيف زحف إليها في عشرين ألفاً من الصحابة وكبار العرب ففض جموع النصرانية الذين كانوا بها من الفرنجة والروم والبربر، وهدم سببلة قاعدة ملكهم وخرّبها، وواستبيحت أموالهم وسبيت نساؤهم وبناتهم، وأفترق أمرهم وساخت خيول العرب في جهات إفريقية، وأثخنوا بها في أهل الكفر قتلاً وأسراً، حتى لقد طلب أهل إفريقية من ابن أبي سرح أن يرحل عنهم بالعرب إلى بلادهم، ويعطوه ثلاثمائة قنطار من الذهب ففعل، وقفل إلى مصر سنة سبع وعشرين.

معاوية بن خديج:

ثم أغزى معاوية بن أبي سفيان معاوية بن خديج السكوني إفريقية سنة أربع وثلاثين، وكان عاملاً على مصر فغزاها ونازل جلولاء، وقاتل مدد الروم الذي جاءها من قسطنطينيه لقيهم بقصر الأحمر فغلبهم، وأقلعوا إلى بلادهم، وافتتح جلولاء، وغنم وأثخن وقفل.

عقبة بن نافع:

ثم ولى معاوية سنة خمس وأربعين عقبة بن نافع بن عبد الله بن قيس الفهري على إفريقية واقتطعها عن معاوية بن خديج فبنى القيروان، وقاتل البربر، وتوغّل في أرضهم.

أبو المهاجر:

ثم استعمل معاوية على مصر وإفريقية مسلمة بن مخلد فعزل عقبة عن إفريقية، وولى مولاه أبا المهاجر ديناراً سنة خمس وخمسين فغزا المغرب، وبلغ إلى تلمسان، وخرب قيروان عقبة وأساء عزله، وأسلم على يديه كسيله الأوربي بعد حرب ظفر به فيها.

عقبة بن نافع ثانياً:

ولما استقل يزيد بن معاوية بالخلافة، رجع عقبة بن نافع إلى إفريقية سنة إثنين وستين فدخل إفريقية، وقد نشأت الردّة في البرابرة فزحف إليهم، وجعل مقدمته زهير بن قيس البلوي، وفرّ منه الروم والفرنجة فقاتلهم، وفتح حصونهم مثل لميس وباغاية، وفتح أذنة قاعدة الزاب بعد أن قاتله ملوكها من البربر فهزمهم، وأصاب من غنائمهم، وحبس أبا المهاجر فلم يزل في اعتقاله. ثم رحل إلى طنجة فأطاعه بلبان ملك غمارة، وصاحب طنجة، وهاداه وأتحفه ودله على بلاد البربر وراءه بالمغرب، مثل ويلي عند زرهون، وبلاد المصامدة وبلاد السرس، وكانوا على دين المجوسية، ولم يدينوا بالنصرانية فسار عقبة وفتح وغنم وسبى، وأثخن فيهم وانتهى إلى السوس. وقاتل مسوفة من أهل اللثام وراء السوس، ووقف على البحر المحيط وقفل راجعاً،

وأذن لجيوشه في اللحاق بالقيروان. وكان كسيلة ملك أروبة والبرانس من البربر قد اضطغن عليه بما كان يعامله به من الاحتصار، يقال إنه كان يحاصره في كل يوم، ويأمره بسلب الغنم إذا ذبحت لمطبخه فانتهر فيه الفرصة، وأرسل البربر فاعترضوا له في تهودا وقتلوه في ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين، واستشهدوا كلهم. وأسر في تلك الواقعة محمد ابن أوس الأنصاري في نفر فخلصهم صاحب قفصة، وبعث بهم إلى القيروان مع من كان بها من المخلفين والذراري. ورجع زهير بن قيس إلى القيروان، واعتزم على القتال، وخالفه حنش بن عبد الله الصنعاني، وارتحل إلى مصر، واتبعه الناس فاضطر زهير إلى الخروج معهم، وانتهى إلى برقة فأقام بها مرابطاً، واستأمن من كان بالقيروان إلى كسيلة فأمنهم، ودخل القيروان وأقاموا في عهده.

زهير بن قيس البلوي:

ولما ولي عبد الملك بن مروان بعث إلى زهير بن قيس مكانه من برقة بالمدد وولاه حرب البرابرة فزحف سنة سبع وستين، ودخل إفريقية ولقيه كسيلة على ميس من نواحي القيروان فهزمه زهير بعد حروب صعبة، وقتله واستلحم في الواقعة كثير من أشرف البربر ورجالاتهم. ثم قفل زهير إلى المشرق زاهداً في الملك وقال: إنما جئت للجهاد، وأخاف أن نفسي تميل إلى الدنيا، وسار إلى مصر، واعترضه بسواحل برقة أسطول صاحب قسطنطينية جاؤوا لقتاله فقاتلهم، واستشهد رحمه الله تعالى.

حسان بن النعمان الغساني:

ثم أن عبد الملك بن مروان بعد أن مل عبد الله بن الزبير، وصفا له الأمر أمر حسان بن النعمان الغساني بغزو إفريقية، وأمدّه بالعساكر، ودخل القيروان وافتتح قرطاجنة عنوة وخربها وفر من كان بها من الروم والفرنجة إلى صقلية والأندلس، ثم اجتمعوا

في صطفورة وبنزرت، وهزمهم ثانية. وانحاز الفل إلى باجة وبونة فتحصنوا بها. ثم سار حسان إلى الكاهنة ملكة جرارة بجبل أوراس، وهي يومئذ أعظم ملوك البربر فحاربها، وانهزم المسلمون وأسر منهم جماعة. وأطلقتهم الكاهنة سوى خالد بن يزيد القيسي فإنها أمسكته وأرضعته مع ولديها وصيرته أخاً لهما. وأخرجت العرب من إفريقية، وانتهى حسان إلى برقة، وجاءه كتاب عبد الملك بالمقام حتى يأتيه المدد. ثم بعث إليه المدد سنة أربع وسبعين فسار إلى إفريقية، ودس إلى خالد بن يزيد يستعمله فأطلعه على خبرهم، واستحثه فلقى الكاهنة وقتلها، وملك جبل أوراس وما إليه، ودوخ نواحيه وانصرف إلى القيروان، وأمن البربر، وكتب الخواج عليهم وعلى من معهم من الروم والفرنج، على أن يكون معه اثنا عشر ألفاً من البربر لا يفارقونه في مواطن جهاده ورجع إلى عبد الملك، واستخلف على إفريقية رجلاً اسمه صالح من جنده.

موسى بن نصير:

ولما ولي الوليد بن عبد الملك كتب إلى عمه عبد الله، وهو على مصر، - ويقال عبد العزيز- أن يبعث بموسى بن نصير إلى إفريقية، وكان أبوه نصير من حرس معاوية فبعثه عبد الله، وقدم القيروان، وبها صالح خليفة حسان فعقد له، ورأى البربر قد طمعوا في البلاد فوجه البعوث في النواحي، وبعث ابنه عبد الله في البحر إلى جزيرة ميورقة فغنم منها وسبى وعاد. ثم بعثه إلى ناحية أخرى وابنه مروان كذلك، وتوجه هو إلى ناحية فغنم منها وسبى. وعاد وبلغ الخمس من المغنم سبعين ألف رأس من السبي. ثم غزا طنجة، وافتتح درعة لسلطانه ودولته، وأخذ رهائن المصامدة، وانزلهم بطنجة، وذلك سنة ثمان وثمانين، وولى عليها طارق بن زياد الليثي. ثم أجاز طارق إلى الأندلس دعاه إليها بلبان ملك غمارة فكان فتح الأندلس سنة تسعين. وأجاز موسى بن نصير على أتره فكمل فتحها كما ذكرناه. ثم قفل موسى إلى الشرق واستخلف على إفريقية ابنه عبد الله، وعلى الأندلس عبد العزيز، وهلك الوليد، وولي سليمان سنة ست وتسعين فسخط موسر وحيسه.

محمد بن يزيد:

ولما ولي سليمان، وحبس موسى بن نصير عن ابنه عبد الله عن إفريقية، ولى مكانه محمدا بن يزيد مولى قريش فلم يزل عليها حتى مات سليمان.

إسماعيل بن أبي المهاجر:

ولما مات سليمان استعمل عمر بن عبد العزيز على إفريقية إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر، وكان حسن السيرة، واسلم جميع البربر في أيامه.

يزيد بن أبي مسلم:

ولما تولى يزيد بن عبد الملك، ولي على إفريقية يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج، وكاتبه فقدم سنة إحدى ومائة، وأساء السيرة في البربر، ووضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة منهم تأسياً بما فعله الحجاج بالعراق فقتله البربر لشهر من ولايته. ورجعوا إلى محمد بن يزيد مولى من الأنصار الذين كان عليهم قبل إسماعيل، وكتبوا إلى يزيد بالطاعة والعذر عن قتل ابن أبي مسلم فأجابهم بالرضاء، وأقر محمد بن أبي يزيد على عمله.

بشر بن صفوان الكلبي:

ثم ولي يزيد على إفريقية بشر بن صفوان الكلبي فقدمها سنة ثلاث ومائة فمهدّها، وسكن أرجاءها وغزا بنفسه صقلية سنة تسع، وهلك مرجعه عنها.

عبيدة بن عبد الرحمن:

ثم عزل هشام بن عبد الملك بشر بن صفوان عن إفريقية، وولى مكانه عبيدة بن عبد الرحمن السلمي وهو ابن أخي أبي الأعور فقدمها سنة عشر.

عبيدة الله بن الحبحاب:

ثم عزل هشام عبيدة بن عبد الرحمن، وولى مكانه عبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول، وكان والياً على مصر فأمره أن يمضي إلى إفريقية، واستخلف على مصر ابنه أبا القاسم وسار إلى إفريقية فقدمها سنة أربع عشرة، وبنى جامع تونس، واتخذ لها دار الصناعة لإنشاء المراكب البحرية. وبعث إلى طنجة ابنه إسمعيل، وجعل معه عمر بن عبيد الله المرادي. وبعث على الأندلس عقبة بن حجاج القيسي. وبعث حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع غازياً إلى المغرب فبلغ السوس الأقصى وأرض السودان، وأصاب من مغانم الذهب والفضة والسبي كثيراً، ودوخ بلاد المغرب وقبائل البربر ورجع. ثم أغزاه ثانية في البحر إلى صقلية سنة إثنين وعشرين، ومعه عبد الرحمن بن حبيب فنازل سرقوسة أعظم مدائن صقلية، وضرب عليهم الجزية وأثنى في سائر الجزيرة. وكان محمد بن عبيد الله بطنجة قد أساء السيرة في البربر، وأراد أن يخمس من أسلم منهم، وزعم أنه الفيء فأجمعوا الانتقاض، وبلغهم مسير العساكر مع حبيب بن أبي عبيدة إلى صقلية فسار ميسرة المظفرى بدعوة الصفيرية من الخوارج، وزحف إلى طنجة فقتل عمر بن عبيد الله وملكها، واتبعه البربر وبايعوه بالخلافة، وخاطبوه بأمر المؤمنين، وفشت مقاتله في سائر القبائل بإفريقية. وبعث ابن الحبحاب إليه خالد بن حبيب الفهري فيمن بقي معه من العساكر. واستقدم حبيب بن أبي عبيدة من صقلية ومن معه من العساكر، وبعثه في أثر خالد، ولقيهم ميسرة والبربر بناحية طنجة فاقتتلا قتالاً شديداً. ثم تحاجزوا، ورجع

ميسرة إلى طنجة فكره البربر سوء سيرته فقتلوه، وولّوا عليهم مكانه خالد بن حبيب الزناتي. واجتمع إليه البربر، ولقيه خالد ابن حبيب في العرب وعساكر هشام فانهزموا، وقتل خالد بن حبيب وجماعة من العرب وسميت بهم غزوة الاشراف، وانتقضت أفريقية على ابن الحبحاب، وبلغ الخبر إلى الأندلس فعزلوا عامله عقبة بن الحجاج وولوا عبد الملك بن قطن كما مرّ.  
كلثوم بن عياض:

ولما انتهى الخبر إلى هشام بن عبد الملك. بهزيمة العساكر بالمغرب، إستنقص ابن الحبحاب وكتب إليه يستقدمه، وولّى على إفريقية سنة ثلاث وعشرين كلثوم بن عياض، وعلى مقدمته بلخ بن بشر القشيريّ فأساء إلى أهل القيروان، فشكوا إلى حبيب بن أبي عبيدة، وهو بتلمسان موافق للبربر، فكتب إلى كلثوم بن عيّاض ينهاه ويتهدّده فاعتذر وأغضى له عنها، ثم سار واستخلف على القيروان عبد الرحمن بن عقبة، ومر على طريق سببية، وانتهى إلى تلمسان، ولقي حبيب بن عبيدة واقتتلا، ثم اتفقا ورجعا جميعاً. وزحف البرابرة إليهم على وادي طنجة وهو وادي سوا فانهزم بلخ في الطلائع، وانتهوا إلى كلثوم فانكشف واشتد القتال. وقتل كلثوم وحبيب بن أبي عبيدة، وكثير من الجند. وتحيّز أهل الشام إلى سببة مع بلخ بن بشر فحاصروهم البرابرة، وأرسلوا إلى عبد الملك بن قطن أمير الأندلس في أن يجيزوا إليه فأجابهم إلى ذلك بشرط أن يقيموا سنة واحدة. وأخذ رهنهم على ذلك، وانقضت السنة، وطالبهم بالشرط فقتلوه وملك بلخ الأندلس. وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع لما قتل أبوه حبيب مع كلثوم بن عيّاض، وأجاز بلخ إلى الأندلس فملكها فأجاز عبد الرحمن إلى الأندلس، يحاول ملكها. فلما جاء أبو الخطار إلى الأندلس من قبل حنظلة أيس عبد الرحمن من أمرها، ورجع إلى تونس سنة ست وعشرين، وقد توفي هشام، وولي الوليد بن يزيد فدعا لنفسه، وسار إلى القيروان، ومنع حنظلة من قتاله، وبعث إليه وجوه الجند فانتهز عبد الرحمن الفرصة فيهم واوثقهم لئلا يقاتله أصحابهم، وأغذ السير إلى القيروان فرحل حنظلة من

إفريقية، وقفل إلى المشرق سنة سبع وعشرين. واستقل عبد الرحمن  
بملك إفريقية، وولّى مروان



بن محمد فكتب له بولايتها، ثم ثارت عليه الخوارج في كلّ جهة فكان عمر بن عطاب الأزدي بطبنياش، وعروة بن الوليد الصفريّ بتونس، وثابت الصّنهاجيّ بباجة، وعبد الجبّار بن الحارث بطرابلس على رأي الاباضيّة فزحف عبد الرحمن إليهما سنة إحدى وثلاثين فظفر بهما، وقتلها، وسرّح أخاه الياس لابن عطاب فهزمه وقتله. ثم زحف إلى عروة بتونس فقتله، وانقطع أمر الخوارج. وزحف سنة خمس وثلاثين إلى جموع من البربر بنواحي تلمسان فظفر بهم، وقفل. ثم بعث جيشاً في البحر إلى صقلية، وآخراً إلى سردانية فأثخنوا في أمم الفرنج حتى استقروا بالجزء. ثم دالت دولة بني العباس، وبعث عبد الرحمن بطاعته إلى السفاح ثم إلى أبي جعفر من بعده. ولحق كثير من بني أمية إلى إفريقية. وكان ممن قدم عليه القاضي، وعبد المؤمن ابنا الوليد بن يزيد، ومعهما ابنة عمّ لهما فزوجها عبد الرحمن من أخيه الياس. ثم بلغ عبد الرحمن عنهما السعي في الخلافة فقتلها، وامتعضت لذلك ابنة عمهما فأغرس زوجها بأخيه عبد الرحمن و استفسدته. وكان عبد الرحمن قد أرسل إلى أبي جعفر بهدية قليلة، وذهب يعتذر عنها فلم يحسن العذر، وأفحش في الخطاب فكتب إليه المنصور يتهدده، وبعث إليه بالخلعة فانتقض هو ومزق خلعته على المنبر فوجد أخوه الياس بذلك السبيل إلى ما كان يحاول عليه، وداخل وجوها من الجند في الفتك بعبد الرحمن، وإعادة الدعوة للمنصور وماله في ذلك أخوه عبد الوارث و فطن عبد الرحمن لهما فأمر الياس بالمسير إلى تونس، وجاء ليودّعه ومعه أخوه عبد الوارث فقتلاه في آخر سبع وثلاثين لعشر سنين من إمارته.

حبيب بن عبد الرحمن:

ولما قتل عبد الرحمن نجا ابنه حبيب إلى تونس فلحق به بعد أن طلبوه، وضبطوا أبواب القصر ليأخذوه فلم يظفروا به. وكان عمّه عمران بن حبيب بتونس فلحق به، واتبعه الياس فاقتتلوا ملياً، ثم اصطلحوا على أن يكون لحبيب قفصة وقصطيبة ونغراوة، ولعمران تونس وصطغورة، وهي

تبرزو والجزيرة، ولالياس سائر إفريقية. وتمّ هذا الصلح سنة ثمان وثلاثين.  
وسار حبيب إلى عمله ببلاد الجريد، وسار الياس مع أخيه

عمران إلى تونس فغدر بعمران وقتله وجماعة من الأشراف معه، وعاد إلى القيروان. وبعث بطاعته إلى أبي جعفر المنصور مع عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قاضي إفريقية. ثم سار حبيب إلى تونس فملكهما، وجاء عمه الياس فقاتله، وخالفه حبيب إلى القيروان فدخلها وفتق السجون فرجع الياس في طلبه، وفارقه أكثر أصحابه إلى حبيب فلما توافقا دعاه حبيب إلى البراز فتبارزا وقتله حبيب، ودخل القيروان، وملكها آخر سنة ثمان وثلاثين، ونجا عمه الآخر عبد الوارث إلى وريجومة من قبائل البربر، وكبيرهم يومئذ عاصم بن جميل، وكان كاهنا ويدعي النبوة فأجار عبد الوارث، وقتلهم حبيب فهزموه إلى قابس. واستفحل أمرهم، وكتب من كان بالقيروان من العرب إلى عاصم بن جميل يدعونه للولاية عليهم، واستخلفوه على الحماية، والدعاء للمنصور فلم يجب إلى ذلك، وقتلهم فهزمهم، واستباح القيروان، وضرب المساجد واستهانها. ثم سار إلى حبيب بن عبد الرحمن بقابس فقاتله وهزمه، ولحق حبيب بجبل أوراس فأجاره أهله، وجاء عاصم فقاتلهم فهزموه، وقتل جماعة من أصحابه. وقام بأمر وريجومة والقيروان من بعده عبد الملك، وقتله سنة أربعين ومائة. وكانت إمارة الياس على إفريقية سنة ونصفا، وإمارة حبيب ثلاث سنين.

عبد الملك بن أبي الجعد الوريجمي:

ولما قتل عبد الملك بن أبي الجعد حبيب بن عبد الرحمن رجع في قبائل وريجومة إلى القيروان وملكها، واستولت وريجومة على إفريقية، وساروا في أهل القيروان بالعسف والظلم كما كان عاصم وأسوأ منه. وافترق أهل القيروان بالنواحي فراراً بأنفسهم، وشاع خبرهم في الافاق فخرج بنواحي طرابلس عبد الأعلى بن السمح المغافري الاباضي منكرًا لذلك، وقصد طرابلس وملكها.

عبد الأعلى بو السمح المغافري:

ولما ملك عبد الأعلى مدينة طرابلس ، بعث عبد الملك بن أبي الجعد العساكر لقتاله

سنة إحدى وأربعين فلقبهم أبو الخطاب وهزمهم، وأثنى فيهم،  
 واتبعهم إلى القيروان فملكها، وأخرج وربجومة منها واستخلف عليها عبد  
 الرحمن بن رستم، وسار إلى طرابلس للقاء العساكر القادمة من ناحية أبي  
 جعفر.

محمد بن الأشعث الخزاعي :

كان أبو جعفر المنصور، لما وقع بإفريقية ما وقع من الفتنة وملك قبائل  
 وربجومة الفيروان، وقد عليه زجالات من جند إفريقية يشكون ما نزل بهم  
 من وربجومة، ويستصرخونه فولّى على مصر وإفريقية محمد بن الأشعث  
 الخزاعي فنزل مصر، وبعث على إفريقية أبا الأحوص عمرو بن الأحوص  
 العجليّ. وسار في مقدمته فلقبه أبو الخطاب عبد الأعلى بسرت، ودهمه  
 بالعساكر ومعهم الأغلب بن سالم بن عقّال بن خفاجة بن سودة التميمي  
 فسار لذلك، ولقي أبا الخطاب بسرت ثانية فانهزم أبو الخطاب، وقتل عامة  
 أصحابه، وذلك سنة أربع وأربعين. وبلغ الخبر إلى عبد الرحمن بن رستم  
 بالقيروان ففرّ عنها إلى تاهرت وبنى هناك مدينة ونزلها، وقام ابن الأشعث  
 فافتتح طرابلس، واستعمل عليها المخارق غفاراً الطائي، وقام بأمر إفريقية  
 وضبطها. وولّى على طبنة والزاب الأغلب بن سالم. ثم ثارت عليه المضريّة  
 وأخرجوه سنة ثمان وأربعين فقفّل إلى المشرق الأغلب بن سالم. ولما قفل  
 بن الأشعث إلى المشرق ولى على المضريّة عيسى بن موسى الخراساني  
 فبعث أبو جعفر المنصور الأغلب بن سالم بن عقّال بن خفاجة التميمي بعده  
 على إفريقية، وكان من أصحاب أبي مسلم بخراسان. وقدم مع ابن الأشعث  
 فولّاه على الزاب وطبنة فقدم القيروان، وسكن الناس. ثم خرج عليه أبو  
 قُرّة اليفرني في جموع البربر فهرب وسكن \* فأبى عليه الجند وخلعوه.  
 وكان الحسن بن حرب الكندي بقابس فكاتب الجند، وثبطهم عن الأغلب  
 فلحقوا به، وأقبل بهم إلى القيروان فملكها، ولحق الأغلب بقابس. ثم رجع  
 إلى إقبال الحسن بن حرب سنة خمسين فهزمه، وسار إلى القيروان فكر  
 عليه الحسن دونها واقتلوا، وأصاب الأغلب سهم فقتله. وقدم أصحابه  
 عليهم المغافر بن غفار الطائي الذي كان على طرابلس، وحملوا على

الحسن فانهزم امامهم إلى تونس: ثم لحق بكتامة وخيل المخارق في  
اتباعه. ثم رجع إلى تونس بعد شهرين

فقتله الجند، وقيل أصحاب الأغلب قتلوه في الموقف الذي قتل فيه الأغلب، وقام بأمر إفريقية المخارق بن غفار إلى أن كان ما نذكره.

عمر بن هزار مرد:

ولم بلغ أبا جعفر المنصور قتل الأغلب بن سالم بعث على إفريقية مكانه عمر بن حفص هزار مرد، من ولد قبيصة بن ابي صفرة أخي المهلب فقدمها سنة إحدى وخمسين فاستقامت أموره ثلاث سنين. ثم سار لبناء السور على مدينة طبنة، واستخلف على القيروان أبا حازم حبيب بن حبيب المهلب فلما توجه لذلك ثار البربر بإفريقية، وغلبوا على من كان بها، وزحفوا إلى القيروان وقاتلوا أبا حازم فقتلوه واجتمع البربر الاباضية بطرابلس وولوا عليهم أبا حاتم يعقوب بن حبيب الأباضي مولى كندة، وكان على طرابلس الجنيد بن بشار الاسدي من قبل عمر بن حفص فأمدّه بالعساكر، وقاتلوا أبا حازم فهزمهم وحصرهم بقابس، وانقضت إفريقية من كل ناحية. ثم ثاروا في عسكر إلى طبنة وحاصروا بها عمر بن حفص، فيهم أبو قُرّة اليعقوبي في أربعين ألفاً من الصفرية وعبد الرحمن بن رستم في خمسة عشر ألفاً من الاباضية جاؤوا معه، والمسور الزناتي في عشرة آلاف من الاباضية، وأمم من الخوارج، من صنهجة وزناتة وهوارة ما لا يحصى فدافعهم عمر بن حفص بالأموال، وفرق كلمتهم وبذل لأصحاب أبي قُرّة ما لا فانصرفوا. واضطر أبو قُرّة لاتباعهم فبعث عمر جيشا إلى ابن رستم

وهو بتهودا فانهزم إلى تاهرت وضعف الاباضية عن حصار طبنة فافرجوا عنها، وسار أبو حاتم إلى القيروان، وحاصرها ثمانية أشهر، واشتد حصارها. وسار عمر بن حفص، وجهز العساكر لطبنة فخالفه أبو قُرّة إلى طبنة فهزموه. وبلغ أبا حاتم وأصحابه وهو على القيروان مسير عمر بن حفص إليهم فساروا للقاءه فمال هو من الاربس إلى تونس، ثم جاء إلى القيروان فدخلها واستعدّ للحصار، واتبعه أبو حاتم والبربر فحاصروه إلى أن جهده الحصار، وخرج لقتالهم مستميتاً فقتل آخر سنة حميد بن صخر فوآح أبا حاتم على أنه يقيم دعوة العباسية بالقيروان، وخرج أكثر الجند إلى طبنة، وأحرق أبو حاتم أبواب القيروان وثلم سورها.

يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب:

ولما بلغ المنصور انتفاض أفريقية على عمر بن حفص، وحصاره بطبنة ثم بالقيروان، بعث إليه يزيد بن أبي حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة في ستين ألف مقاتل. وبلغ خبره عمر بن حفص فحملة ذلك على الاستماتة حتى قتل، وسار يزيد بن حاتم فقدم عليها، وأبو حاتم يعقوب بن حبيب مستولٍ عليها فسار إلى طرابلس للقاءه، واستخلف على القيروان عمر بن عثمان الفهريّ فانتقض وقتل أصحابه، وخرج المخارق بن غفار فرجع إليهما أبو حاتم ففرا من القيروان، ولحقا بجيجل من سواحل كتامة فتركهما، واستخلف على القيروان عبد العزيز بن السبع المغافري، وسار للقاء يزيد. وسار يزيد إلى طرابلس فلحق أبو حاتم بجبال نفوسة، واتبعته عساكر يزيد فهزمهم فسار إليه يزيد بنفسه. وقاتله قتالاً شديداً فانهزم البربر، وتتل أبو حاتم في ثلاثين ألفاً من أصحابه، وتتبعهم يزيد بالقتل بثأر عمر بن حفص. ثم ارتحل إلى القيروان فدخلها منتصف سنة خمس وخمسين. وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهريّ مع أبي حاتم فلحق بكتامة، وبعث يزيد في طلبه فحاصروهم، ثم ظفروا بهم. وهرب عبد الرحمن، وقتل جميع من كان معه. وبعث يزيد المخارق بن غفار على الزاب، ونزل طبنة، وأثخن في البربر في وقائع كثيرة مع ورجومة وغيرهم إلى أن هلك يزيد، سنة سبعين ومائة في خلافة هارون الرشيد، وقام بأمره ابنه داود فخرج عليه البربر، وأوقع بهم، ورجع إلى القيروان إلى أن كان من أمره ما نذكر.

أخوه روح بن حاتم:

ولم بلغ الرشيد وفاة يزيد بن حاتم، وكان أخوه روح على فلسطين استقدمه وعزّاه في أخيه، وولاه على إفريقية فقدمها منتصف إحدى وسبعين. وسار داود ابن أخيه يزيد إلى الرشيد. وكان يزيد قد أذل الخوارج ومهّد البلاد فكانت ساكنة أيام روح، ورغب في موادة عبد الوهاب بن رستم، وكان من الوهبيّة فوادعه. ثم هلك روح

في رمضان سنة أربع وسبعين، وكان الرشيد قد بعث بعهدده سرّاً إلى نصر بن حبيب من قرابتهم فقام بالأمر بعد روح إلى أن ولي الفضل. ابنه الفضل بن روع:

ولما توفي روح بن حاتم قام حبيب بن نصر مكانه، وسار ابنه الفضل إلى الرشيد فولاه على إفريقية مكان أبيه فعاد إلى القيروان في محرّم سنة سبع وسبعين، واستعمل على تونس المغيرة ابن أخيه بشر بن روح، وكان غلاماً غراً فاستخف بالجند، واستوحشوا من الفضل لما أساء فيهم السيرة، واخذهم بموالة حبيب بن نصر فاستعفى أهل تونس من المغيرة فلم يعفهم، فانتقضوا وقدموا عليهم عبد الله بن الجارود، ويعرف بعبد ربه الأنباري، وبايعوه على الطاعة، وأخرجوا المغيرة، وكتبوا إلى الفضل أن يولي عليهم من أراد فولى عليهم ابن عمّه عبد الله بن يزيد بن أبي حاتم، وسار إلى تونس. ولما قاربها بعث ابن الجارود جماعة لتلقّيه، واستفهامه في أيّ شيء جاء فعدوا عليه وقتلوه افتئاناً بذلك على ابن الجارود واضطر إلى إظهار الخلاف، وتولى كبر ذلك محمد بن الفارسي من قوّاد الخراسانية، وكتب إلى القوّاد والعمّال في النواحي، واستفسدهم على الفضل. وكثر جموع ابن الجارود، وخرج الفضل فانهمز واتبعه ابن الجارود، واقتحم عليه القيروان. ووكل به وبأهله من يوصلهم إلى قابس. ثم رده من طريقه وقتله منتصف ثمان وسبعين. ورجع ابن الجارود إلى تونس، وامتعص لقتل الفضل جماعة من الجند وفي مقدّمهم مالك بن المنذر ووثبوا بالقيروان فملكوها، وسار إليهم ابن الجارود من تونس فقتلهم، وقتل مالك بن المنذر وجماعة من أعيانهم، ولحق ففهم بالأندلس فقدموا عليهم الصلت بن سعيد، وعادوا إلى القيروان واضطربت إفريقية.

خزيمة بن أعين:

ولما بلغ الرشيد مقتل الفضل بن روح، وما وقع بإفريقية من الإضطراب، ولّى



مكانه خزيمة بن أعين، وبعث إلى ابن الجارود يحيى بن موسى لمحله عند أهل خراسان. ويقال يقطين يرغبه في الطاعة فأجابه بشرط الفراغ من العلاء بن سعيد. وعلم يقطين أنه يغالطه فداخل صاحبه محمد بن الفارسي، واستماله فنزع عن ابن الجارود. وخرج ابن الجارود من القيروان فراراً من العلاء في محرّم سنة تسع وسبعين لسبعة أشهر من ولايته وسار للقاء ابن الفارسي من القيروان، وتزاحفا للقتال فدعا ابن الجارود ابن الفارسي إلى و من أصحابه يغتاله في خلوتهما فقتله، وانهزم أصحابه وسابق العلاء بن سعيد ويقطين إلى القيروان فسبق إليها العلاء، وملكها وفتك في أصحاب ابن الجارود. ولحق ابن الجارود بهرثمة فبعث به إلى الرشيد، وكتب إليه أن العلاء بن سعيد هو الذي أخرجه من القيروان فأمره بأن يبعث بالعلاء فبعث به مع يقطين، فاعتقل ابن الجارود واحسن إلى العلاء إلى أن توفي بمصر. وسار هرثمة إلى القيروان فقدمها سنة سبع وسبعين فأمن الناس وسكنهم، وبنى القصر الكبير بالمنستير لسنة من قدومه، وبنى السور على طرابلس مما يلي البحر. وكان إبراهيم بن الأغلب عاملاً على الزاب وطبنة فهاده، ولاطفه فعقد له على عمله فقام بأمره وحسن أثره. ثم خرج عليه عياض بن وهب الهواري، وكليب بن جميع الكلبي، وجمعا الجموع فسرح هرثمة إليهما يحيى بن موسى من قواد الخراسانية ففرّق جموعهما، وقتل كثيراً من أصحابهما، ورجع إلى القيروان. ولما رأى هرثمة كثرة الثوار والخلاف بإفريقية استعفى الرشيد من ولايتها فأعفاه، ورجع إلى العراق لسنتين ونصف من ولايته.

محمد بن مقاتل الكعبي:

ثم بعث الرشيد على إفريقية محمد بن مقاتل الكعبي وكان صنيعته فقدم القيروان في رمضان سنة إحدى وثمانين، فكان سيئ السيرة فاختلف عليه الجند، وقدّموا مخلد بن مرة الأزدي فبعث إليه العساكر فهزم وقتل. ثم خرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي سنة ثلاث وثمانين، واجتمع إليه الناس، وسار إلى القيروان فخرج إليه محمد بن مقاتل، ولقيه فانهزم أمامه ورجع إلى القيروان، وتمام في اتباعه إلى أن

دخل عليه القيروان، وأمنه تمام علي أن يخرج عن إفريقية، فسار محمد إلى طرابلس، وبلغ الخبر إلى إبراهيم بن الأغلب بمكانه من الزاب فانتفض لمحمد، وسار بجموعه إلى القيروان، وهرب تمام بين يديه إلى تونس، وملك القيروان. واستقدم محمد بن مقاتل من طرابلس، وأعادته إلى إمارته بالقيروان آخر ثلاث وثمانين، وزحف تمام لقتالهم فخرج إليه إبراهيم بن الأغلب بأصحابه فهزمه، وسار في اتباعه إلى تونس. واستأمن له تمام فأمنه، وجاء به إلى القيروان وبعث به إلى بغداد فاعتقله الرشيد.  
إبراهيم بن الأغلب:

ولما استوثق الأمر لمحمد بن مقاتل، كره أهل البلاد ولايته، وداخلوا إبراهيم بن الأغلب في أن يطلب من الرشيد الولاية عليهم فكتب إبراهيم إلى الرشيد في ذلك، على أن يترك المائة ألف دينار التي كانت من مصر إلى إفريقية وعلى أن يحمل هو من إفريقية أربعين ألفاً. وبلغ الرشيد غناءه في ذلك، واستشار فيه أصحابه فأشار هرثمة بولايته فكتب له بالعهد إلى إفريقية، منتصف أربع وثمانين فقام إبراهيم بالولاية، وضبط الأمور. وقفل ابن مقاتل إلى المشرق، وسكنت البلاد بولاية ابن الأغلب وابتنى مدينة العباسية قرب القيروان، وانتقل إليها بجملته. وخرج عليه سنة ست وثمانين بتونس حمديس من رجالات العرب، ونزع السواد فسرح إليه ابن الأغلب عمران بن مجالد في العساكر فقاتله، وانهزم حمديس، وقتل من أصحابه نحو عشرة آلاف. ثم صرف همه إلى تمهيد المغرب الأقصى، وقد ظهر فيه دعوة العلوية بإدريس بن عبد الله. وتوفي ونصب البرابرة ابنه الأصغر، وقام مولاه راشد بكفالته، وكبر إدريس، واستفحل أمره براشد فلم يزل إبراهيم يدسّ إلى البربر، ويسرّب فيهم الأموال حتى قتل راشد، وسبق رأسه إليه. ثم قام بأمر إدريس بعده بهلول عبد الرحمن المظفر من رؤس البربر فاستفحل أمره، فلم يزل إبراهيم يتلطفه ويستميله بالكتب والهدايا، إلى أن انحرف عن دعوة الأدارسة إلى دعوة العباسية فصالحه إدريس، وكتب إليه يستعطفه بقرابته من رسول الله ﷺ فكفّ عنه. ثم خالف أهل طرابلس على إبراهيم بن الأغلب سنة تسع وثمانين، وثاروا

بعاملهم سفيان بن المهاجر، وأخرجوه من داره إلى المسجد وقتلوا عامه أصحابه. ثم أمنوه على أن يخرج من طرابلس فخرج سفيان لشهر من ولايته، واستعملوا عليهم إبراهيم بن سفيان التميمي فبعث إليهم إبراهيم بن الأغلب العساكر، وهزمهم، ودخل طرابلس عسكره. ثم استحضر إبراهيم الذين تولوا كبر ذلك فحضرُوا في ذي الحجة آخر السنة، وعفا عنهم وأعادهم إلى بلدهم. ثم انتقض عمران بن مجالد الربيعي سنة خمس وتسعين على ابن الأغلب. وكان بتونس، واجتمع معه على ذلك قريش بن التونسي، وكثرت جموعهما. وسار عمران إلى القيروان فملكها، وقدم عليه قريش من تونس، وخذق إبراهيم على نفسه بالعباسية فحاصروه سنة كاملة، كانت بينه وبينهم حروب كان الظفر في آخرها لابن الأغلب. وكان عمران يبعث إلى اشد بن الفرات القاضي في الخروج إليهم وامتنع. ثم بعث الرشيد إلى إبراهيم بالمال فنأدى في الناس بالعطاء، ولحق به أصحاب عمران، وانتقض أمره ولحق بالزاب فأقام به إلى أن توفي ابن الأغلب. ثم بعث إبراهيم على طرابلس ابنه عبد الله سنة ست وتسعين فثار عليه الجند وحاصروه بداره. ثم أمنوه على أن يخرج عنهم فخرج، واجتمع إليه الناس، وبذل العطاء وأتاه البربر من كل ناحية. وزحف إلى طرابلس فهزم جندها ودخل المدينة. ثم عزله أبوه وولّى سفيان بن المضاء فثار هوارة بطرابلس، وهجم الجند فلحقوا بإبراهيم بن الأغلب وأعاد معهم ابنه عبد الله في ثلاثة عشر ألفاً من العساكر ففتك بهوارة، وأثنى فيهم وجدد سور طرابلس. وبلغ الخبر إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فجمع البربر، وجاء إلى طرابلس فحاصرها وسد عبد الوهاب باب زناتة، وكان يقاتل من باب هوارة. ثم جاءه الخبر بوفاة أبيه فصالحهم على أن يكون البلد والبحر لعبد الله، وأعمالها لعبد الوهاب، وسار إلى القيروان. وكانت وفاة إبراهيم في شوال سنة ست وتسعين.

ابنه أبو العباس عبد الله:

ولما توفي إبراهيم بن الأُغلب عهد لابنه عبد الله، وكان غائباً بطرابلس  
والبربر يحاصرونه كما ذكرناه، وأوصى ابنه الآخر زيادة الله أن يبايع له  
بالإمارة ففعل، وأخذ له البيعة

على الناس بالقيروان. وكتب إليه بذلك فقدم أبو العباس عبد الله في صفر سنة سبع وتسعين، ولم يرع حق أخيه فيما فعله. وكان ينتقصه ولم يكن في أيامه فتنة بما مهد له أبوه الأمر. وكان حائراً حتى قيل أن مهلكه كان بدعوة حفص بن حميد من الأولياء الصالحين من أهل حمّود ومهريك، وفد عليه في جماعة من الصالحين يشكو ظلامه فلم يصغ إليهم فخرج حفص يدعو عليه، وهم يؤمنون فأصابته قرحة في أذنه عن قريب هلك منها في ذي الحجّة سنة إحدى ومائتين لخمس سنين من ولايته.

أخوه زيادة الله:

ولما توفي أبو العباس ولي مكانه أخوه زيادة الله وجاءه التقليد من قبل المأمون، وكتب إليه يأمره بالدعاء لعبد الله بن طاهر على منابرهِ فغضب من ذلك، وبعث مع الرسول بدنانير من سكة الأدارسة يعرض له بتحويل الدعوة. ثم استأذنه قرابته في الحج وهم أخوه الأغلب وأبناء أخيه أبي العباس محمد وأبو محمد بهر وإبراهيم أبو الأغلب. فأذن لهم، وانطلقوا لقضاء فرضهم فقضوه، وأقاموا بمصر حتى وقعت بين زيادة الله وبين الجند الحروب فاستقدمهم، واستوزر أخاه والأغلب وهاجت الفتن. واستولى كل رئيس بناحية فملكوها عليه كلها، وزحفوا إلى القيروان فحاصروه. وكان فاتحة الخلافة زياد بن سهل بن الصقلية، خرج سنة سبع ومائتين وجمع وحاصر مدينة باجة فسرح إليه العساكر فهزموه، وقتلوا أصحابه. ثم انتقض منصور الترمذي بطبنة، وسار إلى تونس فملكها، وكان العامل عليها إسماعيل بن سفيان، وسفيان أخو الأغلب فقتله لتستخلص له طاعة الجند. وسرح زيادة الله العساكر من القيروان مع غلبون ابن عمه ووزيره، اسمه الأغلب بن عبد الله بن الأغلب، وتهدهم بالقتل أن انهزموا فهزمهم منصور، وخشوا على أنفسهم ففارقوا الوزير غلبون، وافترقوا على إفريقية، واستولوا على باجة والجزيرة وصطفورة والاريس وغيرها. واضطربت إفريقية، ثم اجتمعوا إلى منصور، وسار بهم إلى القيروان فملكها، وحاصره في العباسية أربعين يوماً، وعمروا سور القيروان الذي خربه إبراهيم بن

الأغلب. ثم خرج إليه زيادة الله فقاتله فهزمه، ولحق بتونس. وخرّب زيادة  
الله سور القيروان.

ولحق قواد الجند بالبلاد التي تغلبوا عليها. فلحق منهم عامر بن نافع الأزرق بسببية. وسرح زيادة الله سنة تسع ومائتين عسكرياً مع محمد بن عبد الله بن الأغب فهزمهم عامر وعادوا، ورجع منصور إلى تونس. ولم يبق على طاعة زيادة الله من إفريقية إلا تونس والساحل وطرابلس ونفزاوه. وبعث الجند إلى زيادة الله بالأمان، وأن يرتحل عن إفريقية وبلغه أن عامر بن نافع يريد نفزاوة، وأن برابرتها دعوه فسرح إليهم مائتي مقاتل لمنع عامر بن نافع فرجع عامراً عنها، وهزمه إلى قسطيلة ورجع. ثم هرب عنها واستولى سفيان على قسطيلة وضبطها. وذلك سنة تسع ومائتين. واسترجع زيادة الله قسطيلة والزاب وطرابلس، واستقام أمره. ثم وقدت الفتنة بين منصور الطنبدي وبين عامر بن نافع، لأن منصوراً كان يحسده ويضغن عليه فاستمال عامر الجند وحاصره بقصره بطنبدة، حتى استأمن إليه على أن يركب إلى الشرق. وأجابه إلى ذلك وخرج منصور من طنبدة منهزماً. ثم رجع فحاصره عامر حتى استأمن إليه ثانياً على يد عبد السلام بن المفرج من قواد الجند، وأخذ له الأمان من عامر على أن يركب البحر إلى المشرق فأجابه عامر وبعثه مع ثقاته إلى تونس وأوصى ابنه. وكان يغربه أن يقتله إذا مر به فقتله، وبعث برأسه ورأس ابنه. وأقام عامر بن نافع بمدينة تونس إلى أن توفي سنة أربع عشرة. ورجع عبد السلام بن المفرج إلى باجة فأقام بها إلى أن انتقض فضل بن أبي العين جزيرة شريك، سنة ثمان عشرة ومائتين فسار إليه عبد السلام بن المفرج الربيعي، وجاءت عساكر زيادة الله فقاتلوهما، وقتل عبد السلام. وانهزم فضل إلى مدينة تونس وامتنع بها وحاصرت العساكر حتى اقتحموها عليه، وقتلوا كثيراً من أهلها وهرب آخرون حتى أمنهم زيادة الله وعادوا. وفي سنة تسع عشرة ومائتين فتح أسد بن الفرات صقلية. كانت صقلية من عمالات الروم وأمرها راجع إلى صاحب قسطنطينية، وولي عليها سنة إحدى عشرة ومائتين بطريقاً اسمه قسنطيل، واستعمل على الأسطول قائداً من الروم حازماً شجاعاً فغزا سواحل إفريقية وانتهبها. ثم بعد مدة كتب ملك الروم إلى قسنطيل بأمره بالقبض

على مقدم الأسطول وقتله. ونمى الخبر إليه بذلك فانتقض، وتعصب له أصحابه، وسار إلى مدينة سرقوسة من بلاد صقلي فملكها، وقتله قسنطيل فهزمه القائد، ودخل مدينة نطانية فأتبعه جيشاً أخذوه وقتلوه واستولى القائد على صقلية فملكها وخوطب بالملك. وولى على ناحية من الجزيرة رجلاً إسمه بلاطة، وكان ميخايل ابن عم بلاطة على مدينة بليرم فانتقض هو وابن عمه على القائد، واستولى بلاطة على مدينة سرقوسة. وركب القائد في أساطيله إلى إفريقية مستنجداً بزيادة الله فبعث معهم العساكر، واستعمل عليهم أسد بن الفرات قاضي القيروان فخرجوا في ربيع سنة اثنتي عشرة فنزلوا بمدينة مازر، وساروا إلى بلاطة ولقيهم القائد، وجميع الروم الذين بها استمدّهم فهزموا بلاطة والروم الذين معه، وغنموا أموالهم. وهرب بلاطة إلى فلونرة فقتل، واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة ووصلوا إلى القلعة الكرات، وقد اجتمع بها خلق كثير فخادعوا القاضي أسد بن الفرات في المراودة على الصلح وأداء الجزية، حتى استعدوا للحصار، ثم امتنعوا عليه فحاصروهم وبعث السرايا في كل ناحية، وكثرت الغنائم. وحاصروا سرقوسة براً وبحراً، وجاءه المدد من إفريقية وحاصروا بليرم. وزحف الروم إلى المسلمين وهم يحاصرون سرقوسة قد بعثوهم، واشتد حصار المسلمين بسرقوسة. ثم أصاب معسكرهم الفناء، وهلك كثير منهم، ومات أسد بن الفرات أميرهم ودفن بمدينة قصريانة، ومعهم القائد الذي جاء يستنجدهم فخادعه أهل قصريانة وقتلوه. وجاء المدد من القسطنطينية فتصافوا مع المسلمين وهزموهم، ودخل فلهم إلى قصريانة. ثم توفي محمد بن الحواري أمير المسلمين وولي بعده زهير بن عوف. ثم محض الله المسلمين فهزمهم الروم مرات، وحصروهم في معسكرهم حتى جهدهم الحصار، وخرج من كان في كبركيب من المسلمين بعد أن هدموها وساروا إلى مازر. وتعذر عليهم الوصول إلى إخوانهم وأقاموا كذلك إلى سنة أربع عشرة إلى أن اشرفوا على الهلاك فوصلت مراكب أفريقية مدداً وأسطول من الأندلس خرجوا للجهاد. واجتمع منهم ثلاثمائة مركب فنزلوا الجزيرة، وافرج الروم عن حصار المسلمين، وفتح المسلمون



مدينة بليرم بالأمان سنة سبع عشرة. ثم ساروا سنة تسع عشرة إلى مدينة  
قصريانة وهزموا الروم

عليها سنة عشرين. ومثتين ثم بعثوا إلى طرميس. ثم بعث زيادة الله الفضل بق يعقوب في سرية إلى سرقوسة فغنموا. ثم سارت سرية أخرى واعترضها بطريق صقلية فامتنعوا منه في وعر وخمل من الشعراء، حتى يئس منهم وانصرف على غير طائل فحمل عليهم أهل السرية وانهزموا، وسقط البطريق عن فرسه فطعن وجرح، وغنم المسلمون ما معهم من سلاح ودواب ومتاع. ثم جهز زيادة الله إلى صقلية إبراهيم بن عبد الله بن الأغلبي في العساكر، وولاه أميراً عليها فخرج منتصف رمضان، وبعث أسطولا فلقى أسطولا للروم فغنمه، وقتل من كان فيه. الآخر إلى قصورة فلقى أسطولا فغنمه وسارت سرية إلى جبل النار والحصون التي في نواحيها وكثر السبي بأيدي المسلمين. وبعث الأغلبي سنة إحدى وعشرين أسطولا نحو الجزائر فغنموا وعادوا. وبعث سرية إلى قطلبانة وأخرى إلى قصربانة كان فيهما التمحيص على المسلمين، ثم كانت وقعة أخرى كان فيها الظفر للمسلمين. وغنم المسلمون من أسطولهم تسع مراكب، ثم عثر بعض المسلمين على عورة من قصربانة فدل المسلمين عليها، ودخلوا منها البلد، وتحصن المشركون بحصنه حتى استأمنوا وفتح الله، وغنم المسلمون غنائمه، وعادوا إلى بليزم إلى أن وصلهم الخبر بوفاة زيادة الله فوهنوا أولاً، ثم انشطوا وعادوا لي الصبر والجهاد وكانت وفاة زيادة الله منتصف سنة ثلاث وعشرين ومائتين لإحدى وعشرين سنة ونصف من ولايته.

أخوهما أبو عقاب الأغلبي بن إبراهيم بن الأغلبي:

ولما توفي زيادة الله بن إبراهيم تولى أخوه الأغلبي، ويكنى أبا عقاب فأحسن إلى الجند، وأزال المظالم، وزاد العمال في أرزاقهم وكفهم عن الرعية. وخرج عليه بقسطيلة خوارج زواغة ولواتة ومكناسة، وقتلوا عاملها بها، وبعث إليهم العساكر فقتلهم واستأصلهم. وبعث سنة أربع وعشرين سرية إلى صقلية فغنموا وعادوا ظافرين. وفي سنة خمس وعشرين استأمن للمسلمين عدة حصون من صقلية فأمنوهم، وفتحوها صلحاً. وسار أسطول المسلمين إلى قلورية ففتحوها ولقوا أسطول

القسطنطينية فهزموهم وفم سنة ست وعشرين سارت سرايا المسلمين بصقلية إلى قصريانة، ثم حصن القيروان، واثخنوا في نواحيها كما نذكر. ثم توفي الأغلّب بن إبراهيم في ربيع من سنة ست وعشرين ومائتين، لسنتين وسبعة أشهر من إمارته.

ابنه أبو العباس محمد بن الأغلّب في إبراهيم:

ولما توفي أبو عقّال الأغلّب ولي بعده إبنه أبو العباس، ودانت له إفريقية، وشيد مدينة بقرب تاهرت، وسفاها العباسية وذلك سنة سبع وعشرين، وأحرقها أفلح بن عبد الوهاب بن رستم. وكتب إلى صاحب الأندلس يتقرّب إليه بذلك فبعث إليه بمائة ألف درهم. وفي أيامه ولي سحنون القضاء سنة أربع وثلاثين بعد عزل ابن الجواد، وضربه سحنون فمات، ومات سحنون سنة أربعين ومائتين، وثار عليه أخوه أبو جعفر وغلبه. ثم اتفقا على أن يستوزره فاستبد عليه، وقتل وزاره ومكث على ذلك. ثم أقام أبو العباس محمد بأمره، واستبد سنة ثلاث وأربعين بعد أن استعد لذلك رجالاً، وحارب أخوه أبو جعفر فغلبه محمد وانتقض عليه، وأخرجه من إفريقية إلى مصر سنة ست وأربعين ومائتين لستة عشر شهراً من ولايته.

ابنه أبو إبراهيم أحمد بن أبي العباس محمد:

لما توفي أبو العباس محمد بن أبي عقّال سنة إثنين وأربعين، ولي مكانه ابنه أبو إبراهيم أحمد فأحسن السيرة، وأكثر العطاء للجند، وكان مولعاً بالعمارة فبنى بإفريقية نحواً من عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد. واتخذ العبيد جنداً؛ وخرج عليه بناحية طرابلس خوارج من البربر فغلبهم عاملها وهو يومئذ أخوه عبد الله بن محمد بن الأغلّب، سرح إليهم أخاهما زيادة الله يحاربهم، واستلحمهم وكتب إلى أخيه أبي إبراهيم بالفتح. وفي أيامه افتتحت قصريانة من مدن صقلية في شوال سنة أربع وأربعين، وبعث بفتحها إلى المتوكل، وأهدى له من سببها. ثم توفي إبراهيم هذا سنة تسع وأربعين لثمان سنين من ولايته.

ابنه زيادة الله الأصغر بن أبي إبراهيم بن أحمد.

ولما توفي أبو إبراهيم ولي مكانه ابنه زيادة الله، ويعرف بزيادة الله الأصغر فجرى على سنن سلفه، ولم تطل أيامه. وتوفي سنة خمسين لحول من ولايته.

أخوه أبو الغرائيق بن أبي إبراهيم بن أحمد:

ولما توفي زيادة الله كما قدّمناه، ولي مكانه أخو محمد ويلقب بأبي الغرائيق فغلب عليه اللهو والشراب. وكانت في أيامه حروب وفتن. وفتح جزيرة مالطة سنة خمس وخمسين. وتغلب الروم على مواضع من جزيرة صقلية، وبنى محمد حصوناً ومحارس على ساحل البحر بالمغرب على مسيرة خمسة عشر يوماً من برقة إلى جهة المغرب وهي الآن معروفة. ثم توفي أبو الغرائيق منتصف إحدى وستين لإحدى عشرة سنة من ولايته.

بقية أخبار صقلية:

وفي سنة ثمان وعشرين سار الفضل بن جعفر الهمداني في البحر ونزل مرسى مسينة وحاصرها فامتنتت عليه، وبث السرايا في نواحيها فغنموا. ثم بعث طائفة من عسكره وجاؤوا إلى البلد من وراء جبل مطل عليه، وهمك مشغولون بقتاله فانهزموا، وأعطوا باليد ففتحها. ثم حاصر سنة إثنين وثلاثين مدينة لسي، وكاتب أهلها بطريق صقلية يستمدونه فاجابهم، وأعطاهم العلامة بإيقاد النار على الجبل. وبلغ ذلك الفضل بن جعفر فأوقد النار على الجبل، وأكمن لهم من ناحيته فخرجوا، واستطرد لهم، حتى جاوزوا الكمين فخرجوا عليهم فلم ينج منهم إلا القليل، وسلموا البلد على الأمان. وفي سنة ثلاث وثلاثين أجاز المسلمون إلى أرض انكبردة من البر الكبير، وملكوا منها مدينة وسكنوها وفي سنة أربع وثلاثين صالح أهل رغوس،

وسلموا المدينة للمسلمين فهدموها بعد أن حملوا جميع ما فيها. وفي سنة ثلاث وثلثين توفي أمير صقلية محمد بن عبد الله بن الأغلّب، واجتمع المسلمون بعده على ولاية العباس بن الفضل بن يعقوب بعد موت أميرهم. وكتب له محمد بن الأغلّب بعهدده على صقلية، وكان من قبل يغزو ويبعث السرايا، وتأتيه الغنائم. ولما جاءه كتاب الولاية خرج بنفسه، وعلى مقدمته عمه رياح فعات في نواحي صقلية، وردد البعوث والسرايا إلى قطنانية وسرقوسة وبوطيف ورغوس فغنموا وخرّبوا وحرّقوا، وافتتح حصونا جمّة، وهزم أهل قصريانة، وهي مدينة ملك صقلية. وكان الملك قبله يسكن سرقوسة فلما فتحها المسلمون كما ذكرناه انتقل الملك إلى قصريانة واخبر أن العباس كان يردد الغزو إلى نواحي سرقوسة وقصريانة شاتية وصائفة فيصيب منهم، ويرجع بالغنائم والأسارى. فلما كان في شاتية منها أصاب منهم أسارى، وقدمهم للقتل فقال له بعضهم وكان له قدر وهيبة استبقني وأنا أملك قصريانة، ودلهم على عورة البلد فجاؤها ليلاً، ووقفهم باب صغير فدخلوا منه. فلما توسطوا البلد، وضعوا السيف، وفتحوا الأبواب ودخل العباس في العسكر فقتل المقاتلة وسبى بنات البطارقة، وأصاب فيها ما يعجز الوصف عنه وذل الروم بصقلية من يومئذ. وبعث ملك الروم عسكرياً عظيماً مع بعض بطارقتة، وركبوا البحر إلى مرسى سرقوسة فجاءهم العباس من بليرم فقاتلهم وهزمهم وأقلع فلهم إلى بلادهم بعد أن غنم المسلمون من أسطولهم ثلاثة أو أكثر، وذلك سنة سبع وثلثين. وافتتح بعدها كثيراً من قلاع صقلية، وجاء مدد الروم من القسطنطينية وهو يحاصر قلعة الروم فنزلوا سرقوسة، وزحف إليهم العباس من مكانه وهزمهم ورجع إلى قصريانة فحصنها وانزل بها الحامية. ثم سار سنة سبع وأربعين إلى سرقوسة فغنم ورجع واعتل في طريقه فهلك منتصف سنته. ودفن في نواحي سرقوسة، واحرق النصارى شلوه، وذلك لإحدى عشرة سنة من إمارته. واتصل الجهاد بصقلية والفتح، واجاز المسلمون إلى عدوة الروم في الشمال وغزوا أرض قلورية وانكبده، وفتحوا فيها حصوناً وسكن بها المسلمون. ولما توفي العباس اجتمع الناس على ابنه عبد الله، وكتبوا إلى صاحب إفريقية، وبعث عبد الله السرايا ففتح القلاع؛ وبعد خمسة أشهر من

ولايته وصل خفاجة بن سفيان من إفريقية على صقلية في منتصف ثمان وأربعين، وأخرج ابنه محموداً في سرية إلى سرقوسة فعاث في نواحيها، وخرج إليهم الروم فقاتلهم وظفر

ورجع. ثم فتح مدينة نوطوس سنة خمس وخمسين وسار إلى سرقوسة وجبل النار، واستأمن إليه أهل طرميس ثم غدروا فسرح ابنه محمداً في العساكر وسبى أهلها. ثم سار خفاجة إلى رغوس وافتتحها، وأصابه المرض فعاد إلى بليرم. ثم سار سنة ثلاث وخمسين إلى سرقوسة وقطانية فخرب نواحيها، وأفسد زرعها، وبعث سراياه في أرض صقلية فامتلت أيديهم من الغنائم. وفي سنة أربع وخمسين وصل بطريق من القسطنطينية لأهل صقلية فقاتله جمع من المسلمين وهزموه، وعاث خفاجة في نواحي سرقوسة، ورجع إلى بليرم. وبعث سنة خمس وخمسين ابنه محمداً في العساكر إلى طرميس، وقد دله بعض العيون على بعض عوراتها فدخلوها وشرعوا في النهب. وجاء محمد بن خفاجة من ناحية أخرى فظنوه مدداً للعدو فأجفلوا، ورآهم محمد مجفلين فرجع. ثم سار خفاجة إلى سرقوسة فحاصرها وعاث في نواحيها، ورجع فاغتاله بعض عسكره في طريقه وقتله، وذلك سنة خمس وخمسين وولى الناس عليهم ابنه محمداً. وكتبوا إلى محمد بن أحمد أمير إفريقية فأقره على الولاية، وبعث إليه بعهد.

إبراهيم بن أحمد أخو أبي الغرائيق:

ولما توفي أبو الغرائيق ولي أخوه إبراهيم، وقد كان عهد لابنه أبي عقال، واستحلف أخاه إبراهيم أن لا ينازعه ولا يعرض له، بل يكون نائباً عنه إلى أن يكبر فلما مات عدا عليه أهل القيروان وحملوه على الولاية عليهم، لحسن سيرته وعدله فامتنع، ثم أجاب وترك وصية أبي الغرائيق في ولده أبي عقال، وانتقل إلى قصر الإمارة وقام بالأمر أحسن قيام". وكان عادلاً حازماً فقطع البغي والفساد، وجلس لسماع شكوى المتظلمين فأمنت البلاد، وبنى الحصون والمحارس بسواحل البحر، حتى كانت النار توقد في ساحل سبته للندير بالعدو فيتصل بإيقادها بالإسكندرية في الليلة الواحدة وبنى سور سوسة. وفي أيامه كان مسير العباس بن أحمد بن طولون مخالفاً على أبيه صاحب مصر سنة خمس وستين فملك برقة من يد محمد بن قهر ب قائد ابن الأغلب ثم ملك لبدة، ثم حاصر طرابلس، واستمد ابن

قهرب بقوسه فأمدوه ولقي العباس بن طولون بقصر حاتم سنة سبع  
وستين فهزمه، ورجع إلى مصر. ثم خالفت



وزداجة ومنعوا الرهن، وفعلت مثل ذلك هواره، ثم لواتة، وقتل ابن قهرب في حروبهم فسرح إبراهيم ابنه أبا العباس عبد الله إليهم في العساكر سنة تسع وستين فأتخن فيهم. وفي سنة ثمانين كثر الخوارج، وفرّق العساكر إليهم فاستقاموا، واستركب العبيد السودان واستكثر منهم فبلغوا ثلاثة آلاف. وفي سنة إحدى وثمانين انتقل إلى سكنى تونس، واتخذ بها القصور ثم تحرك إلى مصر سنة ثلاث وثمانين لمحاربة ابن طولون، واعترضته نفوسة فهزمهم وأتخن فيهم. ثم انتهى إلى سرت فانفضت عنه الحشود فرجع، وبعث ابنه أبا العباس عبد الله على صقلية سنة سبع وثمانين فوصل إليها في مائة وستين مركباً. وحاصر طرابية وانتقض عليه بليرم وأهل كبركيت، وكانت بينهم فتنة فأغراه كل واحد منهم بالآخرين. ثم اجتمعوا لحره، وزحف إليه أهل بليرم في البحر فهزمهم واستباحهم، وبعث جماعة من وجوه إلى أبيه، وفرّ آخرون من أعيانهم إلى القسطنطينية، وآخرون إلى طرميس فاتبعهم وعاث في نواحيها. ثم حاصر أهل قطانية فامتنعوا عليه فأعرض عن قتال المسلمين. وتجهز سنة ثمان وثمانين للغزو فغزا دمقش ثم مسيني. ثم جاء في البحر إلى ربو ففتحها عنوة، وشحن مراكبه بغنائمها، ورجع إلى مسيني فهدم سورها. وجاء مدد القسطنطينية في المراكب فهزمهم، وأخذ لهم ثلاثين مركباً. ثم أجاز إلى عدوة الروم وأوقع بأمم الفرنجة من وراء البحر. ورجع إلى صقلية. وجاء في هذه السنة رسول المعتضد بعزل الأمير إبراهيم لشكوى أهل تونس به فاستقدم ابنه أبا العباس من صقلية، وارتحل هو إليها مظهراً لغربة الانتجاع. هكذا قال ابن الرقيق. وذكر أنه كان جائراً ظلوماً سفاكاً للدماء، وأنه أصابه آخر عمره ماليخوليا أسرف بسببها في القتل فقتل من خدمه ونسائه وبناته ما لا يحصى. وقتل ابنه أبا الأغلب لظن ظنه به. وافتقد ذات يوم منديلا لشرا به فقتل بسببه ثلاثمائة خادم. وأمّا ابن الأثير فآثى عليه بالعقل والعدل

وحسن السيرة، وذكر أن فتح سرقوسة كان في أيامه على يد جعفر بن محمد أمير صقلية، وأنه حاصرها تسعة أشهر، وجاءهم المدد من قسطنطينية في البحر فهزمهم. ثم فتح البلد واستباحها. واتفقوا كلهم على أنه ركب البحر من إفريقية إلى صقلية فنزل طرابنة، ثم تحول عنها إلى بليرم ونزل على دمقش وحاصرها سبعة عشر يوماً. ثم فتح مسيني وهدم سورها. ثم فتح طرميس آخر شعبان من سنة تسع وثمانين، ووصل ملك الروم بالقسطنطينية ففتحها. ثم بعث حافده زيادة الله ابن ابنه أبي العباس عبد الله إلى قلعة بيقش فافتتحها، وابنه أبو محرز إلى رمطة فأعطوه الجزية. ثم عبر إلى عدوة البحر وسار في بَرِّ الفرنج، ودخل قلورية عنوة فقتل وسبى ورهب منه الفرنجة. ثم رجع إلى صقلية ورغب منه النصارى في قبول الجزية فلم يجب إلى ذلك. ثم سار إلى كنسة فحاصرها، واستأمنوا إليه فلم يقبل. ثم هلك وهو محاصر لها آخر تسع وثمانين لثمان وعشرين سنة من إمارته فولى أهل العسكر عليهم حافده أبا مضر ليحفظ العساكر والأمور، إلى أن يصل ابنه أبو العباس، وهو يومئذ بإفريقية فأمن أهل كنسة قبل أن يعلموا بموت جدّه، وقبل منهم الجزية، وأقام قليلاً حتى تلاحقت به السرايا من النواحي. ثم ارتحل وحمل جدّه إبراهيم فدفنه في بليرم، وقال ابن الأثير حمله إلى القيروان فدفنه بها.

ظهور الشيعي بكتامة:

وفي أيامه ظهر أبو عبد الله الشيعي بكتامة يدعو للرضا من آل محمد، ويبطن الدعوة لعبيد الله المهدي من أبناء إسماعيل الإمام، واتبعه كتامة، وهو من الأسباب التي دعت للتوبة والاقلاع، والخروج إلى صقلية. وبعث إليه موسى بن عياش صاحب صلة بالخبر، وبعث إبراهيم رسوله إلى الشيعي بانكجان يهدده ويحذره فلم يقبل، وأجابه بما يكره. فلما قربت أمور أبي عبد الله، وجاء كتاب المعتضد لإبراهيم كما قدمناه أظهر التوبة، ومضى إلى صقلية، وكانت بعده بإفريقية حروب أبي عبد الله الشيعي مع

قبائل كتامة، حتى استولى عليهم واتبعوه، وكان إبراهيم قد أسر لابنه أبي العباس في شأن الشيعي ونهاه عن محاربتة، وأن يلحق به إلى صقلية إن ظهر عليه.

ابنه أبو العباس عبد الله بن إبراهيم أخي محمد أبي الغرائق:

ولما هلك إبراهيم سنة تسع وثمانين كما قدمناه، قدم حافده زيادة الله بالجيوش على أبيه أبي العباس عبد الله لقام بأمر إفريقية، وعظم غناؤه، وكتب إلى العمال كتاباً يقرأ على الناس بالوعد الجميل والعدل والرفق والجهاد واعتقل إبنه زيادة الله هذا لما بلغه عنه من اعتكافه على اللذات واللهو، وأنه يروم التوثب عليه، وولى على صقلية مكانه محمد بن السرقوسي. وكان أبو العباس حسن السيرة عادلاً بصيراً بالحروب، وكانت أيامه سالحة، وكان نزوله بتونس. ولما توفي استولى أبو عبد الله الشيعي على كتامة، ودخلوا في أمره كافة، وزحف إلى ميلة فافتتحها، وقتل موسى بن عياش. وكان فتح بن يحيى أمير مسالة من كتامة حارب أبا عبد الله طويلاً، ثم غلبه، واستولى على قومه فنزع فتح إلى أبي العباس، وحرضه على قتال يكزاخول، وإنما كان يكرّ على جفنة إذا نظر وزحف إليه من تونس سنة تسع وثمانين، ودخل سطيف ثم يلزمه، وقتل من دخل في دعوتهم. ولقيه أبو عبد الله الشيعي فانهزم وهرب من تاوزرت إلى انكجان، وهدم أبو خول قصر الشيعي، ثم قاتلهم يوماً إلى الليل فانهزم عسكر أبي خول، ولحق بتونس، ورجع بكتامة إلى مواضعهم. ولما دخل أبو خول بأبيه جدد له العسكر وأعاده ثانية، وانتظمت إليه القبائل، وسار حتى نزل سطيف. ثم ارتحل منها إلى لقائهم. وزحف إليه أبو عبد الله فهزمه، ورجع إلى سطيف، ثم ارتحل منها إلى لقائهم. وفي أثناء ذلك صانع زيادة الله بعض الخدم على قتل أبيه أبي العباس فقتل نائماً في شعبان سنة تسعين ومائتين، وأطلق زيادة الله من اعتقاله.

ابنه أبو مضر زيادة الله:

ولما أطلق زيادة الله من الاعتقال اجتمع أهل الدولة، وبايعوا له فقتل الخصيان الذين قتلوا أباه، وأقبل على اللذات واللهو ومعاشرة المضحكين والصفاعين، وأهمل أمر الملك واستقل. وكتب إلى أخيه أبي خول على لسان أبيه يستقدمه، وقدم فقتله، وتتل عمومته وإخوته. وقوي أمر الشيعي، وانتقل زيادة الله إلى رقادة ليلاً لئلا يخالفه الشيعي إليها. وفتح الشيعي مدينة سطيف فسرح زيادة الله العساكر لحربه، وعقد عليها لإبراهيم بن حبيش من صنائعه فخرج في أربعين ألفاً، وأقام بقسطيلة ستة أشهر فاجتمعت إليه مائة ألف، وزحف إلى كتامة، وتلقوه بأجانة فاخرمت عساكره وولت الهزيمة عليه. وانتهى إلى باغاية، ثم انتقل إلى القيروان، وافتتح أبو عبد الله مدينة طبنة، وقتل فتح بن يحيى المسالتي، وكان بها. ثم فتح يلزمة، وهدم سورها. ثم وصل عروبة بن يوسف من أمراء كتامة إلى باغاية، وأوقع بالعساكر التي كانت بها مجمرة لحربهم بنظر هارون بن الطنبي. وأرسل أبو عبد الله الشيعي إلى تيحيسن فحاصرها، ثم افتتحها صلحاً. وكثر الأرجاف بالقيروان ففتح زيادة الله ديوان العطاء، واستلحق واستركب وأجمع الخروج فخرج إلى الأريس سنة خمس وتسعين، فلما انتهى إليها تخوف غائلة الشيعي، وأشار عليه أهل بيته بالرجوع فرجع إلى رقادة، وقدم على العساكر إبراهيم بن أبي الأغلب من وجوه أهل بيته. ثم زحف أبو عبد الله إلى باغاية ففتحها صلحاً، وهرب عاملها. ثم سرب أبو عبد الله الجيوش فبلغت مجانة، وواقفوا بقبائل نفزة، واستولوا على تيفاش. وزحف ابن أبي الأغلب إلى تيفاش فمنعه أهلها، وهزموا طلائعه فافتتحها، وقتل من كان بها. ثم خرج أبو عبد الله الشيعي في عساكر كتامة إلى باغاية ثم إلى سكاية؛ ثم إلى سيبية، ثم إلى حمودة فاستولى على جميعها، وأمن أهلها ورحل ابن أبي الأغلب من الأريس. ثم سار أبو عبد الله إلى قسطيلة وقفصة فأمنهم، ودخلوا في دعوته، وانصرف إلى باغاية، ثم إلى انكجان. وزحف ابن أبي الأغلب إلى باغاية فقاتلها، وامتنعت عليه، ورجع إلى الأريس. ثم زحف أبو عبد الله إلى الأريس سنة ست وتسعين في جمادى ومربشوق بنارية، وأمن أهلها إلى قمودة.

خروج زيادة الله إلى المشرق:

ولما وصل الخبر إلى زيادة الله بوصول الشيعي إلى قمودة، حمل أمواله وأثقاله، ولحق بطرابلس معتزماً على الشرق. وأقبل الشيعي إلى إفريقية، وفي مقدمته عروبة بن يوسف وحسن بن أبي خنزير؛ ووصل إلى رقادة في رجب سنة ست وتسعين، وتلقاه أهل القيروان وبايعوا لعبيد الله المهدي كما ذكرناه في أخبارهم ودولتهم. وأقام زيادة الله بطرابلس سبعة عشر يوماً، وانصرف ومعه إبراهيم بن الأغلب. وكان نمي عنه أنه أراد الاستبداد لنفسه بالقيروان بعد خروج زيادة الله فاعرض عنه، واطرحه وبلغ مصر فمنعه عاملها عيسى البرشدي من الدخول إلا عن أمر الخليفة، وانزله بظاهر البلد ثمانية أيام. وانصرف إلى ابن الفرات وزير المقتدر يستأذن له في الدخول فأتاه كتابه بالمقام في الرقة، حتى يأتيه رأي المقتدر فأقام بها سنة. ثم جاءه كتاب المقتدر بالرجوع إلى إفريقية. وأمر النوشزي بإمداده بالرجال والمال لاسترجاع الدعوة بإفريقية، ووصل إلى مصر فأصابته بها علة مزمنة، وسقط شعره. ويقال أنه سم، وخرج إلى بيت المقدس ومات بها. وتفترق بنو الأغلب، وانقطعت أيامهم، والبقاء لله وحده. والله سبحانه وتعالى أعلم.

دولة بني أبي الحسن الكلبيين

بقية أخبار صقلية ودولة بني الحسن الكلبيين بها من العرب المستبدين بدعوة العبيديين  
وبداية أمرهم وتصاريح أحوالهم

ولما استولى عبيد الله المهدي على أفريقية ودانت له، وبعث العمال في نواحيها بعث على جزيرة صقلية الحسن بن محمد بن أبي خنزير، من رجالات كتامة، فوصل إلى مازر سنة سبع وتسعين في العساكر، فولى أخاه على كبركيت؛ وولى على القضاء بصقلية إسحق بن المنهال.. ثم سار سنة ثمان وتسعين في العساكر إلى ومش فعات في نواحيها ورجع. ثم شكأ أهل صقلية سوء سيرته وثاروا به

وحبسوه، وكتبوا إلى المهدي معتذرين فقبل عذرهم وولى عليهم أحمد بن قهرّب. وبعث سرية إلى أرض قلورية فدوخوها ورجعوا بالغنائم والسبي. ثم أرسل سنة ثلاثمائة ابنه علياً إلى قلعة طرمين المحدثه ليتخذها حصناً لحاشيته وأمواله حذراً من ثورة أهل صقلية فحصرها ابنه ستة أشهر. ثم اختلف عليه العسكر فأحرقوا خيامه، وأرادوا قتله فمنعه العرب، ودعا هو الناس إلى المقتدر فأجابوه. وقطع خطبة المهدي، وبعث الأسطول إلى إفريقيا، ولقوا أسطول المهدي وقائده الحسن بن ابي خنزير فقتلوه، واحرقوا الأسطول. وسار أسطول بن قهرّب إلى صفاقس فخرّبوها وانتهوا إلى طرابلس، وانتهى الخبر إلى القائم بن المهدي. ثم وصلت الخلع والألوية من المقتدر إلى ابن قهرّب. ثم بعث الجيش في الأسطول إلى قلورية فعاثوا في نواحيها ورجعوا. ثم بعث ثانية أسطولاً إلى إفريقيا فظفر به أسطول المهدي فانتقض أمره، وعصى عليه أهل كبركيت، وكتبوا المهدي. ثم ثار الناس بابن قهرّب آخر الثلاثمائة وحبسوه، وأرسلوه إلى المهدي فأمر بقتله على قبر ابن خنزير في جماعة من خاصته. وولى على صقلية أبا سعيد بن احمد، وبعث معه العساكر من كتامة فركب إليها البحر فنزل في طرابنة، وعصى عليه أهل صقلية بمن معه من العساكر فامتنعوا عليه، وقاتله أهل كبركيت وأهل طرابنة فهزمهم وقتلهم. ثم استأمن إليه أهل طرابنة فأمنهم وهدم أبوابها. وأمره المهدي بالعفو عنهم. ثم ولى المهدي على صقلية سالم بن راشد، وأمدّه سنة ثلاث عشرة بالعساكر فعبر البحر إلى أرض انكبردة فدوّخها، وفتحوا فيها حصوناً ورجعوا. ثم عادوا إليها ثانية وحاصروا مدينة ادرنت أياماً، ورحلوا عنها. ولم يزل أهل صقلية يغيرون على ما بأيدي الروم من جزيرة صقلية وقلورية، ويعيثون في نواحيها. وبعث المهدي سنة إثنين وعشرين جيشاً في البحر مع يعقوب بن إسحق فعاث في نواحي جنوة ورجعوا. ثم بعث جيشه من قابل ففتحوا مدينة جنوة، ومروا بسردانية فأحرقوا فيها مراكب وانصرفوا. ولما كانت سنة خمس وعشرين انتقض أهل كبركيت على أميرهم سالم بن راشد، وقاتلوا جيشه، وخرج إليهم سالم بنفسه فهزمهم، وحصرهم ببلدهم. واستمد القائم فأمده بالعساكر مع خليل بن إسحق، فلما وصل إلى صقلية شكّا إليه أهلها من سالم بن راشد،

واسترحمته النساء والصبيان. وجاءه أهل كبركيت وغيرها من أهل صقلية  
بمثل ذلك فرق لشكواهم، ودس إليهم سالم بأن خليلا إنما جاء للانتقام منهم  
بمن قتلوا

من العساكر فعاودوا الخلاف، واختط خليل مدينة على مرسى المدينة، وسماها الخالصة. وتحقق بذلك أهل كبركيت ما قال لهم سالم، واستعدوا للحرب فسار إليهم خليل منتصف ست وعشرين، وحصرهم ثمانية أشهر يغاديهم بالقتال وبراوحهم؛ حتى إذا جاء الشتاء رجع إلى الخالصة، واجتمع أهل صقلية على الخلاف، واستمدوا ملك القسطنطينية فأمدهم بالمقاتلة والطعام. واستمد خليل القائم فامده بالجيش فافتتح قلعة أبي ثور وقلعة البلوط، وحاصر قلعة بلاطنو إلى أن انقضت سنة سبع وعشرين فارتحل عنها وحاصر كبركيت. ثم حبس عليها عسكريا للحصار مع أبي خلف بن هارون ورحل عنها، وطال حصارها إلى سنة تسع وعشرين فهرب كثير من أهل البلد إلى بلد الروم، واستأمن الباقون فأمنهم على النزول عن القلعة. ثم غدر بهم فارتاع لذلك سائر القلاع وأطاعوا، ورجع خليل إلى إفريقية آخر سنة تسع وعشرين، وحمل معه وجوه أهل كبركيت في سفينة، وأمر بخرقها في لجة البحر فغرقوا أجمعين. ثم ولى على صقلية عطاف الأزدي. ثم كانت فتنة أبي يزيد، وشغل القائم والمنصور بأمره فلما انقضت فتنة أبي يزيد، عقد المنصور على صقلية للحسن بن أبي الحسن الكلبي من صنائعهم ووجوه قواده، وكنيته أبو الغنائم، وكان له في الدولة محل كبير. وفي مدافعة أبي يزيد غناء عظيم. وكان سبب ولايته أن أهل بليرم كانوا قد استضعفوا عطافاً واستضعفهم العدو لعجزه، فوثب به أهل المدينة يوم الفطر من سنة خمس وثلاثين، وتولى كبر ذلك بنو الطير منهم، ونجا عطاف إلى الحصن، وبعث للمنصور يعلمه ويستتمده فولى الحسن بن علي على صقلية، وركب البحر إلى مازر، وأرسى بها فلم يلقه أحد منهم. وأتاه في الليل جماعة من كتامة واعتذروا إليه عن الناس بالخوف من بني الطير. وبعث بنو الطير عيونهم عليه واستضعفوه وواعدوه أن يعودوا إليه فسبق ميعادهم، ودخل المدينة، ولقيه حاكم البلد وأصحاب الدواوين، واضطر بنو الطير إلى لقائه، وخرج إليهم كبيرهم إسماعيل، ولحق به من انحرف عن بني الطير فكثر جمعه. ودس إسماعيل بعض غلمانه فاستغاث بالحسن من بعض عبيده أنه أكره امرأته على الفاحشة، يعتقد أن الحسن لا يعاقب مملوكه فتخشن قلوب أهل البلد عليه. وفطن الحسن لذلك فدعا الرجل



واستحلفه على دعواه، وقتل عبده فسر الناس بذلك، ومالوا عن الطيري وأصحابه، وافترق جمعهم. وضبط الحسن أمره، وخشي الروم بادرته فدفعوا إليه جزية ثلاث سنين. وبعث ملك الروم بطريقاً في البحر في عسكر كبير إلى صقلية، واجتمع هو والسردغرس. واستمد الحسن بن علي المنصور فأمده بسبعة آلاف فارس وثلاثة آلاف وخمسمائة راجل، وجمع الحسن من كان عنده وسار براً وبحراً. وبعث السرايا في أرض قلورية، ونزل على أبراجه فحاصرها وزحف إليه الروم فصالحه على مال أخذه، وزحف إلى الروم ففروا من غير حرب. ونزل الحسن على قلعة قيشانة فحاصرها شهراً، وصالحهم على مال ورجع إلى قلورية فعبر إلى خراجة فلقى الروم والسردغرس فهزمهم، وامتلاً من غنائمهم، وذلك يوم عرفة سنة أربعين وثلاثمائة. ثم ثار إلى خراجة فحاصرها حتى هادنه ملك الروم قسطنطين. ثم عاد إلى ريو وبنى بها مسجداً وسط المدينة، وشرط على الروم أن لا يعرضوا له، وأن من دخله من الأسرى أمن. ولما توفي المنصور وملك ابنه المعز سار إليه الحسن، واستخلف على صقلية ابنه أحمد، وأمره المعز بفتح القلاع التي بقيت للروم بصقلية فغزاها، وفتح طرمين وغيرها سنة إحدى وخمسين، وأعيته رمطة فحاصرها فجاءها من القسطنطينية أربعون ألفاً مدداً. وبعث أحمد يستمد المعز فبعث إليه المدد بالعساكر والأموال مع أبيه الحسن. وجاء مدد الروم فنزلوا بمرسى مسينة، وزحفوا إلى رومطة، ومقدم الجيوش على حصارها الحسن بن عمار وابن أخي الحسن بن علي فأحاط الروم بهم. وخرج أهل البلد إليهم، وعظم الأمر على المسلمين فاستماتوا، وحملوا على الروم وعقروا فرس قائدهم منوبل فسقط عن فرسه، وقتل جماعة من البطارقة معه. وانهزم الروم وتتبعهم المسلمون بالقتل، وامتلات أيديهم من الغنائم والأسرى والسبي. ثم فتحوا رمطة عنوة وغنموا ما فيها، وركب فل الروم من صقلية وجزيرة رفق في الأسطول ناجين بأنفسهم فاتبعهم الأمير أحمد في المراكب فحرقوا مراكبهم، وقتل كثير منهم، وتعرف هذه الوقعة بوقعة المجاز، وكانت سنة أربع وخمسين وأسر فيها ألف من عظمائهم، ومائة بطريق. وجاءت الغنائم والأسارى إلى مدينة بليرم حاضرة صقلية،

